B A D E R A Q E E L I

بدر عقيلي

جرائم الحرب الإسرائيلية في غزة

توثيق لشهادات جنود إسرائيليين لفظائع ارتكبوها في غزة والضفة الغربية



إصدار

دار الجليل للنشر

بدر عقيلي

جرائم الحرب الإسرائيلية في غزة

توثيق لشهادات جنود إسرائيليين لفظائع
ارتكبوها في غزة والضفة الغربية

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2010/1/292)

956045

عقيلي، بدر أحمد مصطفى

جرائم الحرب الاسرائيلية في غزة/بدر أحمد مصطفى عقيلي

عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية، 2010

(237) ص

ر.إ.: 2010/1/292

الواصفات: الصهيونية//اسرائيل//الضفة الغربية// جرائم الحرب//فلسطين//غزة (فلسطين)/

الطبعة الأولى

2010

دار الجليل

للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية

هاتف: 5157627- فاكس:5153668

ص.ب 8972 - عمان 11121

E-mail:darjalil@nets.com.jo

بدر عقيلي

جرائم الحرب الإسرائيلية في غزة

توثيق لشهادات جنود إسرائيليين لفظائع

ارتكبوها في غزة والضفة الغربية

عمان 2010

الإهداء:

إلى روح أستاذي وصديقي العزيز

فؤاد الناطور

رحمه الله

الفهرس

شهادات من عملية الرصاص المصبوب

شهادات عن ممارسات الجنود في الضفة

مقدمة:

تبدو المقدمة التي نضعها لهذا الكتاب غريبة إلى حد ما حتى بالنسبة لدار كدار الجليل التي سبق وأن وضعت مقدمات لمئات الكتب التي أصدرتها من قبل، والتي تناولت خلالها جميع الممارسات الإسرائيلية بكل ما فيها من شرور وقتل وتخريب واغتصاب أراض وانتهاكات وعربدة وغيره.

وغرابة المقدمة هذه المرة ناجمة عن طبيعة الكتاب والشهادات التي أدلى بها جنود إسرائيليون حول الممارسات الإسرائيلية خلال حرب "الرصاص المصبوب" في قطاع غزة وأيضا في الضفة الغربية. فمن المألوف أن يلفت واضع المقدمة نظر القراء إلى جوانب خفية في سياق الكتاب، أو يسلط الأضواء على جوانب أخرى أو يحلل حدثا ما، على اعتبار أن أحداث وسياق الكتاب في هذه الجوانب، التي يرغب بإبرازها، مبهمة إلى حد ما وأدنى من مستوى تحليله ومن الأضواء التي سيسلطها.

أما في هذا الكتاب، فإن الأمر مختلف، بل هو على العكس تماما، فما ورد فيه من شهادات لا يدع مجالا، أو سببا للتحليل أو تسليط الأضواء، لماذا؟ للأسباب التالية:

أولا: إن الشهادات مستقاة من الجنود الذين شاركوا في الحرب، وصنعوا مأساتها وأحداثها، ولا أعتقد أن هناك من يمكنه أن يدين نفسه بجرائم حرب أو يدين دولته، بكل ما يترتب على ذلك، ومن ثم فليس بمقدور الأبواق الإعلامية الإسرائيلية هذه المرة أن تعلن بأن الشهادات هي شهادات لا سامية ومعادية لإسرائيل.

ثانيا: إن الوضع الذي خلفته الحرب على أرض الواقع في غزة، والخراب والقتل الجماعي والدمار الذي تناقلته وسائل الإعلام العالمية يؤكد أن ما ورد في شهادات الجنود لم يكن سوى غيض من فيض الوحشية الإسرائيلية.

ثالثا: إن التحقيقات التي أجراها جولدستون كانت بمثابة الختم الذي توج الاعترافات، ودلالة لا يمكن نكرانها من شاهد محايد على ارتكاب إسرائيل لجرائم الحرب في غزة والضفة.

إن السؤال الذي يطرح نفسه، والذي حرصت إسرائيل على إخفائه بمنع وسائل الإعلام من دخول القطاع أثناء الحرب هو: ترى كيف دارت الحرب؟ وما هي الاستراتيجية التي وضعتها إسرائيل؟

لقد قامت استراتيجية حرب "الرصاص المصبوب" على أربع قواعد رئيسية:

أولا : الحفاظ على الجندي الإسرائيلي:

لم تكن إسرائيل- بعد ما منيت به من خسائر وهزيمة في الحرب اللبنانية الثانية -لتخاطر بهزيمة أخرى غير متوقعة، ولا شبه هزيمة. ومن الجدير بالذكر أن الهزيمة أو شبه الهزيمة بالنسبة لإسرائيل ليست ذات معنى كلاسيكي يتمثل في اندحار الجيوش أو الاستسلام، لأن هذا المفهوم غير قائم أصلا في المواجهات الإسرائيلية مع الجيوش العربية نظرا لعدم التوازن القائم، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بحركة حماس؟ إن مفهوم الهزيمة لدى إسرائيل هو قتل أو أسر عدد غير منطقي من جنودها، لذا جاءت الأوامر للجنود الإسرائيليين على النحو التالي- وفقا لشهادات الجنود:

- لا يجوز الاشتباك أبدا مع مقاتلي حماس، ومع أول رصاصة اشتباك يجب أن تنسحب وتدع الطائرات والدبابات والمدفعية والجرافات تتعامل مع أولئك المقاتلين.
- لا تُعرّض نفسك أبدا للقنص، أو الاختطاف، لذا يحظر أن تبدو أمام نافذة أي بيت تحتله وتتمترس فيه، أو أن تطلع فوق أسطح المنازل.
- أطلق النار ثم اسأل، على افتراض أن من ستسأله سيبادرك بالنار حتى لو بدا غير مسلح.
- يجب على الدبابات والمدفعية أن تزيل كل ما هو قائم أمام تقدم الجنود لضمان عدم وجود مخربين أو كمائن متفجرات أو ألغام في المنطقة.
- يجب ازالة كل ما يحجب الرؤية كي يرى الجنود أمامهم ولا يفاجأوا.
- اتخذوا تروسا بشرية عندما تدخلون أي منزل، ودعوا الترس البشري الفلسطيني يفعل كل شيء: يدق الباب، ويدخل، ويطالب جميع الموجودين بالخروج، ويتحمل رصاص رد الفعل.

ثانيا: أرض محروقة:

بالنسبة لإسرائيل غزة هي وكر لحركة إرهابية عنصرية أصولية بلا رحمة، وكل من فيها هو إما حماس أو خاضع لحركة حماس، ولا يمكن لإسرائيل وقف خطر الصواريخ إلا عبر إخضاع حماس. وفي نفس الوقت لا يجوز المخاطرة بالجندي

الإسرائيلي من أجل تحقيق هذا الهدف، لذا فإن الطائرات والمدفعية والدبابة وقنابل الفوسفور ستقوم بعمليات التطهير والتمهيد على اعتبار أن كل القطاع مزروع بالمتفجرات والإرهابيين، ومن ثم اعتبارها أرضا محروقة يستحسن تدميرها بجميع الوسائل الممكنة.

ثالثا: تعبئة بلا رحمة:

يدرك العسكريون الإسرائيليون تماما نتائج سياسة الأرض المحروقة وما يصاحبها من دمار وقتل، لذا كان يجب تعبئة الجندي الإسرائيلي وبصورة تتجاوز عمليات التعبئة العادية في حالات الحرب، بل يجب أن تصل التعبئة إلى مرحلة التعبئة الإجرامية،والتي تناولت السلطتين اللتين لهما كل التأثير على الجندي: سلطة الدين، وسلطة القائد:

أ – سلطة الدين: والتي يمثلها الحاخامات الإسرائيليون – حفظة كتاب الله التوراة- على الأرض- وفي إطار هذه التعبئة أصدر الحاخامات فتوى خاصة للجنود تقول: إن جميع الذنوب التي سيرتكبونها خلال الحرب من قتل وتدمير وسرقة ومخالفة لجميع الشرائع مغفورة سلفا، لأنهم يحاربون من أجل شعب الله، وحقه في الأرض والأمان.

وأصدر الحاخام العسكري الأكبر فتوى تقول:" الفلسطينيون هم كالبلشتيم- الفلسطينيون سكان البلاد القدامى قبل الهجرة اليهودية من مصر واحتلال البلاد- الذين جاءوا إلى هذه الأرض، ومكانهم ليس هنا" . أي أنه يجب طردهم وقتلهم لأنهم يأخذون أرض وحق شعب الله.

ب- سلطة القائد: يستمد الجندي روحيته ومعنوياته من قائد العسكر،ويسعى لتقليده، والقائد الإسرائيلي يقول للجنود – حسب شهاداتهم- ما يلي:

* قائد كتيبة: "لن يكون هناك مدنيون في غزة"، أي لا يجب أن تأخذك أيها الجندي شفقة على أحد، فأنت لا تقاتل طفلا أو امرأة أو شيخا، حتى لو بدوا لك كذلك، فهم جميعا حماس،وكلهم جنود.

* قائد كتيبة آخر: "لست على استعداد لقبول أية مخاطرة لجندي بنفسه من أجل مشبوهين ،وإذا كانت هناك ضرورة، يجب إزالة كل شيء".

* قائد لواء: هذه حرب، والحرب لا تهتم بالمدنيين، اطلقوا النار على كل من ترونه. اطلقوا ثلاث قذائف وليس قذيفة واحدة على الهدف لضمان عدم بقاء أي مخرب.

* قائد كتيبة آخر: سندخل غزة، وسيكون هناك مخرب لكل جندي كي يقتله.

* قائد كتيبة آخر: سندخل غزة والهدف هو ألف قتيل فلسطيني وليس وقف الصواريخ.

رابعا: لا مبالاة بالرأي العام:

تدرك إسرائيل أن مخططات الدمار التي أعدتها ستثير الرأي العام العالمي ومنظمات حقوق الإنسان،وأن مثل هذا الوضع سيشكل ضغطا عليها، بيد أنها اعتادت على نمط عالمي سابق، فهي تقتل وتدمر وتحقق أهداف ردعها، رغم الرأي العام العالمي وثورته، ثم بعد ذلك تتفرغ لمواجهة هذا الرأي، فتمارس ضغوطا على من يرفع صوته، وتذكره بممارساته في الحروب التي خاضها،وتهدد بقطع علاقاته مع الولايات المتحدة، وغيره، والأهم من كل ذلك هي تدرك أن ذاكرة الرأي العام العالمي بالنسبة لها قصيرة، إذا لم تكن هناك متابعة دائمة من قبل جهات معادية لإسرائيل، كالعرب مثلا،

لإبقاء هذه الذاكرة قائمة، وإسرائيل تدرك أنه لا توجد متابعة أبدا من قبل العرب، فهم متسامحون،وأيضا يتحلون بذاكرة ضعيفة، ويأخذون بالمثل العامي القائل: "إللي ما بقدر على الحمار، بينط على البردعة"، لذا فهم يعمدون إلى تحميل وزر ما حدث للفلسطينيين ويلوحون لهم بالملل العربي من طول الصراع مع إسرائيل.

إن الأسلوب الذي انتهجته إسرائيل في حربها لم يكن أسلوب قتال، بل كان أسلوب قتل غير متوازن، أسلوب استخدمت فيه الدبابة والطائرة والجرافة والمدفعية وقنابل الفوسفور تجاه شعب شبه أعزل، ودون أن يكون لدى الطرف الآخر ما يمكنه أن يوازنها به أو يجاريها في حربها.

لقد تعمدنا عدم التطرق إلى شهادات الجنود في المقدمة، كي نترك لقارئنا العزيز فرصة التعرف عليها بنفسه بعد أن ترجمنا بأمانة ما أورده الجنود كي يرى ويعرف بنفسه ما حدث، مع الأخذ بعين الاعتبار أن ما أوردناه هو شهادة غيض صغير جدا ممن شاركوا في تلك الحرب فماذا لو سمعنا شهادات الفيض؟

"بدر عقيلي"

من أسرة دار الجليل

من هي منظمة "لنحطم حاجز الصمت"

"شوفريم شتيكاه"؟

"لنحطم حاجز الصمت" هي منظمة أقامها جنود مسرحون ووضعوا نصب أعينهم هدف إطلاع الجماهير الإسرائيلية على معلومات تتعلق بالعمليات التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي والمستوطنون في المناطق المحتلة، وقد أنشأ المنظمة عدد من الجنود الإسرائيليين ممن خدموا في الكتيبة الخمسين في المناطق المحتلة، وبشكل خاص في الخليل، وعاشوا مشاعر صعبة للغاية - حسب قولهم-إبان خدمتهم العسكرية، وبشكل خاص خلال مرحلة الانتفاضة الثانية.

وقد سجلت المنظمة نفسها لدى مسجل الشركات، كشركة خاصة محدودة الضمان، الأمر الذي يقلص الرقابة المفروضة عليها في كل ما يتعلق بالتمويل لأعضاء الإدارة والعاملين في الشركة.

وقد قامت دول أجنبية كبريطانيا وإسبانيا وهولندا بنقل أموال إلى هذه المنظمة لتمويل نشاطاتها، الأمر الذي حدا بوزارة الخارجية الإسرائيلية لتقديم احتجاج إلى هذه الدول جراء ذلك، وقد وصفت منظمات حقوق الإنسان خطوة إسرائيل الاحتجاجية بأنها عدوانية وطالبوها بالكف عنها.

وتتعامل المنظمة مع الحالات التي يقوم فيها الجنود الإسرائيليون والمستوطنات بالعمل بصورة غير صحيحة، أو ارتكبوا أعمالاً إجرامية أو نكلوا بالفلسطينيين، وتقول المنظمة أن من ضمن الجرائم التي تم ارتكابها جرائم سرقة وسلب وفساد وإطلاق نار بصورة غير مشروعة، وممارسة أعمال غير مشروعة، وممارسة أعمال غير أخلاقية تحت اسم القانون.

وتفيد المنظمة أن القادة والضباط الكبار على علم بهذه الممارسات، ويقول الجنود في شهاداتهم أن هذه العمليات العسكرية غيرتهم ولا زالت تغيرهم بصورة جذرية.

وترمي المنظمة من عملياتها إلى دفع الجماهير الإسرائيلية لمواجهة ما يحدث في المناطق المحتلة، والاعتراف بالثمن الباهظ الذي يدفعه المجتمع الإسرائيلي جراء هذا الواقع.

وفـي حزيـران 2004 أقامـت المنظمـة معرضـا للـصور والمعروضـات تحـت اسـم "جنـود يتحدثون عن الخليل" في كلية تل أبيب، وقد قام محققو شرطة التحقيقات العسكرية بزيارة المعرض وأخذوا نماذج من المعروضات لتفحصها والتحقيق فيها.

وتقوم المنظمة في السنوات الأخيرة بإعداد جولات للخليل، وقد قاموا فـي قسم مـن هذه الجـولات بالتعـاون مـع رجـال الـصهيونية الدينيـة الواقعيـة لزيـارة مـستوطنات الخليـل، وقـد نـشبت مشاجرات خلال قسم من هذه الجولات إلـى حد استخدام العنف مع مستوطني الحـي اليهودي فـي الخليل، مما حدا بالجنود الإسرائيليين للتدخل.

وقد نظرت محكمة العدل العليـا مرات عديدة فـي مسألة هذه الزيـارات كمـا فرض الجيش قيوداً معينة على هذه الزيارات، ثم جرى إيقافها نهائياً.

وفي كانون الأول 2008 منحت رابطة حقوق المواطن في إسرائيل لمنظمـة "النحطم حاجز الصمت" وسام أميل جرينتسيفج –أحد أعضاء الحركات اليسارية الذي قام اليمين الإسرائيلي بقتلـه في إحدى المظاهرات-وقد أشارت هيئة منح الجائزة في قرارها إلى أن نشطاء منظمـة "النحطم حاجز الصمت" نجحوا خلال سني عملهم الأربعة فـي إظهـار واقـع كئيب أمـام أعين الجمـاهير والمجتمـع الإسرائيلي لقد قـام نـشطاء المنظمـة بـإجراء مئـات المقـابلات مـع الجنـود الذين خـدموا فـي المنـاطق المحتلة، وقاموا بعرض شهاداتهم كما هي مع الحفاظ على شخصية الجندي الذي يدلي بشهادته طي الكتمان، بغية تشجيع المزيد من الجنود على كشف الحقائق.

إن الشهادات التي أدلى بها الجنود وتنوعها ومحتواها الصارم يؤلفان صورة عمليـة حول العلاقة القائمة بين الممارسات اليومية للاحتلال وبين انتهاك حقوق الإنسان في المناطق المحتلة.

في إطار محاربتها لمنظمة "شوفريم شتيكاه"

إسرائيل تطالب بريطانيا بإيضاحات حول أسباب تمويلها

تستمر إسرائيل بالعمل ضد مصادر تمويل منظمة "شوفريم شتيكاه" (لنحطم حاجز الصمت) التي عرضت في تقريرها الأخير شهادات لعدد كبير من الجنود الذين شاركوا في الحرب على غزة (عملية الرصاص المصبوب) أكدوا فيها استخدام جنود الجيش الإسرائيلي لفلسطينيين كدروع بشرية.

وقالت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية أن رافي باراك مساعد مدير عام وزارة الخارجية أعرب عن قلقه من التمويل الذي تقدمه بريطانيا لهذه المنظمة وذلك في اللقاء الذي عقده مع توم فيليبس سفير بريطانيا في إسرائيل.

وكان باراك قد التقى فيليبس من أجل الحديث معه حول محاولات أوساط مختلفة في بريطانيا لفرض مقاطعة على إسرائيل وعرض خلال اللقاء قضية تمويل وزارة الخارجية البريطانية لمنظمة (شوفريم شتيكاه) وطالب بإيضاحات حول أسباب التمويل وإذا ما كان التمويل قد استخدم لإعداد تقرير المنظمة المذكورة، وذلك بعد أن سلمت احتجاجاً للحكومة الهولندية، أرفقته بطلب لوقف تمويل المنظمة، وكانت هولندا قد نقلت للمنظمة مبلغ 19995 يورو عام 2009 من أجل إعداد التقرير حول "عملية الرصاص المصبوب"، وتعهدت وزارة الخارجية الهولندية في أعقاب الاحتجاج الإسرائيلي بإعادة دراسة تمويل هذه المنظمة.

وعقبت "شوفريم شتيكاه" بحدة على مواقف وزارة الخارجية، وأكدت في بيان أصدرته أن "وزارة الخارجية تقوم بـ "مطاردة خطيرة للديمقراطية" وأن "محاولات فرض الصمت على أصوات المجتمع المدني خطيرة.

إسرائيل تحتج على قيام هولندا بتحويل أموال لمنظمة "لنحطم حاجز الصمت"

ذكرت صحيفة هآرتس أن وزارة الخارجية توجهت إلى الحكومة الهولندية وأعربت عن احتجاجها على المبالغ المالية التي سلمتها سفارتها في تل أبيب إلى منظمة حقوق الإنسان "لنحطم حاجز الصمت" والتي نشرت تقريراً عن استخدام الجيش الإسرائيلي للفلسطينيين كترس بشري خلال حرب الرصاص المصبوب على غزة، وهو الأمر الذي نفاه الجيش بشدة. وقد طالبت إسرائيل الحكومة الهولندية إعادة النظر في التمويل الذي تقدمه إلى المنظمة.

وذكرت الجريدة أن السفير الإسرائيلي في لاهاي كاري كني طل توجه للقاء مدير عام وزارة الخارجية الهولندية وطرح أمامه المشكلة وأعرب عن دهشته من المسلكية الهولندية وألمح إلى ضرورة وقف هذه المساعدات:" إن إسرائيل دولة ديمقراطية ومن الأفضل الاستثمار في أماكن ديمقراطية بدلاً من الاستثمار في مثل هذه المنظمات".

ومن الجدير بالذكر أن السفارة الهولندية في إسرائيل سلمت منظمة لنحطم حاجز الصمت مبلغ 19995 يورو من أجل إعداد تقريرها لعام 2009.

هولندا توقف التمويل

قدمت وزارة الخارجية الإسرائيلية احتجاجاً للحكومة الهولندية بسبب تمويل نقلته السفارة الهولندية في تل أبيب لمنظمة حقوق الإنسان "شوفريم شتيكاه" (لنحطم حاجز الصمت) والتي نشرت تقريراً حول استخدام جنود الجيش الإسرائيلي فلسطينيين كدروع بشرية خلال الحرب على غزة "عملية الرصاص المصبوب" وقد نفى الجيش الإسرائيلي بشدة صحة الشهادات التي أدلى بها جنود حول هذا الموضوع لأعضاء

المنظمة المذكورة وطالبت الحكومة الإسرائيلية هولندا بإعادة دراسة استمرار تمويل هذه المنظمة.

وقالت صحيفة "هآرتس" أن هاري كني-طال سفير إسرائيل في لاهاي عقد اجتماعاً مع مدير عام وزارة الخارجية الهولندية وعرض عليه قضية التمويل الهولندي لمنظمة "شوفريم شتيكاه" وأعرب السفير الإسرائيلي عن استغرابه من هذا التمويل وأشار إلى ضرورة وقفه.

وقال مصدر سياسي إسرائيلي أن السفير أضاف بأن إسرائيل دولة ديمقراطية ومن الأفضل الاستثمار في دولة لا ديمقراطية فيها، وأكد أن المنظمة "شوفريم شتيكاه" هي منظمة قانونية مشروعة، لكن تمويلها غير معقول في ضوء الحساسية السياسية، وليس من المعقول تمويل حكومة صديقة لمؤسسة معارضة لسنا دولة عالم ثالث.

واتضح بأن مكسيم فرهاحن وزير خارجية هولندا، والذي يعتبر أحد كبار أصدقاء إسرائيل في الاتحاد الأوروبي لم يعرف بهذا التمويل واكتشف ذلك بعد قراءته مقالاً نشرته صحيفة "جروساليم بوست" وعقب بسبب عدم إطلاعه على ذلك ووبخ كبار المسؤولين في مكتبه وأجرى تحقيقاً داخلياً.

واتضح من التحقيق الذي سلم للسفير الإسرائيلي في لاهاي أن السفارة الهولندية في تل أبيب نقلت لـ "شوفريم شتيكاه" مبلغ 19.995 يورو من أجل صياغة التقرير السنوي للعام 2009 والذي تناول الحرب في غزة، واتضح بأن المبلغ يقل بخمسة يورو عن المبلغ الذي يستوجب الحصول على مصادقة وزارة الخارجية في لاهاي.

وأطلع مدير عام وزارة الخارجية الهولندية السفير الإسرائيلي بأنه وجراء التحقيق الداخلي تمت إعادة تقييم تمويل منظمة "شوفريم شتيكاه" وذلك بسبب الحساسية السياسية للنشاطات التي تعمل بها المنظمة وقال مدير عام الوزارة بأن أسبانيا أيضاً تمول المنظمة، وقال مصدر سياسي إسرائيلي أن المنظمة حصلت أيضاً على تمويل بريطاني، ومع ذلك لم تقدم إسرائيل احتجاجاً لأسبانيا وبريطانيا.

يـذكر أن تقـديم الـسفير الإسـرائيلي احتجاجـا لـوزارة الخارجيـة الهولنديـة لـم يكـن بمبادرة منه بل بتوجيه من وزارة الخارجية الإسرائيلية.

وعلـم مـن وزارة الخارجيـة تعقيبـا علـى هـذا النبـأ أنـه لـم يـتم إصـدار توجيـه للـسفير بهـذا الخـصوص مـن مكتـب افيغـدور ليبرمـان فـي الخارجيـة ورفـضت الـوزارة التعقيـب علـى باقي تفاصيل القضية.

أوامر فتح النار الصادرة عن
الجيش للجنود الإسرائيليين

*عام:

آلية إطلاق النار هي وسيلة قاتلة قد يفضي استخدامها إلى تعريض حياة أو صحة الإنسان للخطر سواء أكان مستخدم السلاح أو غيره، لذا فإن استخدام السلاح يجب أن يتم فقط وفقاً للقانون.

*أوصاف:

- تعريض الحياة للخطر: الخطر الذي قد يشمل وفاة الإنسان أو إصابته بإصابات خطرة.
- أسلحة ساخنة: الآليات التي تطلق النار، القنابل اليدوية، الزجاجات الحارقة، العبوات الناسفة .. وما شابه.
- أسلحة باردة: سكين، خنجر، ساطور، هراوات، قضبان حديدية ومعدنية.
- تحذير مسبق: الإعلان عن وجود نية لفتح النار إذا لم يتوقف الاعتداء.

*أوامر فتح النار في حالة تعريض الحياة للخطر:

-استخدام السلاح مسموح به إذا كانت هناك حاجة لاستخدامه فوراً من أجل صد اعتداء غير قانوني تم تنفيذه بأسلحة ساخنة أو باردة والذي يمكنه أن يعرض الحياة للخطر بالنسبة لمطلقي النار أو لغيره.

-استخدام الأسلحة النارية للدفاع عن النفس يكون بمثابة الحل الأخير وبمستوى الحذر اللازم، وعندما لا تكون هناك طريقة أخرى في الحالة المذكورة للتغلب على المعتدي.

-فتح النار يتم فقط كخيار أخير بعد أن تتم دراسة واستنفاد جميع الخطوات الأخرى لوقف المعتدي، بما فيها توجيه تحذير مسبق له وشريطة أن لا تعرض هذه الخطوات حياة مطلقي النار أو الغير للخطر.

-يسمح من أجل دفع الاعتداء الذي يعرض الحياة للخطر بإطلاق النار باتجاه جسد المهاجم بغية إصابته بصورة تحول دون تمكينه من إتمام اعتدائه، وإذا كان بالإمكان وقف العدوان عبر إطلاق النار باتجاه ساقي المعتدي ينبغي تفضيل إطلاق النار باتجاه ساقيه، وينبغي وقف النار حال توقف الاعتداء ولم يعد هناك خطر يهدد الحياة.

-إطلاق النار-مثلما أوردناه آنفاً يتم فقط باتجاه المعتدي بإطلاق عيار ناري وحيد وموجه مع أخذ وسائل الحذر للحيلولة دون إلحاق الأذى بالأبرياء الموجودين في مجال النيران.

-إذا فر المعتدي ومعه سلاحه، رغم أنه لا زال يعرض الحياة للخطر، يمكن إطلاق النار باتجاه ساقيه، وإذا لم يكن ذلك كافياً لوقف الخطر، يمكن إطلاق النار باتجاه جسمه بغية الحيلولة دون استمرارية الخطر أو للحيلولة دون تعريضه حياة الآخرين للخطر أثناء فراره. أما إذا فر المعتدي دون سلاحه فلا يجب إطلاق النار عليه.

-لا يجب إطلاق النار للدفاع عن الممتلكات عندما لا تعرض مسالة الاستيلاء على الممتلكات الحياة للخطر.

-يجب إعلام أقرب مركز شرطة بإطلاق النار.

إن التوقيع على هذا المستند يعني أنك قرأت وفهمت جميع الأوامر الخاصة بإطلاق النار، وأنك ملتزم باستخدام السلاح وفقاً للأوامر.

الاسم: التاريخ

التوقيع

*اعتقال مشبوه

إجراءات فتح النار مشمولة بأوامر قيادة هيئة الأركان الإسرائيلية، ورغم ذلك بمقدور الضباط برتبة لواء تغيير هذه الأوامر وفقاً للشروط التي يتعايش معها جنودهم، وهذه الأوامر تتغير

من خط مواجهة إلى آخر، بيد أن البنية الأساسية للأوامر في حالة اكتشاف أو تشخيص شخص مشبوه هي على النحو التالي:

*يصرخ الجندي باتجاه المشبوه قائلاً: قف.

*يصرخ الجندي قائلاً: توقف، توقف وعرف عن نفسك.

*يصرخ الجندي قائلاً: توقف أو أنني سأطلق النار.

*يكرر الجندي أقواله مرة أخرى باللغة العربية: وقف وإلا راح أطخك.

*يوجه الجندي سلاحه بمستوى ستين درجة نحو منطقة لا يوجد فيها أشخاص، ويعد سلاحه للإطلاق بصورة ظاهرة دون مخزن رصاص من أجل الردع فقط.

*يوجه الجندي سلاحه بمستوى ستين درجة ويضع مخزن الرصاص في سلاحه.

*يوجه الجندي سلاحه بمستوى ستين درجة باتجاه منطقة لا يوجد فيها أشخاص ويطلق عيارين ناريين للتحذير.

وإذا كان سلاح الجندي مذخّر منذ البداية، فإن الأوامر تقتضي منه أن يسحب أقسام سلاحه بصورة تظاهرية من أجل الردع، ثم يطلق عيارين ناريين للتحذير.

*الجندي يطلق النار باتجاه ساقي المشبوه.

*يسمح للجندي أن يطلق النار باتجاه جسم المشبوه من أجل القتل إذا كان المشبوه يعرض حياته أو حياة شخص ثالث للخطر بصورة واضحة وفورية.

ويتم تنفيذ هذه الخطوات بشكل تسلسلي متتابع حتى يتوقف المشبوه ويعرف عن نفسه. وفي هذه الحالة يجب على الجندي أن يعمل وفقاً لأوامر اعتقال مشبوه. وفي حالة شروع المشبوه بإطلاق النار على الجندي أو على أشخاص آخرين في المنطقة أو يعرض الحياة للخطر يطلق الجندي النار باتجاهه بقصد القتل.

وكذلك الأمر في الحالات التي يحاولون فيها اختطاف الجندي أو سلاحه فإن من المسموح له أن يطلق النار بقصد القتل وفقاً لإجراءات الأوامر.

إن رشق الحجارة، التي في الغالب لا تشكل خطراً حقيقياً لا يبرر إطلاق النار بقصد القتل.

هذه الأوامر تعتبر أقل تشدداً في حالات الحروب حيث يسمح للجنود بإطلاق النار على كل شخص أو سيارة عسكرية يتم تشخيصها كعدو.

بناء على قرار كادر القيادة، فإن إجراءات فتح النار تتغير من إجراءات سلبية- إطلاق نار كرد فقط حال تشخيص عدو إلى إجراءات ذات طابع نشط أثناء العمليات العسكرية والعكس صحيح.

شهادات من عملية
"الرصاص المصبوب"

الباب الأول

تخريب ممتلكات

*سلب وسرقة

قام أحد الجنود الموجودين في الغرفة بفتح حقيبة مدرسية لطفل فلسطيني، لم يكن أحد في المنزل فقد فر الجميع، وأخرج كتب وكراسات الطفل ومزقها، في حين قام جندي آخر بتحطيم خزائن للتلذذ، وفي محاولة لإضاعة الملل والضجر، وقبل أن نغادر المنزل بعد أسبوع من البقاء فيه، نشب جدل بين الجنود وضابط الصف حول عدم سماحه لهم بتحطيم الصورة المعلقة هناك، وقالوا: أن الجدل الذي نشب كان يتناول صغائر الأمور، والحقيقة هي أن ضابط الصف صرخ فيهم قائلا: أنتم تهتمون بالأمور التافهة في حين أن هناك مسألة إنسانية.

س: هل تتذكر أعمال تخريب أخرى.

ج: لقد قامت خلية القيادة الأمامية بكتابة عبارة "الموت للعرب" على الجدران.

س: قلت: أنهم سألوا لماذا لم يسمحوا لهم بتحطيم الصورة التي على الجدار؟؟

ج: هذا بسبب الأجواء التي كانت سائدة، فبعد أن خرجنا من هناك سمعت عن الرسالة التي بعث بها جنود الاحتياط والتي أعربوا فيها عن أسفهم، وحينها فكرت أن هذا عالم آخر، ففي أعقاب الأجواء التي سادت لم أتعامل أنا مع المنزل الذي كنا فيه على أساس أنه يتوجب عليّ الحفاظ عليه، فعلى سبيل المثال قمت ذات مرة بقضاء حاجتي على سطح المنزل لأنني لم أجد مكاناً آخر أقضي فيه حاجتي ولم أعتقد أنه يتوجب علي ترك المنزل نظيفاً لقد كانت الأجواء السائدة على هذا النحو.

أما فيما يتعلق بعمليات السرقة: لقد قام قائد السرية، وبأمر من قائد الكتيبة بعملية فحص مخجلة لنا فيما إذا كنا قد سرقنا شيئاً. كيف فعل ذلك؟؟

إنه لم يأمر القادة بتفتيش الجنود جندياً إثر الآخر، بل قام بتقسيمنا إلى قسمين، وقال: على كل جندي أن يفتش الآخر، وإذا ما عثر على شيء، لا يجب أن يصرخ، بل يجب أن يأتي إلي بصورة سرية أو إلى القائم بأعمال القائد وينبئه بذلك، ومن الواضح تماماً أن قائد السرية إما ساذج أو أنه لا يريد أن يتم اكتشاف شيء من السرقات.

س: وهل قمتم بتفتيش أحدكم الآخر؟

ج: كانت لعبة، وأنا واثق من أنه كانت هناك عمليات سرقة وسلب، لكنني لا أستطيع أن أحدد لك الآن الأمر بدقة.

وقال جندي آخر في شهادته:" اقتحمنا بوحشية، ووصلنا إلى المنزل المحدد لنا، وجمعنا جميع السكان في الأسفل، ونظراً لأنه كان معنا محقق أسري، فلم نقم بإطلاق سراحهم فوراً، بل أطلقنا سراح النساء والأطفال، وقلنا لهم أن يسيروا باتجاه معين، وأعلمنا الجنود بأجهزة الاتصال أن النساء والأطفال سيسيرون بهذا الاتجاه كي لا يطلقوا النار عليهم.

قمنا باقتحام طابق إثر الآخر، ومعنا قائد الكتيبة، وقمنا بتحطيم جميع الأبواب بالعبوات الناسفة، ونظراً لأنه كان هناك الكثير من الأبواب، فقد وضعنا عدداً كبيراً من العبوات الناسفة، وأدركنا أن لا وجود للمخربين في الغرف وحينها جلسنا لنرتاح، لم يكن أحد في الطوابق وقد دخل الجنود إلى كل مكان، وبدأ الجنود يحطمون شاشات التلفزة والحواسيب، ويفتشون الأدراج بحثاً عن الأشياء المثيرة مثل كوفيات وأعلام حماس والسكاكين، كانوا يفتشون الأدراج للسرقة، لكننا أدركنا بعد وقت قصير أنه لا يوجد ما يمكننا سرقته، لأن السكان كانوا يعلمون أننا قادمون، وأخذوا كل ما يمكن سرقته معهم".

س: هل أخذ الجنود شيئاً؟؟

ج: لم يكن هناك أية مبالغ نقدية، لكن كانت هناك كوفيات حماس، حقاً أن هذا الوضع ليس أخلاقياً ولا قيمياً ولا جيداً، بيد أنه كان هناك حالات أسوأ من ذلك، وحتى لو اكتشفنا أن جندياً أخذ شيئاً ما، فما الذي سيفعلونه؟ هل سيقدمونه إلى المحاكمة؟ لقد فهمت أنه عندما تخوض المعركة،

فإن الأمر الوحيد الذي يبقى بين الجنود هو الثقة وإذا ما وشيت بأحد ما، فسوف تخسر ثقة الجنود، وفي الكثير من الأحيان فإن الأمر لا يستحق ذلك.

س: قلت أنه كانت هناك أمور أسوأ على الصعيد الأخلاقي؟؟

ج: بالنسبة لي كانت عمليات إطلاق النار أسوأ لقد كان الجنود يفتشون عن مخربين، ويسعون لإثارة عصبية الأسرى، كما أن أسلوب التعامل معهم كان فظيعاً. لست أستطيع أن أفهم الطريقة التي يثقفونهم بها أبداً فإذا ما أخذ شخص ما كوفيه حماس فإن من الصعب أن أشعر بالذنب تجاه حماس، حقاً أن هذه ممتلكات بيد أنها تعود لحماس.

س: كيف كان تعاملكم مع المنازل التي مكثتم فيها ؟

ج: كان الجنود يحطمون الأشياء عبثاً، بل لقد كان بعض الجنود يعملون طيلة الوقت على تدمير وتخريب كل شيء لقد رسموا الصور على الجدران، صوراً مثيرة للاشمئزاز وحطموا مقاعد، وأرادوا تحطيم صورة على الجدار ولم يعرفوا لماذا يفعلون ذلك.

س: لماذا حدث ذلك في غزة على عكس الجبهات الأخرى؟؟

ج: عندما نقوم بعملية رسم خرائط، فإن العائلات تراقبك أما في غزة فأنت لا تعرف فيما إذا كان المنزل منزل مخرب أو لا، لذا كان الافتراض السائد هو أن الجميع مخربون، ومن ثم فإن من المشروع أن نفعل كل ما يحلو لنا. وإزاء كون غزة مكاناً خطراً، فإننا نطلق أيدي الجنود حرة.

لقد قمنا بعملية تنظيف ماذا أعني بعملية التنظيف؟ كان الجنود وهم في طريقهم للصعود أو النزول يتعثرون بمقعد أو خشبة، لذا كانوا يقومون بعملية تنظيف، وذلك يعني أن نقوم بتحطيم الخزانة وإلقائها في مكب النفايات قريباً من البيت وكذلك باقي الأثاث، أو نختار ممراً في المنزل ونلقي فيه كل ذلك.

س: ما هو شعورك حينما خرجت من غزة؟؟

ج: لقد كانت الحرب في نهاية المطاف عادلة، ومبررة، لقد فعلنا ما كان يجب أن نفعله، بيد أن التنفيذ كان دون تفكير إلى حد ما، لقد سمحوا لنا بفعل كل ما نرغب في فعله .. من الذي سيقول لنا لا..

*لنطهر المبنى:

قال جندي آخر:

وصلنا إلى هناك في ساعات الصباح، وكانت الدبابات تسير أمامنا وخلفنا وإلى جوارنا، وتغطي علينا دائماً وعندما ندخل المدينة نفسها نثير ضجة شديدة، وعندما نصل إلى الهدف الذي يجب ان نعسكر بالقرب منه، نرى أيدينا من التوتر متشنجة وتكاد لا تتحرك، فنقوم بإنزال حملنا ونضع معداتنا تحت أحد الأبنية في شرفة مدخل صغيرة، وتقوم سرية أخرى بالدخول إلى المبنى وتطهيره، حيث نقوم بإنزال العائلات إلى الأسفل، أطفال، ونساء وأولاد، لقد أنزلوهم جميعاً في الوقت الذي بدأت فيه السرية عملية التطهير.

س: هل كان التطهير يجري بالنيران الحية؟؟

ج: نعم، لقد أنزلوا الأولاد والنساء. لقد كانت الدبابات طيلة الوقت تقوم بعمليات القصف حولنا، لم يكن المكان بلدة قديمة، بل كانت منازل متلاصقة وبينها مساحات صغيرة مفتوحة، كنا نقوم بتطويق كتلة من المنازل ونتمترس بالقرب من أحد المباني، وحولنا الدبابات والنيران، ولا أستطيع أن أقول لك على من كانت الدبابات تطلق النار، لقد كانت تطلق النار وكفى.

س: إلى أين أرسلتم سكان المباني؟؟

ج: لا أعلم، لقد أرسلناهم بعيداً عن كتلة المنازل، ولا توجد لدي أية فكرة إلى أين ذهبوا، لقد كانت الدبابات تقصف المنازل المطلة علينا.

س: أي أنك لا تعلم ما الذي حدث للسكان، ولا كم كان عددهم هناك؟

ج: كان عددهم حوالي خمسة عشر شخصاً، وقد ساروا في مجموعة، وآمل أن الجنود لم يطلقوا النار عليهم، لقد ذهبت النساء والأطفال في حين أبقينا الرجال للتحقيق معهم.

س: كم كان عدد الرجال؟

ج: تقريباً خمسة عشر رجلاً، وقد بقوا في الطابق الأسفل مع المحققين، وعندما غادرنا المبنى، كانوا لا يزالون باقين.

س: ما هي أعمارهم؟

ج: من جميع الأعمار، من سن الثالثة عشرة وحتى الكهول.

س: أبقيتم جميع الذكور؟ كيف اتخذتم القرار بشأن من سيذهب مع النساء، ومن سيبقى؟

ج: لا أعرف، كان من بين الباقين أولاد كبار.

س: ما هو حجم المبنى؟

ج: ثمانية أو تسعة طوابق، وكل طابق عبارة عن ممر مع بابين في كل جانب، أي في كل طابق أربعة أبواب، وهناك درج في كل جانب، كانت جميع الشقق تبدو متشابهة، كل واحدة كانت مؤثثة بصورة جميلة مختلفة، إن الانطباع الذي تعطيه هذه الشقق يدل على الثراء، وقد عثرنا في بعض الشقق على معدات حربية ووثائق، وقد قال بعض الجنود أن هناك احتمالاً لوجود عبوات ناسفة، وفي هذه الأثناء تم تجميع الرجال في الأسفل، في إحدى الغرف وقام جنديان أو ثلاثة بحراستهم.

كانت جميع الأبواب حديدية ومغلقة، فقمنا بتحطيمها بالعبوات الناسفة القوية، وفي لحظة بدا أن كل شيء يطير في الهواء من العبوات الناسفة، لقد صعد نائب قائد السرية مع ثلاثة أو أربعة جنود إلى الطابق العلوي، وأخذوا بتفجير باب أو اثنين في آن واحد في الوقت الذي نكون نحن أسفل منهم طابق أو طابقين، ونسد آذاننا بأصابعنا ونشعر أن قلوبنا ستخلع من صدورنا جراء التفجير، ثم يصعد نائب القائد ومعه جنديان أو ثلاثة لتطهير المنازل بالرصاص الحي، وهناك يتجول الجنود داخل المنازل ويفعلون كل ما يحلو لهم، حيث تبدو سيطرة نائب القائد عليهم ضئيلة. وفي بعض الحالات كان الجنود يملون الصعود إلى الطبقات العليا لتخريب الممتلكات، فكانوا يطوفون بالطوابق السفلى ويخربون ما شاء لهم التخريب، بل هناك حالات حدث فيها تخريب لا لزوم له أبداً، كان الجنود عصبيين، لذا حطموا وكالوا الضربات وألقوا إلى الأرض العديد من الأشياء، فقد يمر أحد الجنود بالقرب من صورة فيضربها بعقب بندقيته ليحطمها، لم يكن القادة يسيطرون عليهم، وكان الجنود يتجولون أحراراً في المبنى، ويفعلون ما يحلو لهم.

س: وسلب ونهب؟

ج: حسبما سمعت، فقد حدث ذلك أيضاً.

س: كم احتاجت الأبواب من الوقت لتدميرها؟

ج: زمناً طويلاً.

س: كم من الوقت مكثتم في هذه المباني؟

ج: حتى استكملنا عملية التطهير، وكانت الفترة تتراوح بين خمس إلى ست ساعات.

س: هل كانت هناك مقاومة عندما كنتم داخل المبنى؟

ج: كان هناك قتال من قبل سرية في أحد المباني إلى جوارنا، وكانت جميع الدبابات تطلق النار وقد عرفت فيما بعد أن المبنى الذي كنا فيه أصيب بعدة صواريخ (آر.بي.جيه)، لقد كان المبنى كبيراً، ويبدو أنه أصيب بالكثير دون أن ننتبه لذلك بسبب القصف الشديد الذي كانت تقوم به الدبابات.

س: ما الذي حدث في المبنى؟؟ هل تتذكر حوادث خاصة؟؟ هل شعرت بعدم القدرة على السيطرة على نفسك؟

ج: نعم، شعرت بأنه لم تكن هناك رغبة في التدمير، بيد أنه لم تكن هناك سيطرة على الجنود.

س: على أية مستويات؟؟

ج: بمقدور أي جندي التجوال وأخذ كل ما يريد من الشقق، كان الجنود يجلسون على المقاعد، وعلى أية حال لم يدر قتال حقيقي داخل المبنى، بل عثرنا في بعض المنازل على معدات حربية، وساورتنا مخاوف من احتمال وجود عبوات ناسفة، لكن عندما كان الجنود يقومون بتطهير الطوابق العليا كان الباقون يجلسون في الأسفل على المقاعد، وأحياناً يخرجون شيئاً ما من الخزائن ويلقونه أرضاً، ويحطمون الصور وجميع الأشياء التي تقع تحت أيديهم، ولست أذكر حالة خاصة، إن ما يقلقني هي الأشياء التي لم أرها.

ج: بسبب أجواء عدم السيطرة التي كانت مستشرية.

س: هل جرى حديث حول السلب والنهب؟

ج: نعم جرى حديث حول ذلك.

س: ماذا يعني ذلك؟

ج: جرى الحديث همساً، لأن الجنود ليسوا أغبياء، وبعد أن خرجنا من المبنى جرت عملية تفتيش تدل على أن من خطط لها لم يكن يقصد أن يتم العثور على شيء مما سرق.

س: لماذا؟

ج: عندما قدم القادة إلى الغرفة كانت مكتظة بالجنود كما أنهم كانوا يعرفون مسبقاً أنه سيتم تفتيشهم.

س: هل بدا القادة مهتمين بحدوث سرقات؟؟

ج: لا أدري، فقائد السرية لم يرغب في الخوض في هذه المسألة والاصطدام مباشرة مع الجنود.

س: هل تساهل في أمور أخرى مثل العقوبات؟ هل فرض الانضباط أو تغاضى عنه؟

ج: كان الأمر خليطاً من هذا وذاك، ولا أعرف كيف أصف ما حدث. دعنا نقول أن أموراً صغيرة قد حدثت على صعيد النهب من المنازل، إضافة إلى التكسير والتخريب، وبشأن السلب يمكنني أن أقول أنني سمعت ولم أر، ولا أستطيع إثبات شيء بما لا يدع مجالاً للشك، كان إحساسي يشير إلى انعدام السيطرة، وقد حدث ذلك طيلة الحرب.

إن غالبية القيادات ترغب في الحفاظ على القيم، أما الجنود .... ومرة أخرى أقول إنني لم أشهد حالات نهب لكنني سمعت حديثاً حول ذلك. كما سمعت أن الجنود أطلقوا النار على شخص هنا وهناك، لكنني لا أستطيع إثبات ذلك.

س: هل كان قائد السرية يأتي، ويفحص الأمور لثانيتين ثم ينتقلون من مكان إلى آخر؟

ج: نعم، ولا أعتقد أن هناك قادة لجأوا إلى أساليب غير أخلاقية، بيد أنهم لم يواجهوا الجنود بالشدة اللازمة.

س: هل كان لديك إحساس بأنه لو أجرى القادة تفتيشاً حقيقياً، فسوف يعثرون على أشياء لا يريدون العثور عليها؟

ج: كان لدي إحساس بضرورة كشف من قام بأعمال السلب والنهب، بيد أنهم كانوا يبدون وكأنهم يخشون من العثور على شيء لا يودون العثور عليه.

– هذا منزل عائلة وستعود إليه:

قال جندي:

عندما كان الجنود يفتشون عن المعدات الحربية داخل المباني كان أحدهم يعمد إلى إلقاء الأثاث والأشياء إلى الأرض كانت هناك انتهاكات من هذا القبيل، والجنود الذين فعلوا ذلك، كانوا من أولئك الذين ينادون بضرورة تحطيم العرب، وهم لا يكنون أي احترام لممتلكات العائلات بيد أن الأمور لم تصل إلى حد إضرام النيران أو إلقاء الحاجيات من النوافذ.

س: وهل توقف ذلك؟

ج: كان أحد الجنود يتوقف، فيبدأ آخر بممارسة نفس الأفعال، ويكتبون على الجدران.

س: ماذا يكتبون على الجدران؟

ج: يكتبون: "إلى متى"، أو سنقتل العرب".

س: من أين أتى كل ذلك حسب رأيك، فالأمر لا يتعلق بجندي وحيد في كل كتيبة؟؟

ج: إن الكتابة على الجدران ليست ناجمة عن كراهية العرب، بل من كونك جندياً، فالجندي اعتاد الكتابة على جدران موقعه أو أثناء الخدمة، هذه مسألة طبيعية بالنسبة للجنود.

س: لكنك في بيت؟

ج: صحيح، يجب أن نفكر على هذا النحو كي ندرك أننا في بيت، لكننا لا نفكر على هذا النحو، فعلى سبيل المثال كنا نتصرف في البيت الذي اقتحمناه وعسكرنا فيه وكأنه بيتنا، فنخلع البلاط كي لا نعد أكياساً من الرمل أو كي نبني موقعاً، وأنت لا تفكر أبداً في ذلك، ولا تفكر في أن هذا المنزل هو منزل عائلة وستعود إليه.

س: هل استخدمتم المعدات في المنازل رغم وجود قوانين تتعلق بذلك؟

ج: هناك قوانين، لكن لا أحد يتعامل معها.

س: هل ترى أن تكسير الأشياء أمر عادي؟؟ وهل الكتابة على الجدران أيضاً أمر عادي؟ ما هي خلفية كل ذلك حسب رأيك؟

ج: الحماس الذي صاحب العمليات العسكرية، وكذلك العنصرية فالذين حطموا الأشياء حطموها لأنها تعود للعرب، وفي ظل ذلك لا ترى بأساً في الكتابة على الجدران. لو كنت أنا صاحب المنزل وعدت إليه وشاهدت جداراً مهدوماً، كنت سأشعر بالحزن على الحقل الذي اختفى أكثر من ذلك، فقد كانت الضرورات الميدانية تتطلب إزالة كل ما يحول دون الرؤية بغية الحيلولة دون وقوع عمليات تسلل من خلايا صواريخ القسام، وفي إطار كل ذلك لا يبدو شيء سيئاً.

س: هل كان حجم الدمار حولكم كبيراً؟ وما الذي تم تدميره؟

ج: البيارات بشكل خاص، والمنازل والتي هدم قسم منها، كانت الدبابات تقتحم المنازل وهي تعود إلى الخلف من أجل فتح فتحات للرؤية في الطابق الأرضي، وكذلك القنابل كانت تفتح ثغرات، والجرافات أيضاً كان لها نصيب كبير في ذلك.

س: هل كانت الجرافات تعمل حولكم طيلة الوقت؟؟

ج: نعم، تقريباً طيلة الوقت.

س: ما الذي كانت تدمره؟؟

ج: البيارات أولاً، ثم المنازل المجاورة بغية فتح محاور طرق ولمنع وجود مخابئ في أية منطقة من المنازل، كانت تفتح محاور قاسية جداً، محاور لم يكن لها وجود، وكانت تقوم بدلاً منها منازل وبيارات ودفيئات. ونظراً لأن المنزل الذي كنا نعسكر فيه كان يقوم في طرف بعيد، فقد أقامت الجرافات حوله حاجزاً من الرمل يصعب إطلاق النار علينا عبره من المنازل القريبة، كانت الجرافات تغير طبيعة المنطقة في كل لحظة.

*تدريبات (....) إلقاء قنابل في غزة

- قال جندي آخر:

اقتحمنا منزلاً ومشطناه، وقد عثرنا أثناء التمشيط على أشياء لم يعثروا عليها قبلاً، عثرنا على بندقية كلاشينكوف وقنابل يدوية تحت أحد الأسرة. كان ذلك المنزل منزل أحد نشطاء حركة

فتح، فقد كانت له صور بصحبة عرفات، كما وجدنا في المنزل، رجلاً كهلاً مريضاً بالسكري ويجد صعوبة بالغة في السير، لقد غادرت أسرته المنزل وبقي هو وحده معنا طيلة الأسبوع.

س: هل أبقيتموه في الداخل؟

ج: نعم، لقد بقي داخل البيت ثلاثة أسابيع كان يسكن في الطابق الأسفل، في حين يسكن في الطابق الأعلى صهره وابنته. وقد أقام الجنود موقع حراسة على باب العمارة، ووضعوا له خشبة بالقرب من الباب، وقد شاهدته نائماً هناك طيلة الأسبوع.

وفي مرحلة ما كان من الصعب عليه القيام، فطلب أن نعطيه سريراً كي يتمكن من النهوض بسهولة، وقد أحضرنا له في مرحلة ما طعاماً، وبدأنا نطبخ ونأكل من الطعام الموجود في البيت رغم أن الجيش كان يزودنا بالطعام لكن طعام الجيش كان ساندويشات، فقام أحد الجنود بالطبخ في المنزل. لقد بدا في البداية أن من غير العدل أن نطبخ من طعام المنزل، لكن من الصعب أن تحكم على ذلك حينما تمكث أسبوعاً في بيت وتتناول طعاماً مقرفاً من الجيش، وقد أحضرنا طبيب الوحدة للكهل كي يراه وجرى الحديث عن إخلائه من المنزل، فمسؤول جهاز الأمن العام الذي كان معنا لم يرغب في وجوده لأنه لا يوجد ما يفعله معه، وقد قال الطبيب أن حياته حالياً لا تتعرض للخطر، لكن إذا كنا سنستمر فترة طويلة على هذا الوضع، فإن حياته قد تتعرض للخطر، ولا أدري ما الذي حدث معه، لأننا غادرنا المنزل في منتصف الليل وهو نائم.

س: كم يوماً بقي مع الجنود الذين يقومون بأعمال التمشيط؟؟

ج: أسبوعين، ولم تكن لديه أدنى فكرة عما يحدث في الخارج، وقد قال لنا: أخرجوني إلى الشارع كي يأخذوني إلى المستشفى، فقلنا له: لم يعد هناك طريق، فقد دمرتها الجرافات، وفي وقت ما لم يعد هناك ماء فقال: أن هناك حنفية قريبة في البيت المجاور يمكن أخذ الماء منها. فقلنا له أنه لم يعد وجود للبيت المجاور، فقد دمرناه، فبدا شديد الذهول حينما خرج إلى الشارع وشاهد الحي المدمر.

لقد تم تدمير قسم من المنازل لأنه كان فيها مسلحون، وقسم آخر دمر نظراً لأن الجنود خشوا من أن يكون فيها أنفاق، وقسم آخر من المنازل أزاله الجنود لأنها كانت تسد خط الرؤية، كان هذا المبرر كافياً لتدميرها. لقد قمنا بإزالة المنازل التي تحجب الرؤية والحقول والأشجار.

س: ما الذي تعنيه بالمنازل التي تحجب الرؤية؟

ج: عندما تتسلم وحدة أو سرية ما منطقة بغية الإشراف على منطقة معينة، فإن جميع المنازل التي تحد من رؤيتها يجب إزالتها.

س: وما الذي تعنيه بالخشية من وجود نفق في منزل؟

ج: لا أعرف ما الذي تقوم عليه مخاوفهم على هذا الصعيد، بيد أن هذه المخاوف تقوم في غالبية الحالات على المعلومات التي تقدمها الاستخبارات.

س: لكنهم قاموا بتمشيط منازل؟

ج: ولم يعثروا دائماً على الأنفاق، وحينها نبقى في المنزل لمدة أسبوع، ولا نفعل الكثير، بل نتمترس في مواقعنا ونقوم بالرقابة وبين وقت وآخر نقوم بعملية تمشيط جديدة، فنستولي على منزل ونمشطه، وفي مرحلة ما يقوم قائد وحدتنا باتخاذ قرار بالقيام بتدريب على إلقاء قنابل يدوية نظراً لأننا لم نتمكن من التدرب على ذلك قبل بدء القتال، وقد ذهبنا إلى أحد المنازل واخترنا إحدى الغرف، وقام كل واحد منا بإلقاء قنبلة يدوية داخلها، لقد تم تدمير المنزل كلياً، وفجأة خرجت إحدى القنابل اليدوية من النافذة وأصابت أنبوب غاز، مما أدى إلى تسرب الغاز فأوقفنا التدريبات.

وفي الكثير من الحالات ما شاهدنا المدنيين كانت قوات أخرى تقوم بتمشيط المنازل وإخراج المدنيين، وكانت القوات تجمعهم، ولا أدري ما الذي نفعله معهم. وقد دخلنا ذات مرة منزل لاجئين وقمنا بتمشيطه، وأخذناهم ووضعناهم في منزل مجاور، وأعتقد أنهم بقوا هناك طيلة الوقت، لم تكن هناك سيطرة، وقد قام الجنود باستخدامهم (كجوني)، وقد أوضح الجندي أن مصطلح (جوني) يعني استخدامهم كترس بشري في عمليات تمشيط الجنود للمنازل، ثم أطلقوا سراحهم.

- كان البيت قذراً

وفي مقابلة مع جندي آخر:

س: هل كانت في منطقتكم قوافل إنسانية؟؟

ج: لا. وأذكر أنهم قالوا مرة واحدة أن شاحنة تابعة للصليب الأحمر ستمر، لكنها لم تمر، ولا أذكر أنها مرت أو أن جندياً ما قال لي أنها مرت، وكانوا يعلنون عن وقف نار إنساني.

س: ما الذي يعنيه ذلك؟؟

ج: بصورة مبدئية كان ذلك يعني أننا لن نطلق النار، لكن لم يكن الهدوء يسود، لقد خلقت قوات لواء جبعاتي ضجة شديدة بما فيها في حالات وقف النار الإنسانية، لم يكن الهدوء يسود.

س: هل كانت قوات جبعاتي في منطقة حي الزيتون؟

ج: نعم، لقد عملوا هناك بشدة، وهناك أيضاً استخدموا القنابل الفوسفورية، لقد شاهدت ذلك بالنظارة المكبرة كانوا على بعد كيلو متر مني، وبعد أن ترى ذلك مرة واحدة يصعب أن تخطيء، وأذكر أنه كانت هناك عدة حالات لاستخدام القنابل الفوسفورية، ولا أستطيع أن أقول ما هي خلفية الاستخدام، لكنهم استخدموها هناك.

س: ما الذي شاهدته حولك هناك؟

ج: دماً آخذاً في الانتشار، ومنازل تختفي بمضي الوقت، ومناطق زراعية يتم (حرثها) وإزالتها.

س: لقد خدمت في القطاع إبان خدمتك النظامية، مما يعني أن لديك فكرة عن العمل العسكري في غزة؟؟

ج: ما حدث هذه المرة كان مختلفاً تماماً، ولا يمكن مقارنته أبداً، فالعمل هذه المرة لا يشبه أبداً ما عرفناه في العمليات التي قمنا بها على عهد عملنا في الجيش النظامي، فخلال عملنا آنذاك كانت هناك نقاط محددة، وحتى العمليات الكبيرة التي قمنا بها، العمليات اللوائية كانت ترافقها الدبابات، لكنها لم تكن مصحوبة بالمدفعية وطائرات الهيلوكبتر والطائرات العمودية المقاتلة.

س: وما الفارق على الصعيد الميداني؟

ج: ميدانياً، فإننا نسمع يومياً انفجارات تصم الآذان. أي أن الأمر لا يتعلق بمجرد قنبلة دبابة، وهو الصوت الذي ألفناه، بل انفجارات جدية تهز المواقع إلى الحد الذي قالوا لنا في فترة أنه يجب أن نخرج من البيت لأنه آيل للسقوط. لقد أخرجوا الجنود من المنزل نظراً لخشيتهم من حدوث شيء ما للمنزل.

س: هل كانت التفجيرات من وحدة الهندسة؟

ج: نعم، كانت تلك تفجيرات وحدة الهندسة، وأيضاً قنابل المدفعية تثير ضجة شديدة.

س: كيف بدا الوضع في الجوار؟

ج: سأصف لك المنزل الذي استولينا عليه: عندما تدخل إلى المنزل يخيل لك أنه مصنع، وعلى ما يبدو أنه كان منزلاً كبيراً جداً مقارنة بالمنازل الأخرى. وعندما تدخل البيت الذي استولوا عليه قبلنا باستخدام القوة والنيران، وهذا واضح، خاضوا حرباً في مناطق مبنية ومأهولة، بما فيها إلقاء قنابل يدوية وقد أدركنا ذلك من خلال الشظايا التي عثرنا عليها ومن تساقط الإسمنت. وبعد ذلك ترى أنهم حطموا قسماً من جوانب المنزل، الجوانب الإسمنتية، هذا إضافة إلى الفتحات والثغرات القائمة بين الغرف، وأعتقد أنهم فتحوها بمطرقة زنتها خمسة كيلوجرامات أو باستخدام قوالب الحجارة، لقد شاهدت مثل هذه الثغرات طيلة الوقت في كل مكان، وقد قال لي أحد الجنود أنه تم إحداث الثغرات باستخدام مطرقة زنتها خمسة كيلو جرامات.

س: هل تم اجتياح جميع المنازل بالقنابل والنار؟

ج: لا أستطيع التأكيد، بيد أنني لا أرى أي سبب يجعلني أقول أن البيت الذي كنا فيه مختلف عن الآخرين لذا، اعتقد أنهم اقتحموا جميع المنازل بالقنابل والنار. وأنا متأكد أن بعض المنازل اقتحموها على هذا النحو، واستخدموا القنابل اليدوية.

س: زملاؤك الذين فعلوا ذلك أم جنود لواء جبعاتي؟

ج: زملائي وجنود جبعاتي.

س: وزملاؤك أيضاً اجتاحوا المنازل بالقنابل والنار؟

ج: نعم، بصراحة، والحقيقة أستطيع القول مما سمعته وشاهدته أن هناك فارقاً كبيراً بيننا وبين جنود الخدمة النظامية، فجنود الخدمة النظامية لا يراعون ولا يهتمون لشيء بدءاً من النظافة الصحية البسيطة وحتى قضاء الحاجة في أي مكان من البيت، لذا يمكنك أن ترى البراز في كل مكان في الغرف وفي ساحات البيت وفي كل مكان، لقد كان البيت حينما قدمنا إليه شديد القذارة، وكان أول شيء فعلناه هو تنظيف البيت، وكذلك الأمر بالنسبة للممتلكات.

أنا لا أعرف الكثير من الناس ممن أخذوا تذكاراً، وكل ما أتذكره هو صورة أراني إياها أحد جنود جبعاتي كان قد أخذها من أحد المنازل ولا أعرف فيما إذا كان قد أعادها أم لا.

س: صورة ماذا؟

ج: أعتقد أنها كانت صورة صاحب البيت، لكنها صورة رجل في الأربعينات من حياته وهو ملتح ومعه طفل صغير يحمل كلاشينكوف، لقد اعتبر ذلك الجندي الصورة مبرراً عادلاً لكل ما فعلناه. وقد قال انظروا من هو العدو المتوحش الذي نواجهه؟؟ إنه الذي يسمح لطفل في الخامسة من العمر بحمل كلاشينكوف.

وعندما وصلنا إلى المنزل حاولنا تنظيفه، إن أكثر النقاشات التي دارت في فصيلي هي حول هل يجوز أن نستخدم زيت الزيتون في المنزل أم لا؟؟

س: والتلفزيون وباقي الأثاث كان سليماً حينما دخلتم؟؟

ج: عندما دخلنا كانت قنبلة قد دمرت جهاز تليفزيون من الجهازين اللذين كانا في البيت، لقد حاولوا الحفاظ على الأثاث، واستخدامه، وما بقي سليماً من الأشياء أخذوها.

الباب الثاني

تفعيل النيران

*كل بيت موقع صغير

جندي:

س: ما هو هدف الحرب على غزة؟

ج: كان هناك تحديد شديد الوضوح: السيطرة على المنطقة، وعندما سنكون هناك لن تجري عمليات إطلاق صواريخ قسام من المنطقة، يجب أن نوجه لحركة حماس ضربة شديدة، وبصورة عامة للمنظمات الإرهابية.

س: كيف عملتم في البداية؟ هل كانت هناك حالات دفاع؟ هل دخلتم المنازل؟

ج: بدأت سريتي بعملية الاحتلال أولاً، وقد انتظرنا قيام الكتيبتان الأخريان باحتلال هدفيهما، وحينما تنتهيان من ذلك نسير في أعقابهما.

س: هل الأهداف كانت حقول؟

ج: لا، حي، ليس بلدة قديمة، بل منازل.

س: منطقة قروية؟

ج: نعم، مداخل مدينة، وقد توقفنا أمام محور رئيسي، وحينها بدأت عمليات التغطية بالضربات والكثافة النيرانية، ثم دخلت سريتي، وصلنا إلى خط منازل على الناحية الأخرى من الطريق بعد أن وجهنا ضربات نيرانية جدية، في البداية كنا نفتح كل شبر من الأرض بالنيران.

س: ما الذي تراه أمامك؟؟ ما الذي يحتويه كل شبر من الأرض أمامك؟

ج: يشتمل هدف السرية على حزام يحيط بمجموعة من المنازل، ولم تكن هناك أية مقاومة جدية في المنازل، لقد عثرنا في المنازل على عبوات ناسفة ومعدات حربية، وأسلحة وأشياء من هذا

القبيل لكننا لم نواجه مقاومة حقيقية، وخلف هذه المنازل كان هناك حزام من الحدائق والجنائن والحقول.

س: هل كنتم تقتحمون كل بيت؟

ج: نعم.

س: هل كان الاقتحام مصحوباً بقذائف الهاون والأسلحة الثقيلة والرشاشات الثقيلة وما شابه؟

ج: بادئ بدء، الاقتحام بصورة عامة يجب أن تسبقه عملية تغطية-تمهيد-مدفعية وجوية بالتعاون مع سلاح الجو وطائرات الهليوكبتر المقاتلة وجميع الوسائل الأخرى، بما فيها الهاون.

س: لقد توقفتم، وماذا بعد؟؟ هل تبدأون جولة ثانية وتواصلون التقدم إلى الأمام؟

ج: نبدأ الاستعداد للدفاع، فنخرج الرمال ونضعها في أكياس، ونفتح ثغرات في الجدران لإطلاق النار، ونبني مواقع، ونتخذ الاستعدادات اللازمة للدفاع عن المنزل، وفي نهاية ذلك اليوم تصبح السرية جاهزة، كل بيت نحوله لحصن صغير، فنقيم مواقع وحزاماً أمنياً.

س: وما هي المهام التي كانت تنطلق من البيت الذي يحتلونه؟

ج: لم تكن هناك مهام ذات بال تنطلق من البيت، لقد كنا ننتقل بعد ذلك إلى منزل آخر، وفي هذه الحالة كنا نوجه ضرباتنا النيرانية إلى المنازل المحيطة به، وفي كل مرة دخلنا إلى منطقة جديدة فتحنا النيران، ننتقل إلى البيت الجديد، ونستعد هناك من جديد، ويتم استبدال السرايا. لقد دخلت منزلين أو ثلاثة منازل خلال الأيام العشرة التي مكثتها هناك.

س: هل شاهدت هناك أناساً؟

ج: نعم، كانت تلك مداخل غزة وليس قرية، وفي البداية كان هناك أناس في المنازل التي اقتحمناها، وفي البيت الأول الذي احتللناه كانت هناك عائلة، وقد قمنا بتجميعها في غرفة واحدة، وبعد ساعة أو ساعتين تلقينا أوامر بإخراجهم من البيت وأمرناهم بالسير باتجاه المدينة.

٭لم نر أعداء رؤى العين:

جندي:

في إطار الهدف الأساسي الرامي إلى تقطيع أوصال القطاع تلقينا أمراً بالسيطرة على نقطة مرتفعة، وقيل لنا أن فترة بقائنا في تلك النقطة غير محددة بزمن، وأننا مطالبون (بتعرية) مجال الرؤية-أي إزالة كل ما يعترض مجال رؤيتنا من مبانٍ أو أشجار.

إن كلمة التعرية هي مصطلح جميل لممارسة عمليات التدمير المنهجية المقصودة للمنطقة بغية مشاهدة كل ما يحيط بنا، إن عملية التعرية كانت تمنحنا في حقيقة الأمر ميزة رؤية والسيطرة بالنيران على كل ما يحيط بنا، لا يجب أن يكون هناك شيء مخفياً عنا.

لقد قالوا لنا: أن هناك سببين للقيام بأعمال التدمير على هذا النحو، والآن سأتحدث عن تدمير المنازل لأن تدمير المنازل هو أساس المشكلة، أما السبب الأول فهو السبب الذي يمكن تسميته بالتنفيذي: أي هدم أي منزل مشبوه أو مزروع بالعبوات الناسفة أو فيه أنفاق أو يخرج منه أية أسلاك أو يوجد فيه حفريات، أو لدينا معلومات استخبارية حوله بأنه مشبوه بإحدى الأخطار التي أشرت إليها آنفاً.

وتواصلاً مع الخط التنفيذي الذي أشرت إليه، هناك التفكير التنفيذي: أي منزل يطلقون النار منه سواء أكانت نيران أسلحة خفيفة أو قنابل أو صواريخ هذه هي المنازل التي ندمرها، ويمكنني أن أقول أن هذا تواصل طبيعي لكل ما شاهدته خلال العمليات في قطاع غزة، فالمنازل التي تطلق منها النيران تتلقى قنبلة، وإذا كان بالإمكان تدميره تماماً كنا ندمره.

وهناك منازل قيل لنا يجب تدميرها تحسباً لما أسموه "اليوم الذي يلي" وهذا يعني أننا بدأنا ندخل إلى حيز زمني محدود، أو بمعنى آخر أننا سنخرج قريباً، ويجب أن نترك المنظر خلفنا أطلالاً. والزمن المحدود قد يكون أسبوعاً أو شهراً، بيد أننا لن نظل زمناً طويلاً، ويجب أن نخرج من المنطقة ونترك وراءنا منظراً معقماً من ناحيتنا، ولا يوجد طريقة لفعل ذلك سوى تعرية المنازل، مما يتيح لنا مقدرة نيرانية جيدة، ومقدرة رقابة ورؤية لكل شيء، وسيطرة على نسبة كبيرة، سيطرة فعالة على المنطقة، وهذا ما أسميناه التدمير من أجل اليوم الذي يلي، إن الترجمة العملية لهذا

المصطلح هو: تدمير أحد المنازل في قطاع غزة، والذنب الوحيد الذي ارتكبه هذا البيت هو أنه يقوم على تلة.

س: قريب من الجدار أو داخل غزة؟

ج: يمكنه أن يكون قريباً من الجدار أو داخل القطاع، أعتقد أن هذه التلة يمكنها أن تقع على بعد يتراوح بين كيلومتر أو كيلومتر وبضع مئات الأمتار، لست أذكر المسافة بالضبط، بيد أنني أعتقد أنها كانت على بعد معقول، إن أهمية هذه التلة هي أنها مسيطرة ويمكن إطلاق النار منها أيضاً على إسرائيل، أي أن من السهل إطلاق النار على إسرائيل، كما أنها تسيطر باتجاه مدينة غزة، فعندما نجلس فوقها يمكننا أن نرى من جانب ساحل غزة، ومن الناحية الأخرى الحدود مع إسرائيل، وبذلك تكون هذه النقطة إستراتيجية. لقد كانت كل سرية تتسلم قاطعاً معيناً.

وبمضي الزمن-وأعني كل يوم أو يومين، كنا نسير باتجاه الأعلى، أي أننا قادمون من الأسفل باتجاه رأس التلة، وكلما ارتفعنا قليلاً، نضع أمامنا هدفاً جديداً، ونعمل على إزالته بغية السيطرة. كنا نتحرك بصورة دائمة لأننا نتعرض للتهديد، وفي كل مرة تحركنا قمنا بالمزيد من عمليات التدمير، كانت عملية التدمير متواصلة، وبالنسبة لي بوصفي قضيت سنتين في الخدمة في قطاع غزة، في جوش قطيف قبل الفصل وعلى عهد الانتفاضة الثانية، فإنني لم أر كثافة نيرانية بهذا الحجم، لقد استخدموا جميع وسائل الدمار التي أعرفها، لقد كانوا يدمرون المنازل باستخدام الجرافات الثقيلة التي بذلت جهوداً هائلة، وبالمدفعية وطائرات الهليوكبتر والدبابات والطائرات الحربية والهاون، ووحدات الهندسة الخاصة التي كانت تقوم بتدمير المنازل بصورة مراقبة، كانت الانفجارات تتوالى طيلة الوقت، ولم نكن قادرين على التمييز بين قصف الدبابات والمدفعية من الحدود، لأننا كنا قريبين نسبياً من الحدود، كنا نسمع صوت القنابل وهي تنطلق من إسرائيل، وصوت الانفجارات داخل القطاع.

ولا أستطيع القول أن كل منزل مدمر شاهدته دمر للسبب الأول الذي ذكرته- أي الأسباب التنفيذية-أو لسبب من الأسباب الأخرى التي تجرّم المنزل، أو لسبب (اليوم الذي يلي). أما ما أستطيع قوله فهو أن جندياً يدخل إلى الموقع، ويتم تحديد حدود منطقة له، ولنقل أنه تم تحديد مائة

وثلاثين درجة انطلاقاً من البيت الذي يتسلمه وحتى منزل آخر محدد، وكانت حدود هذه المنطقة تتغير على أسس يومية، وأحياناً أقل من ذلك، فعندما أنزل من منزل حدود منطقته كذا وكذا، وأتوجه إلى منزل جديد، فإن حدود منطقة المنزل الأول لا علاقة لها أبداً بالمنزل الجديد، وتصبح حدود منطقة المنزل الجديد مختلفة، أكثر عمقاً أو أقل عمقاً، والحدود الجديدة قد تكون شجرة أو منزل أو أي شيء آخر، وهذا ما حدث مرة واثنتين وثلاث بصورة روتينية.

س: عندما تتمترس سريتكم في أحد المنازل لا يدور قتال في منطقتكم؟

ج: لا، لم نكن بصورة عامة نرى إنساناً على قيد الحياة باستثناء الجنود، لقد كانت أول مرة نرى فيها فلسطينياً بعد ساعات طويلة من وقف النار، وكانوا يسيرون في بيارة على بعد كيلو متر منا، كانت هناك حالات تعرضنا فيها لقصف مدافع هاون أو أعمال قنص لكننا لم نكن نرى أحداً، ورغم ذلك كان واضحاً لنا أن هناك مخربين في المنطقة.

س: عندما تتمترس سريتكم في مكان، هل تجري عمليات تدمير في نفس المنطقة؟

ج: بالتأكيد، وأنا أتحدث عن منطقتنا، وأذكر أن الجنود أطلقوا على أحد المنازل قنابل هاون من عيار (81مم) وهو الأمر الذي لم أره من قبل إلا في مركز التدريب تسأليم، وآنذاك لم يكن القصف بالنيران الحية، في حياتي لم أر عمليات قصف في منطقة مأهولة ومبنية بقذائف من عيار (81 مم)، ولم تكن لدي أدنى فكرة أن هناك نوايا من هذا القبيل، إن إطلاق الهاون مختلف عن إطلاق النار من بندقية. فعندما أطلق النار من بندقيتي فإنني أرى الهدف وأصوب نحوه ثم أطلق النار، أما قصف الهاون فيتيح الفرصة لإطلاق القذائف دون رؤية الهدف، أما عيب هذا الاستخدام فهو عدم دقته، ومدفع الهاون من عيار (81 مم) يطلق قنابل تحدث دماراً كبيراً وهو غير دقيق.

إن مدافع الهاون الأصغر تحدث دماراً كبيراً أيضاً وهي أقل دقة من المدفعية العادية التي – كما سمعت- أكثر دقة وأكثر دماراً بصورة لا تقارن. إن مدفع الهاون (81مم) هو مدفع بدائي جداً، إنه عبارة عن أنبوبة تطلق قنبلة، إنه بدائي جداً وعملية تصحيح التصويب تقوم على تغيير اتجاه الإطلاق، فنحن نرى أين وقعت القذيفة، ونقدر أنه يجب حرف المدفع سنتمتراً إلى اليمين، على سبيل

المثال، أو 3 سنتمترات يساراً، وفي النهاية يتم تدمير الهدف، لقد دهشت جداً، فنحن نعرف تماماً أن هذا المدفع غير دقيق ، ورغم ذلك استخدمناه في العمليات.

س: هل كان استخدام مدافع الهاون من طراز (81 مم) كثيراً في منطقتك؟

ج: من خلال موقعي أطلقوا هذه القذائف مرتين أو ثلاث مرات، وفي كل مرة مجموعة من القنابل، لقد خيل لي أن الجيش الإسرائيلي كان يقوم بمناورة عسكرية على إطلاق القنابل من هذا النوع، فلم تكن هناك ضرورة لاستخدام كل هذه الكثافة النيرانية، ولم تكن هناك ضرورة لاستخدام مدافع الهاون والقنابل الفوسفورية، لدي إحساس بأن الجيش الإسرائيلي كان يفتش عن فرصة كي يقوم بمناورة استعراضية لقوته هذا هو التفكير المنطقي الوحيد الذي يمكنني أن أفكر فيه إزاء استخدام الجيش لمدافع الهاون في منطقة سكنية ولا أستطيع بغير ذلك أن أبرر ما فعله، وحتى هذه الصورة أيضاً غير مبررة.

س: واليوم الذي يلي؟

ج: هذه مسألة لم نفهمها كثيراً، ولم ندرك ما هو مغزاها، لقد أرادوا أن تكون لنا ميزة حينما نخرج من القطاع، بيد أن هذا الوضع خلق ارتباكاً وأتذكر أنني تحدثت مع قائد الكتيبة فقال وهو يبدو بين ساخر وحزين: لقد تركت لهم شيئاً ليضيفوه إلى جرائم الحرب التي ارتكبتها، أي أنه أدرك أن هناك في هذا الاتجاه شيئاً ما مثيراً للمشاكل، وغير مفهوم، أوامر تصدر إليه بيد أنها غير متبلورة، وعديمة الشكل واللون.

لقد كان من الواضح لي أن هذه الأوامر ترجمت إلى صورة عملية لأن هناك منازل تم تدميرها دون أن يتم (تجريمها)-أي دون أن يكون هناك أي سبب لهذا الدمار- بل لقد كان هناك مخزن للغلال فقام الجنود بإضرام النار فيه دون أي داع أو سبب، مجرد أنهم أضرموا النار فيه.

وهناك منازل تم هدمها بالعديد من الصور الغريبة والمختلفة. لقد كانت تلك بمثابة غلاف شامل للدمار هكذا كانت مشاعري، وأنا أدرك أنه على الصعيد العملي كان هناك دمار بجميع أنواعه وصوره.

س: لقد خدمت طويلاً في قطاع غزة، فهل هذا الدمار يشبه الدمار الذي تعرفه؟

ج: كلا، وألف كلا، هذا الدمار ذو معايير مختلفة تمام الاختلاف، هذه الكثافة النيرانية لم يسبق لي أن عرفتها، عندما خدمت في قطاع غزة، من الخطأ القول أننا لم نستخدم الطائرات في العمليات هناك، بيد أن الأرض ما كانت لترتجف، أما خلال هذه الحرب، فقد اهتزت الأرض أكثر مما ينبغي أي أن الانفجارات كانت تدوي طيلة الوقت سواء أكانت بعيدة أو قريبة، المهم أن الأرض كانت تهتز طيلة الوقت في النهار وفي الليل، والبرق الناجم عن الانفجارات كان يضيء السماء. إن الكثافة النيرانية التي استخدمت لم نشهد لها مثيلاً من قبل.

وكذلك الجرافات كانت تعمل على مدار الساعة إن القوة التي تم استخدامها أكبر بكثير مما عرفناه حتى ذلك الوقت، لقد كانوا يطلقون النار علينا دون أن نرى أحداً، وكنا نرد على النار بالمثل على المناطق المشبوهة، ما هي المنطقة المشبوهة؟ هي المنطقة التي تعتقد أنها مشبوهة وتستطيع صب غضبك فوقها.

*تحديد المشبوهين

قال جندي:

لم يواجه الجنود أية اشتباكات تقريباً، فطيلة الحرب اعرف أنه كانت هناك مواجهتان فقط لقد عاد الجنود وهم يشعرون بخيبة أمل نظراً لأنه لم تحدث مواجهات، ولم يكن هناك مخربون، وقد أفادت التعليمات أنه يجب الحفاظ على القوات، مما يعني أنه إذا ما لاحظنا أن هناك احتمالاً لاشتباك يجب أن نقطع الاتصال، ونطلب حضور طائرة هليوكبتر لإزالة البيت المشبوه. كانت هذه التعليمات واضحة وهكذا فعلنا. فحينما يجري تشخيص احتمال اشتباك تقوم قواتنا بتعزيز مواقعها واستدعاء طائرة هيلوكبتر لإزالة البيت، لم يكن يجب أن ندخل في مواجهة مباشرة إلا إذا كان ذلك في اللحظة الأولى من الاصطدام وعلى الأقل في القاطع الذي اقتحمه المظليون لم تكن هناك اشتباكات.

س: هل كانت هناك تعليمات بشأن تشخيص الأمور؟

ج: من ناحيتنا لم يكن، ولست أدري فيما إذا كانت هناك تعليمات تشخيص منظمة. أما على الصعيد اللغوي فقد كان التشخيص يشكل كلمات مثل: مشبوهين مراقبين، أشخاص يقفون على أسطح المنازل وينظرون باتجاه القوات، أشخاص يقومون بحركات مشبوهة على الأسطح، يحاولون

رؤيتنا، كانت تلك الكلمات والمصطلحات كافية لاستدعاء طائرة صغيرة دون طيار، أو طائرة هليوكبتر.

س: قلت أنه كانت هناك أوامر بشأن الأشخاص الذين يقفون فوق الأسطح؟؟

ج: هذا ما أعرفه، لكنني لا أعرف إلى أي مدى يمكن اعتبار الشخص مشبوهاً وفتح النار عليه، لقد عملنا وفقاً لما بدا لنا مشبوهاً، كنا نستدعي طائرة عامودية للتعامل معهم، أو نستخدم قوتنا النيرانية، ونرسل تقارير منظمة حول ما نشاهده، وحال وصول التقرير تقوم القيادة بالتحقق، وإذا ما تأكدت من الحالة المشبوهة تستخدم النيران ضدها.

س: هل كانت هناك حالات كثيرة؟

ج: نعم، حوالي عشر حالات خلال الحرب، وأنا أعتقد أن سلاح الجو عمل بأقصى طاقته، وخصوصاً على مستوى القتال اليومي.

س: هل كانت هناك حالات تشخيص أخرى لا زلت تتذكرها؟

ج: في اللحظة التي تدخل القوات أثناء الليل إلى منطقة يتحول كل شيء إلى مشبوه، فأنت لا تستطيع تشخيص الكثير من الأشياء أثناء الليل، وتقوم بإطلاق النار على كل ما يتحرك كي لا تتحمل أية مخاطرة. لم يتم تحديد الأمر على هذا النحو، بيد أنه كان واضحاً لنا أن الأمور هي على هذا النحو، فكل حركة في المنطقة ليلاً محكوم عليها بحكم واحد، هكذا سارت الأمور.

س: هل تتذكر تشخيصاً محدداً على أحد المنازل؟

ج: لقد خرج من أحد المنازل ستة أشخاص بعد أن قامت قواتنا بقصفه، وكان هناك ناجون.

س: ماذا يفعلون بالناجين؟

ج: لا أدري، فهذا في مجال عمل الطائرات الصغيرة دون طيار، والقادة في القيادة العليا هم أصحاب القرار.

س: حدثني قليلاً عن المنازل التي أزلتموها هناك؟

ج: في أحد الأيام التي سبقت التقدم لاحظنا حركة في نافذة أحد البيوت التي تقع على بعد أربعمائة متر من قواتنا، وقد مضت حوالي ثلاث إلى أربع ساعات حتى جاءت طائرة دون طيار، لقد

كان من الغريب أن تكون هناك حركة في نافذة قريبة إلى هذا الحد، ثم قدمت طائرة هليوكبتر، واكتشفت هي أيضاً الحركة، لم تتحدث عن مشبوهين، بيد أن الطائرات أطلقت صاروخين على البيت.

س: كم عدد الأشخاص الذين كانوا هناك؟؟

ج: لا أعرف، لكن بعد ذلك قدمت ثلاث سيارات إسعاف إلى المنزل.

س: ما الذي يحدث في أعقاب القصف؟

ج: ثقب في الجدار، وشظايا في الداخل وتدمير المنزل.

س: تحدثت عن منزل قصفوه قبل دخول القوات، ما الذي كان في هذا المنزل؟

ج: كان ذلك خلال الليل، وقد اكتشفوا حركة مشبوهة فوق خط دخول القوات. وقد زعمت القوة أنهم أطلقوا عليهم في الليلة الماضية صواريخ مضادة للدبابات من المنزل. فأطلقوا القذائف على جميع المنازل كانت ضربة نيرانية كثيفة وشاملة، وقد عرضوا ذلك في نشرة الأخبار، وشاهد الجميع طائرات سلاح الجو وهي تقصف المنازل، وحوالي خمسة أو ستة أشخاص يفرون منها. ولا أدري ما الذي حدث لهم من الجائز أنهم في عداد الأموات.

*لم يكن هناك ما يمنع

جندي:

كان هناك مسجد، ولن أخوض في التقارير التقليدية في أجهزة الاتصال التي كانت تتساءل: لماذا يوجد مسجد قائم؟؟ كانت تلك محادثات داخلية، لكنهم هدموا العديد من المساجد، وأود القول أن القائد قال إبان التدريبات في قاعدة تسأليم: أننا لن نتردد في قصف المساجد، لا يوجد أي شيء يتمتع بالحصانة من قبلنا، لا شيء ولا منطقة، لقد أشار صراحة إلى المساجد، لقد كان المسجد آنف الذكر في منطقتنا التي لم تكن واسعة بشكل خاص. لقد كان فيها عدة مساجد، بيد أن غالبيتها دمرت وفي مرحلة ما، خلال عمليات التمشيط الروتيني، سمعنا وشاهدنا، أنا لم أشاهد، لكن زميلاً لي كان ينظر خارج المنزل الذي كنا فيه، قال: هل شاهدتم ما حدث؟؟ لقد أزالوا مسجداً ثم قالوا لي: أن طائرة هيلوكبتر قامت بقصفه، لقد دمرت المأذنة حيث يقف المؤذن.

س: لماذا؟ هل حدث إطلاق نار قبل ذلك من هناك؟

ج: لا، أنا لم أسمع ذلك.

س: على بعد خمسمائة متر كان من المفروض أن تراقب دبابتك المنطقة؟

ج: لم نر أي إطلاق نار، وأنا لم أر أي سبب لقصف الجامع، من الجائز أنهم تلقوا تحذيراً بوجود صواريخ مضادة للدبابات فوق المئذنة، لا أعرف كل ما أعرفه هو أنه لم يكن هناك إطلاق نار، ورغم ذلك هدموا المئذنة.

س: هل حدث ذلك في ساعات النهار؟

ج: نعم.

س: هل حدث خلال تواجدكم أن قام سلاح الجو في ساعات النهار بعمليات قصف؟

ج: قصف سلاح الجو كان يجري طيلة الوقت في الحي المقابل لنا، كنا طيلة الوقت لا نسمع صوت العيارات النارية هنا أو هناك، بل صور قصف مدفعي شديد من قبل سلاح البحرية وسلاح الجو اللذين كانا يطلقان القذائف على مناطق مختلفة.

س: بالنسبة لمنطقتك، ما الذي فعلوه ولماذا؟ أنت لا تعرف أسباب القصف المدفعي الشديد، لذا أريد أن أعرف ما شاهدته؟

ج: كانت هناك عمليات قصف في منطقتنا على بعد قليل منا. ليس بالتحديد في المنطقة التي كنا نراقبها، بل على بعد كيلومتر أو كيلو متر ونصف، ولم نكن نسمع صوت إطلاق نار قبل بدء القصف الإسرائيلي، ونحن لم نشاهد أية مقاومة باستثناء حالة خلية المضادات للدبابات والأقاويل حول قنابل الهاون والتي قال بعض الجنود أنها أطلقت علينا، وإذا ما افترضنا أن ما قيل كان صحيحاً، فإنه وباستثناء هاتين الحالتين لم نصطدم بأية عمليات إطلاق نار، في حين أننا شاهدنا عمليات القصف من جانبنا على الجانب الآخر.

س: هل كانت هناك عمليات إطلاق نار للردع؟

ج: نيران وقائية: لقد تحدثوا معنا عن ذلك أثناء التدريبات، وقالوا لنا: أنه لا يوجد أي مانع من إطلاق النار كصورة وقائية. لكن لم يكن بالنسبة لنا هناك ما نتقيه، لذا لم يكن يجب أن نطلق

النار الوقائية، لكنهم تحدثوا معنا عن إطلاق النار الرادع، الذي يزيل الرؤوس، فإذا كان هناك موقع لا تستطيع مراقبته، وتخشى من أن يكون فيه شيء ما، أطلق النار عليه ودمره دون أن تفكر أولاً بما يوجد فيه.

س: كيف ستحدد هذا الموقع؟

ج: إذا كان هناك انحناء في الطريق وأنت تعرف أن هناك زاوية لا تستطيع النظر منها إلى منطقة معينة يجب عليك أن تطلق النار أولاً إلى هذه المنطقة، وتنظر فيما إذا كان قد حدث شيء ما، ثم تواصل الاندفاع، إن التوجيه النيراني الأعمى في الميدان يجب أن يكون اتجاه المباني، فالمبنى الذي لا تعرف ما يوجد بداخله، يجب أن تزيله عن الأرض، هذه هي التوجيهات العامة التي تلقيناها، والحقيقة أننا لم نواجه مناطق من هذا القبيل، لذا لا أدري ما حدث، بيد أن الأوامر كانت تنص على أنه إذا وصلنا محور طرق في صورة حرف (تيT) وكان يجب أن نسير باتجاه اليمين، وهناك خلفنا مبنى لا نعرف ما الذي يوجد فيه، أطلق النار على المبنى، ثم اتجه نحو اليمين، لقد منحونا إذناً لإطلاق النار للوقاية، وأيضاً للردع.

*رجال.. كوفيات.. اعمل

جندي:

كانت هناك تحذيرات من وجود مخربة، وبناء على هذه التحذيرات أصبحت أوامر إطلاق النار أكثر حدة حيث حظر على المدنيين الاقتراب من الجنود وإذا ما حاول مدني فلسطيني الاقتراب من الجنود يجب إطلاق النار عليه وعدم المخاطرة أبداً.

س: هل كانت هناك إجراءات اعتقال مشبوه سابقاً؟ هل كنتم تستخدمون هذه الإجراءات؟

(تجدر الإشارة إلى أن إجراءات اعتقال مشبوه تنص على أن يأمر الجندي المشبوه بالتوقف ورفع الأيدي، فإذا لم يستجب، يطلق النار في الهواء، فإذا لم يستجب يطلق النار عليه كي يصيبه باتجاه الساقين).

ج: كان الوضع يتطلب أن نقوم بإجراء اعتقال مشبوه فإذا واصل الاقتراب نطلق النار عليه سواء أكان مسلحاً أم لا، فالقضية التي كنا بصددها هي قضية الاقتراب من الجنود، وبصورة عامة

بذلنا قصارى جهدنا كي لا نحتك بالمدنيين، أما إذا كان هناك أناس في البيت الذي نحتله فلا مناص، ونظراً لأنه توجد لدينا مقدرة، فقد تمثل الهدف في التركيز على أهدافها وقطع الصلة مع المدنيين في أسرع وقت ممكن.

في صبيحة اليوم الثالث كان هناك منزل يبعد حوالي ثلاثمائة متر عن موقع قواتنا، وأثناء الليل تعتبر مثل هذه المنازل على هذا البعد في مجال دخول وخروج قواتنا، وقد لاحظنا في ساعات الصباح وقوف أربعة رجال يعتمرون كوفيات تتراوح أعمارهم بين 25-40 سنة يقفون بالقرب من المنزل ويتحدثون وقد بدا لنا الوضع مشبوهاً، فاتصلنا بالاستخبارات العسكرية التي اتصلت بدورها بجهاز الأمن العام، فأفاد أن هذا المنزل هو منزل أحد ناشطي حركة حماس وهذا يعني إصدار الأمر"اعمل"، ولا أدري ما الذي استخدموه لإزالة المنزل، طائرة هيلوكبتر أو مدفعية وقد قصفوا المنزل والرجال الأربعة في داخله، وقد خرجت من المنزل امرأة تحمل طفلاً وفرت جنوباً.

وهذا يعني أن هذا البيت كان مأهولاً لكن على صعيد الأوامر، كانت الإجراءات التي تم اتخاذها تتساوق تماماً مع ما يجب أن نفعله، فقد تم تشخيص حركة مشبوهة في خط قريب من خطوط قواتنا، أي الخط الذي يجب إزالة كل من نشتبه فيه كما أن جهاز الأمن العام أعطى موافقته على أمر "إعمل".

س: هل كانوا مسلحين؟

ج: لا، لقد قلنا في تقريرنا أنهم ليسوا مسلحين، لكن لا علاقة للأمر بالسلاح، فهم أربعة مشبوهين يتناقشون وهذا كافٍ لإزالتهم.

س: على بعد ثلاثمائة متر من قواتنا؟

ج: 200-300 متر، وهم في الأعلى بينما قواتنا في الأسفل على المنحدر.

*قنبلة للتفريق والتليين

جندي:

"مدافع الهاون من طراز (120 مم) هي مدافع محوسبة وجديدة".

س: وما هي المدافع القديمة؟؟

ج: المدافع القديمة مركبة على عجلات وتحتاج إلى دفع وشق طريق، وربما يستغرق الأمر نصف ساعة حتى تطلق قذيفة، بيد أن الحاسوب في المدافع الجديدة يقوم بجميع الحسابات الخاصة بتوجيه القنابل، ففيها خارطة وصور جوية، وخارطة رمزية ونقطة تهديف، نقوم بطباعة كل ذلك على الحاسوب فيريني فوراً أين تقع هذه النقطة على الحاسوب، فأضغط على زر خاص فيقوم الحاسوب بتوجيه القنبلة وإزالة الهدف.

س: إلى أي حد يعتبر هذا المدفع دقيقاً في قصفه؟؟

ج: دقة الإصابة تتراوح بين 95-100%.

س: هل تتذكر مجال الإصابة والقتل لقنابل هذا المدفع؟

ج: بضعة عشرات الأمتار، فهي قنابل موضعية جداً.

س: ما الذي تعنيه بموضعي جداً؟

ج: إذا ما أصابت الهدف، فسوف تحدث فتحة نصف قطرها متر، وستطلق شظايا حولها.

س: ما هي الأهداف التي تم تحديدها؟

ج: كانت غالبية الوقت في أماكن مفتوحة. وذات مرة سمحوا لي بإطلاق القنابل، وفهمت أنني سأطلقها داخل حي، بين المنازل، لقد عرفت أنني سأطلق القذائف داخل مناطق مأهولة. ولا أدري كم عدد الأشخاص داخل البيت لأن الجيش بذل جهده لإخراج الناس.

س: هل ترددت أو حاولت التأكد من جديد؟

ج: لا أدري فيما إذا كنت قد ترددت، لقد أحسست بالكثير من المهانة لأنني أطلقت القذائف هناك، وكنا نتلقى دائماً اتصالات هاتفية على نتائج القصف، ولم يقولوا لنا أننا قتلنا أبرياء، بل قالوا لنا أننا أصبنا ثلاث خلايا إطلاق صواريخ، ولا أعرف كم تضم كل خلية، بيد أننا قتلنا أناساً سيئين، ومعهم رئيس شعبة صواريخ حماس، لقد شعرت بالفخر، وبأنني جيش الدفاع، حقاً أننا نصيب أبرياء وعدد قنابلنا المدفعية كان مجنوناً، لكننا كنا نسمع من جانب آخر أنهم يطلقون النار من غزة وأنه يجب أن نرد عليهم.

س: ماذا يعني وجود عدد كبير من المدفعية؟

ج: كنا نرد على كل قنبلة من قنابلهم بعشر قنابل.

س: كل مرة يطلقون قنبلة تطلقون عشر قنابل، ألا تكفي قنبلة واحدة؟

ج: تفريق، أي أن القنابل التي نطلقها تقع الواحدة إلى جوار الأخرى مما يعني توسيع نصف قطر الإصابة وأعتقد أن هناك أهمية للأنفاق أيضا في القتال في المناطق المفتوحة والمأهولة، والقنبلة الأولى تصيب الأرض، في حين أن الثالثة تخترقها، أي تخترق النفق.

س: هل يعني هذا أنك لا تطلق قذيفة واحدة فقط أبداً؟

ج: لا، بل يجب أن تطلق ثلاثة تقريباً، يجب إلقاء العديد من القنابل لإحداث إصابات.

س: والقنابل لن تسقط كلها على نقطة واحدة، هل هذا هو حساب التفريق؟

ج: بالضبط هذا هو الحساب.

س: هل كانت جميع المرات التي أطلقتم خلالها القنابل رداً على إطلاق الفلسطينيين قنابل باتجاه إسرائيل؟

ج: أو (لتليين) مناطق قبل اقتحامها التمهيد المدفعي الذي يسبق اقتحام المشاة.

س: عندما يكون هناك إطلاق قذائف على إسرائيل هل كنتم تطلقون غالبية القذائف على مناطق مفتوحة؟

ج: كانت أيام أطلقنا فيها القذائف فقط داخل مناطق مبنية فقط، داخل مدينة غزة نفسها.

س: ما هو معني منطقة مفتوحة؟

ج: وفقاً لما تنص عليه الخرائط، هي منطقة خالية من البيوت.

س: هل تشاهد الصور الجوية؟

ج: في قسم من الحالات، شاهدنا الصور الجوية وأدخلنا المعلومات إلى الحاسوب، قسم منها كان على الخرائط، وقسم كان على الصور الجوية، لا أذكر بالضبط.

س: قلت لي أنك تراقب شروط السلامة؟ فما الذي يعنيه ذلك؟

ج: ذلك يعني أن قواتنا ليست موجودة في مناطق القصف، فحواسيبنا لم تزود بجميع العمليات التي يقوم بها الجيش، لذا يتم إجراء شروط سلامة قبل إعطائنا تحديد الهدف.

س: وما هي شروط السلامة بالنسبة لقواتنا؟؟

ج: يجب أن تكون بعيدة ثلاثمائة متر عن النقطة التي سنوجه إليها نيراننا.

س: هل تأخذ شروط السلامة بعين الاعتبار التجمعات الفلسطينية، أم أنه لا علاقة للشروط بالفلسطينيين؟

ج: إذا كنا نطلق القذائف على أماكن مفتوحة فإنني أعتقد أنه لم يكن هناك عدد كبير من الفلسطينيين في تلك اللحظة، أما في المناطق التي يتم تشخيصها كمناطق خطرة، فالأمر يرتبط بالتحذيرات التي يوجهها الجيش للسكان للابتعاد عن المنازل.

س: كم عدد القنابل التي أطلقتموها تقريباً؟

ج: حوالي 620 قنبلة، وقد تم تسجيل هذا العدد في التقارير، لقد قدمنا تقارير حول جميع الأمور السيئة والجيدة التي حدثت معنا، بما فيها عدد القنابل التي أطلقناها.

س: ما هي الحالات التي أطلقتم فيها القنابل للتليين؟

ج: غالبية الوقت كانت هناك عمليات تليين مدفعي، كنا نتلقى أوامر بهذا الصدد، ويبدو أن إطلاق القذائف كان نوعين النوع الأول هو أن نوجه القصف لإصابة مخربين، والنوع الثاني تليين، حيث نتلقى معلومات اعتزام الجيش الدخول إلى منطقة ما، مما يعني أن هناك ضرورة لعملية تمهيد مدفعي. وهم لا يقولون لنا قبل كل إطلاق مدفعي ما هو الهدف.

*على السطح

جندي:

عندما دخلنا إلى غزة، دخلنا جميعاً في آليات. وقد قام قائد السرية المسؤول عن الموقع بعقد اجتماع لنا جميعاً، ونقل إلينا التوجيهات الخاصة بطبيعة مسلكيتنا وتصرفنا داخل غزة، كان الوقت في ساعة متأخرة من الليل، وقد طالبنا قائد السرية بالانتباه والاهتمام الشديد لكل ما سيقوله، والانضباط التام بالتعليمات وبكل ما يترتب عليها.

وبعد أن تطرق إلى الجوانب التنفيذية العملية الخاصة بالأماكن التي يسمح لنا بالسير أو عدم السير فيها، وحظر السير وحدنا خشية عمليات الاختطاف ثم أشار بصورة حادة إلى مسألة

الصعود إلى أسطح البنايات، وقال: أنه يحظر حظراً تاماً علينا الصعود إلى أسطح البنايات، لأن لدى سلاح الجو الإسرائيلي أوامر بقتل كل من يصعد إلى الأسطح.

وسلاح الجو لا يستطيع التمييز دائماً بين الجندي والمدني والمخرب، وبالنسبة له كل من يصعد إلى سطح بناية هو هدف. وأشار إلى أن أحد قادة لواء جبعاتي أعيد إلى إسرائيل من القطاع وسيقدم إلى المحاكمة نظراً لأنه صعد إلى سطح البناية التي كان جنوده يسيطرون عليها لقضاء حاجته.

س: هل هذا يعني أنه إذا صعدت على السطح ستقتلك قواتنا؟

ج: نعم، وقد قيل لنا أن هناك طائرات مختلفة مهمتها إطلاق النار على كل من يصعد إلى أسطح البنايات وكنا نرى طيلة الوقت حقاً طائرات هيلوكبتر وطائرات حربية، وطائرات دون طيار تحلق، أو نسمع صوتها، ولهذه الطائرات مقدرة نيرانية ولا يمكننا اللعب معها. وقد قيل لنا أن أوامر عدم الصعود إلى الأسطح هي أوامر شاملة لجميع القوات.

الباب الثالث

نصائح الحاخامية

العسكرية وروحية القائد

أ–نصائح الحاخامية العسكرية

***لا حساب للذنوب**

جندي

كنا في معسكر التدريب (تسأليم) توطنة للقيام باجتياح قطاع غزة، وقد اجتزنا جميع التدريبات الهادفة وذات الأهداف المحددة، بحيث أدرك كل جندي ما الذي سيتوجب عليه فعله، بما فيها التوجيهات من الحاخامية، وقد حدث على هذا الصعيد أمران، الأول: توزيع كراسة بصورة غير مباشرة، كراسات كتلك التي يوزعونها في الكنس العسكرية والتي تحمل الكثير من المواد السياسية العلنية، وقد قيل لنا على سبيل المثال أن الفلسطينيين مثلهم كمثل (البلشتيم) والذين أتوا إلى هذا المكان رغم أنه ليس مكانهم، غرباء تم زرعهم على أرضنا ومن الواضح أنه يجب أن تعود هذه الأرض لنا.

وكانت هناك أيضاً كلمات في صورة مختصرات تشير إلى مستوطنة نتساريم-المستوطنة التي تم هدمها في قطاع غزة إثر الفصل الإسرائيلي، وتقول: إنها ستبنى وستقوم من جديد.

س: ما هي الكراسة بالضبط؟

ج: هي شبيهة للأوراق التي يتم توزيعها في الكنس والتي تحمل سفر التوراة الأسبوعي، بيد أن الفارق الوحيد هو أنها تحمل خاتم وشعار الجيش والحاخامية العسكرية، وهي تصدر عن

شعبة خاصة في الجيش الإسرائيلي اسمها شعبة الفهم اليهودي للجيش المنتصر. وهي الشعبة المسؤولة عن شؤون الحوافز والمعنويات وحل المشاكل الأخلاقية والقتالية وما شابه.

س: ما هي المشكلة التي واجهتك إزاء ذلك؟

ج: إن ما يضايقني بوصفي مواطناً في دولة ديمقراطية بشأن توزيع كراسات ذات طابع سياسي تحمل توقيع وشعار الجيش هو أن الجيش جهة يجب أن تبقى خارج السياسة، وأعتقد أنه لا يجب أن نعرب عن آراء ذات طابع سياسي واضح في الجيش سواء أكنت أوافق أو لا أوافق عليها، فلا يجوز أن يقول قائد كتيبة لجنوده: يجب أن نعود لبناء مستوطنة نتساريم، ولا شك أن قائد الكتيبة الذي سيقول ذلك سيتم توبيخه وربما ما هو أكثر من ذلك.

وها هي مؤسسة رسمية مرتبطة بالجيش، وتعمل باسمه وتوزع الكراسة المذكورة التي تحمل الماحات واضحة دون أن تلقى أي احتجاج، هذا ما ضايقني.

أما الأمر الثاني فقد اصطدمنا به إبان تدريباتنا في تسأليم، فقد أنهينا إحدى التدريبات، وكنا على وشك الانتقال إلى تدريب آخر، حينما جاء ضابط رفيع من الحاخامية العسكرية يرتدي بزته العسكرية الكاملة، وسألنا فيما إذا كنا على استعداد للاستماع إلى حديث حاخام؟؟ فأعربنا عن موافقتنا، وحينها جاء شخص وقدم إلينا نفسه على أنه (الرابي حين) وكان يرتدي ملابس مدنية.

لقد كان حديثه في حقيقة الأمر حديثاً ذا نقاط وكانت النقطة الأولى تدور حول قدسية شعب إسرائيل، وقد صاغها على النحو التالي: عندما نجتاح غزة يجب أن نعرف أنه لا حساب للذنوب. لقد دفعتني هذه الأقوال نحو تفسير معين، لم يكن هناك مناص من الوصول إليه كي ندرك إشكالية ما قال، لقد قال المرة تلو الأخرى أنا حاخام، وأدرك ما أقول، حينما تقتحمون غزة لا حساب للذنوب، عندما يدخل إنسان إلى مكان خطير للغاية، الجميع يخشون الدخول إليه، ولا يعرفون ما يخبئ لهم القدر فيه، فإن من الطبيعي أن تثور مخاوف، وتثور هذه المخاوف أكثر نظراً لأن لكل شخص ماضيه وأعماله، ومن ثم هناك مخاوف بدائية من أن يكون هذا المكان هو الذي سيجعله يدفع ثمن جميع ذنوبه.

ورغم ذلك يأتي حاخام، ويقول: لا تقلقوا، لا حساب للذنوب، أضف إلى ذلك أنه إذا لم يكن هناك حساب للذنوب على ما فعلت، فلن يكون هناك حساب للذنوب التي سأفعلها أو سأفكر في فعلها.

س: هل تحدث عن الفلسطينيين؟ وماذا قال عنهم؟

ج: لقد قال الحاخام المذكور أيضاً أننا نخوض حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام. إن استخدام هذه المصطلحات هو استخدام مسيحي تماماً، أي أن هذه الحرب هي حرب توطئة للخلاص. وأنا أعتقد أن هذه النقطة بحد ذاتها فضيحة.

لقد استخدم لغة غير مقبولة على الجميع، وأنا لست أجد أية غضاضة فيما قال بيد أن عيبها الوحيد هو أنه لا يجب أن يقول ما قال في إطار عسكري.

إن النقطة التي أثارت ضيقي أكثر من أية نقطة أخرى هي مسألة إضفاء طابع الشيطان على الطرف الآخر، فقد أسمانا نحن الإسرائيليين أبناء النور، وأسمى الطرف الآخر أبناء الظلام، وهذه مشكلة عويصة لأن التعامل مع أبناء الظلام يجب أن يكون على أنهم أبناء ظلام، إن الحاخام المذكور لم يحاول التمييز، فنحن شعب يقاتل شعباً آخر حول الخلاص، لقد كانت أقواله تحمل طابعاً إعلامياً دينياً، ونحن لم نلتحق بالجيش من أجل ذلك، ولسنا بانتظار أن يقوم بتهويدنا أو جعلنا أكثر إيماناً.

*عائدون إلى جوش قطيف

جندي

أرسلوا إلينا العديد من الحاخامات والذين كانوا يصلون ويعملون على رفع معنوياتنا، وكان بعضهم شديد الحماس نظراً لتواجده مع الجنود في الميدان، كما أدخلوا إلينا كراسات تحمل مقالات.

س: على ماذا احتوت هذه الكراسات؟

ج: مقالات حول الحرب وحول أهمية خدمة شعب إسرائيل الملاحق طيلة السنين والذي وصل الآن إلى بلاده ويجب أن يناضل من أجل الاحتفاظ بها. وربط كل ذلك بالمحارق، وحماية الله وأيضاً بمستوطنات جوش قطيف، وأننا عائدون إلى جوش قطيف ونتساريم وبعد أن خرجت شاهدت

مقالة حول قيام أحد المستوطنين الذين تم إخلاؤهم من هناك بالعودة خلال الحرب إلى جوش قطيف ورفع العلم الإسرائيلي عليها.

إن هذه المقالات والأقوال تبعد الأفكار عن النظرية الحقيقية الأساسية القائلة: أن هناك منظمة تخريبية وسط الجماهير الفلسطينية. لقد قال قائد الكتيبة في البداية أننا سندخل قطاع غزة كي نوقف إطلاق صواريخ القسام، بيد أن الكراسة المذكورة كانت تتحدث عن ضرورة العودة إلى الأصول الدينية والعدل التاريخي وما شابه.

س: هل قرأ الجنود ما كتب؟

ج: نعم، هذه الكراسات هي كل ما كان يمكن قراءته. إضافة إلى المزامير والصحيفة، بيد أن قائد فرقة غزة أصدر أمراً بعدم إدخال صحف إلى الميدان، وقد تم تهريب إحدى الصحف مع الإمدادات، وقد قرأناها طيلة الأسبوع، وقد كان بمقدور الذين يعرفون القراءة العربية قراءة الكتب العربية التي عثرنا عليها هناك.

س: إضافة إلى الكراسات هل دخل الحاخام في حوار مع الجنود؟

ج: معي لم يدخل في حوار، لكنه أجرى حوارات مع زملائي، لقد كانت المنازل تطل علينا، ولم يكن هناك إمكانية للخروج من المنزل. لذا لم نكن نفعل شيئاً بصورة عامة سوى أن نأكل أو ننظف أسلحتنا، وفجأة يدخل الحاخام، فيجمعوننا كلنا في الصالون، ويبدأ الحاخام في الحديث.

ب-روحية القائد:

*لن يكون هناك مدنيون

جندي : ليلة اجتياح غزة تدربنا، كان يجب علينا أن نصل إلى هناك مبكراً قبل حلول المساء، ساعة أو ساعتان قبل حلول المساء، كنا في نقطة الدخول، وقام قائد الكتيبة بإلقاء كلمة أمامنا جميعاً، وقال: أن الأمور لن تكون سهلة، وحدد هدف العملية على النحو التالي: ألفا مخرب قتلى – أي أن الهدف ليس وقف الصواريخ من قطاع غزة على إسرائيل-إن هذا العدد من القتلى سيجعل حماس تركع، إن هذا العدد بالنسبة للجيش سيكون بمثابة نجاح.

أما على صعيد إجراءات فتح النار، فقد كان افتراض العمل بالنسبة للجيش أن المنطقة ستكون مخلاة من المدنيين ففي اللحظة التي سيدخل فيها الجيش-من الشمال- ونظراً لأن المنطقة زراعية حتى نصل إلى حي العطاطرة فإن أي شخص يتواجد في هذه المنطقة المفتوحة هو مشبوه، وافتراض العمليات يفيد أنه لن يكون هناك مدنيون، لأنهم سيفرون جنوباً داخل مدينة غزة، ومن ثم فإن كل من يتواجد هناك يستحق القتل.

س: هل ستطلقون النار من أجل القتل؟

ج: هذه الكلمات لم تطلق هناك، بل قيلت بالمصطلحات العسكرية نزيل أي شخص يتواجد هناك لم يقل أحد أنه يجب قتل الأبرياء، لكن التوجيهات كانت تقول أنه يجب إزالة كل من يتواجد هناك.

س: هل جرى الحديث عن أبرياء. هل تتذكر أنه جرى حديث من هذا القبيل؟

ج: أوضح لنا قائد الكتيبة أنه إذا ما ثبت أن شخصاً بريء، لا يجب أن نمس به، لقد كان هدفنا المخربون وأعتقد أن حالة الذعر السائدة حددت إلى حد بعيد طبيعة اللعبة، لقد كان واضحاً للجميع أننا سنصطدم حال دخولنا إلى القطاع بنيران كثيفة الأمر الذي جعل قضية المدنيين قضية لا علاقة لها بما سيحدث، ففي حالة دخولنا المعركة تتغير قواعد العمل، وفي الحرب لا يوجه أحد أسئلة، لأنك ستكون في وضع تتعرض فيه لصاروخ مضاد للدبابات وانفجارات يموت خلالها أشخاص حولك، هذا هو الوضع الذي توقعوه، لذا تم تحديد إجراءات فتح النار وفقاً له، لقد كان المدنيون في إطار كل هذه التمخضات مجرد رواية قليلة الأهمية.

*لم أتوقع من قائد السرية

س: ما هو هدف الحرب؟ ماذا قالوا لكم؟

ج: أننا نخوض الحرب أولاً من أجل خلق شروط للتفاوض واستعادة جلعاد شليط، لقد طرحت هذه القضية، وقالوا لنا أننا سندخل إلى غزة لجلب الهدوء إلى سكان الجنوب ولتقويض نظام حماس. لقد قامت الحرب تحت عنوان: الدخول وفرض النظام.

س: هل هذا كان الوصف الرسمي؟ هل قال قائد كتيبتك ذلك؟ هل كانت هناك أقوال جعلتك تعتقد أن هذا الجيش ليس هو الجيش الذي تعرفه؟

ج: نعم، عندما كنا مسؤولين عن حماية الجدار الفاصل مع غزة، حدث تسلل عبر الجدار من قبل غزيين وكان يجب علينا أن نضبط المتسللين داخل الأراضي الإسرائيلية، وقد أوقفنا قائد السرية وقال لنا: هناك عملية تسلل، يوجد مخربون، وسوف نمزق لهم مؤخراتهم، سنغتصبهم ونلوطهم، والحقيقة هي أنني لم أكن أتوقع من قائد سريتي أن يتلفظ بمثل هذه الألفاظ، كنت أتوقع منه أن يقول: هناك عملية تسلل، يجب أن تكونوا يقظين، يجب أن نلقي القبض عليهم.

س: هل كانت حوادث أخرى تتذكرها قيلت خلالها مثل هذه الألفاظ المؤذية للسمع؟

ج: سمعت صف ضابط من المظليين والذي كان يتحدث عن حادثة وقعت لهم فقال: "لقد مزقناهم كل ممزق، قلبنا البيت لهم رأساً على عقب، لم نترك حجراً على حجر، وسألته: لماذا فعلتم ذلك؟؟ هل أطلقوا النار من البيت؟ فقال: لا، لم يطلقوا النار من البيت بل أطلقوا النار من جانب البيت، فقتلنا المخرب، ودخلنا إلى البيت وقلبناه.

س: وعندما تسمع ذلك، ما هو ردك؟

ج: أغادر المكان، أنا لا أحب مثل هذه الألفاظ. أغادر لأن ما يقال ليس إنسانياً ولا مهنياً، حسناً هل أنت رجل حقاً؟ ما الذي يعنيه أنك قلبت البيت رأساً على عقب؟ هذا الوضع يشبه تماماً قيام الجنود على الحواجز بصفع الفلسطينيين، لو أن الفلسطيني شتمك وصفعته لكان ذلك عدلاً، لكن ما يحدث ليس من مستوانا، إن الجيش الذي يقوم بمثل هذه الأعمال: أن يقلب بيتاً لأن شخصاً أطلق النار من جانبه، ليس جيشاً محترفاً، بل هو يهتم بالصغائر.

*مشكلة الدولة الديمقراطية

جندي:

كنت أعمل على جرافة في غزة، وقد استدعوني لأداء الخدمة الاحتياطية مساء السبت في الثالث من كانون الثاني ووصلت إلى وحدتي في اليوم التالي حال اندلاع الحرب.

س: عندما تصلون إلى الوحدة هل تتلقون توجيهات؟

ج: نعم، مسائل عادية ومن ضمنها التوقيع على تسلم السلاح وإطلاق نار وبعض الدروس، لقد تلقى جنود سلاح المشاة تدريبات صعبة للغاية أما نحن فلم يكن هناك ما نتدرب عليه، إن الأمر الذي هزني تماماً هو الحديث الذي أجراه معنا ضابط برتبة عقيد، أجراه مع الكتيبة كلها، وقد استهل الحديث بالقول: لأسفنا فإننا دولة ديمقراطية، لذا فإننا لا نستطيع أن ندمر في غزة بالقدر الذي يجب أن ندمره حقيقة، نحن دولة ديمقراطية، لذا فإن جيشنا لا يستطيع العمل بالوحشية التي يجب عليه في الحقيقة أن يعمل بها.

ثم قال: سوف نخوض هذه الحرب بوحشية ولم يشر أبداً -على غرار ما يفعل القادة في العادة في مثل هذه الحالات إلى المدنيين وضرورة الحفاظ على حياتهم، بل قال لندخل بوحشية، بوحشية.

س: أهذه الكلمات التي استخدمها؟

ج: نعم، وقال: إذا كانت هناك شكوك، لنزل بيوتاً، ولستم في حاجة لطلب إذن لكل شيء إذا كنتم ترغبون في فعله"، من المشروع إذا خشينا من وجود عبوات ناسفة أن نطلب من الدبابات قصف المكان.

وقال:" أن المستشفيات لسرورنا البالغ تغص بالجرحى، الأمر الذي سيجعلهم يموتون سريعاً"، فرد عليه أحد الجنود متندراً:" لماذا لا نقتل الأطباء؟ فأسكت الجندي، دون أن يفهم السخرية التي صاحبت قوله، وقال: نحن دولة ديمقراطية، لذا لا نستطيع فعل ما نريد". ولم يترك مجالاً لأية أسئلة.

س: كيف رد الجنود على هذا الحديث؟

ج: الكثير من الجنود لم يشعروا بالدهشة، وفي نفس الوقت لم يترك هو مجالاً للأسئلة، ولم يشر إلى الجماهير المدنية في كلامه.

س: هل تقول أن القادة بصورة عامة يتحدثون في مثل هذه الحالات عن الجماهير المدنية؟

ج: نعم. لقد أجرى قائد اللواء، وهو ضابط برتبة عقيد حديثاً معنا في نهاية الخدمة، وقال: أن الجيش حاول أن يأخذ الجماهير المدنية بعين الاعتبار لقد ذكر الجماهير المدنية، لكن بعد أن انتهت الحرب.

س: بوصفك سائق جرافة، فإن مسألة الجماهير المدنية بالنسبة لك هي مسألة فنية، نظراً لمقدرة الرؤية وحجم الجرافة الهائل، هل جنود الخدمة النظامية يؤكدون أيضاً على هذا الجانب؟

ج: إن سائق الجرافة ليس هو الذي يجب أن يهتم بالجماهير المدنية، إنه يستطيع إلحاق أضرار أكثر مما يجب لكنه لا يستطيع الاهتمام بالجماهير المدنية فحينما يقولون له: اهدم هذا البيت فإنه يهدمه وبالإمكان أن يكون سائق جرافة على غرار السائق الذي عمل في جنين، فحينما كانوا يقولون له: اهدم هذا البيت كان يستخدم الأسلوب الذي يمكنه من هدم أكبر عدد من المنازل الأخرى في طريقه.

س: هل يتواجد ضباط وقادة في مثل هذه الأحاديث؟

ج: نعم، كل الفصيلة وقائدها وقائد الكتيبة، إن أكثر ما يضايقني هو ما فعلناه داخل قطاع غزة، فحينما كانوا يقولون لنا: اهدموا هذا البيت، كنا نهدم منازل إلى جواره، وفي الحديث الذي أجريناه فيما بعد مع قائد اللواء، قال: كل منزل قلنا لكم اهدموه، كان الأمر ناجماً عن مخاوف من وجود أنفاق أو عبوات ناسفة، لقد تلقينا معلومات استخبارية حول ذلك، ولن نقول أننا هدمنا منزلاً لأنه يحول دون انفتاح مجال الرؤية.

س: هل يتم ضمكم إلى قوات ميدانية؟

ج: بصورة عامة هذا ما يحدث يتم ضمنا حيث تقوم جرافتان بقيادة رتل من الدبابات، وحينما كان يجب أن نهدم منازل كانت المدرعات والدبابات تقوم بحمايتنا، وفي هذه الحالة تصبح الدبابات تابعة لنا ولسنا نحن التابعين للدبابات، وفي كل مرة كان هناك خمس أو ست جرافات عاملة في المنطقة، ودبابات ومدرعات تقوم بحمايتها.

س: متى ندخل إلى الداخل؟

ج: أذكر أننا دخلنا يوم الخميس.

س: أي بعد أن أصبحت قوات المشاة داخل القطاع؟

ج: نعم، كانت المنطقة مهجورة تماماً، والمنازل كلها فارغة.

س: كأنها مدينة أشباح، ولا يوجد أحد فيها؟

ج: نعم.

س: ومن يشرف على الأعمال التي نقوم بها؟

ج: الدبابات.

س: وكيف تتلقون الأوامر؟ هل تكون معكم خرائط للأماكن؟

ج: في البداية كانت هناك توجيهات قبل دخولنا إلى غزة، وبعد دخولنا كنا نتلقى الأوامر بأجهزة الاتصال.

س: هل يقولون لك: هل ترى المنزل الواقع إلى يسارك، عليك أن تزيله؟

ج: نعم.

س: هل تعاملتم بصورة رئيسية مع المنازل هناك؟

ج: نعم، منازل، وحقول وبيارات ودفيئات.

س: هل كانت عبوات ناسفة في المناطق التي دمرتم فيها حقولاً ودفيئات؟

ج: أصيبت الكتيبة بصاروخين واصطدمت بعبوات ناسفة.

س: وجهت إلى الجرافات؟

ج: نعم، وقد ساورتنا مخاوف من وجود أنفاق في تلك المنازل لاختطاف جنود.

س: لماذا يجب تدمير منزل محدد وليس غيره؟ هل كنتم تتلقون أوامر من رجال المخابرات؟

ج: نعم، معلومات استخبارية.

س: وفي المناطق الزراعية هل اصطدمت بعبوات ناسفة؟

ج: نعم.

س: كم عدد المنازل التي دمروها هناك؟ هل اصطدمت بشيء من هذا القبيل إبان خدمتك في الجيش النظامي؟

ج: هدم المنازل لم يكن حتى ذلك الحين يجري كثيراً، وأذكر أن قائد الكتيبة قال في نهاية الحرب: لقد هدمنا هناك تسعمائة منزل، وأنا أعتقد أننا هدمنا عدداً كبيراً جداً، لقد عمل جنود في غزة أياماً، وهدموا المنزل وراء الآخر، لقد هدمنا منازل كثيرة جداً لقد عملت الكتيبة في الشمال والجنوب لكن بالقرب من الجدار الفاصل.

س: هل قالوا لكم خلال التوجيهات أنكم ستزيلون العبوات الناسفة لأن سلاح المشاة سيدخل خلفكم؟

ج: لا.

س: هل دخلت قوات بعدكم؟

ج: بعدنا؟ لا، لم تدخل قوات بعدنا.

س: هل تقومون بالتعامل مع جميع المناطق التي تفيد المعلومات الاستخبارية أن فيها أنفاقاً أو شيئاً من هذا القبيل؟

ج: نعم، أو أنه جرى إطلاق نار من هذه المنازل.

س: وعندما عدتم من القطاع كانت تلك عودة نهائية؟

ج: لقد عملنا هناك ثلاثة أسابيع، وفي الأسبوع الأول كانت هناك توجيهات، وفي الأسبوع الثاني، كنا غالبية الوقت نعمل، وفي الأسبوع الثالث كان هناك وقف نار. وكنا قريبين من الجدار حيث أزلنا كل ما يعيق الرؤية على مسافة مائتي متر من الجدار.

*ليست مذبحة ... لكن:

جندي:

كانت هناك إجراءات قتال عاجلة، وقبل أربع وعشرين ساعة من القيام بالعملية قدموا لنا توجيهات عامة حول الوقت الذي ستستغرقه العملية، وقد قال قائد الكتيبة أنه يخمن، ولا يؤكد، أن العملية ستستغرق ثلاثة أو أربعة أسابيع، وقال أن الجيش سيستخدم كثافة نيرانية مدفعية وجوية

مجنونة، لقد أعطانا انطباعاً بأنهم لا يرسلوننا إلى الحرب عبثاً، وأنهم يقدمون قدراً كبيراً جداً من الأمن والتغطية، ثم قال:" هذا لا يعني أنكم ذاهبون لارتكاب مذبحة .. لكن". لقد كان قوله آنف الذكر إجمالاً لكل ما قاله قبلاً، وللنكات التي أطلقها والتي ضحكنا منها، مثل قوله: "يوجد لدينا رشاش قنابل يدوية يتكلم العربية، ومدفع ثقيل يتحدث العربية أيضاً.

س: هل قالوا شيئاً حول أوامر فتح النار؟

ج: الانطباع الذي حدث لديّ تجاه مسألة أوامر فتح النار هو أن الأمور مبهمة، لم تكن هناك خطوط حمراء واضحة، إن القتال في الأماكن المأهولة يتطلب تفكيراً عميقاً من القادة، أما على صعيد النيران التي تم تفعيلها فقد راودني إحساس بأننا نخوض حرباً أمام جيش نظامي.

وقد قالوا لنا من جانب أنهم سيدخلون إلى كل بيت وهم يطلقون النار، يجب إلقاء قنبلة أو اثنتين، وإطلاق عدة صليات نيران ثم الاقتحام، لقد قالوا لنا أشياء جعلتنا ندرك أن حياتنا لها الأولوية.

* احرصوا في غزة على أن يكون الموت للجميع

قال قائد الكتيبة في توجيهاته أنه سيكون هناك عدد كبير جداً من المخربين الأمر الذي يتطلب منا أن نتوخى الحذر البالغ، لكن احرصوا على أن يكون الموت لهم جميعاً.

وقبل أن ندخل غزة قال لنا قائد السرية: سندخل غزة، وهناك سيكون لكل جندي مخربون. وقد قال ذلك لأننا كنا نشعر بخيبة أمل لأننا لم نصطدم مع المخربين، وقد كان معنا جنود من بلدة سديروت والجنوب، وقد أرادوا الانتقام من المخربين، فقال قائد السرية: لا تقلقوا، ستدخلون غزة، وهناك ستضعون الكثير من علامات إكس (X) على بنادقكم -دلالة على قتل مخرب- إلى الدرجة التي لن تجدوا فيها مكاناً على البنادق وستضعون الإكس على ملابسكم.

وعندما تحدث قائد الكتيبة، قال: أنه ليس على استعداد لقبول إصابة أي أحد منا بأذى أو مخاطرته بنفسه بسبب أشخاص مشبوهين، وإذا كانت هناك ضرورة يجب أن نزيل كل شيء، وأنه سيبذل قصارى جهده كي لا يصاب أي جندي بأذى، هذا كان التوجه العام في الجيش يجب أن نوجه ضربة نيرانية مجنونة لأن هذه هي ميزتنا الوحيدة عليهم.

س: هل كانت القوة النيرانية المستخدمة هائلة حقاً؟

ج: لقد تطايرت الصواريخ التي يطلقها سلاح المشاة من جميع الأنواع عداك عن الرشاشات الثقيلة والدبابات وسلاح الجو.

س: إلى أين كان كل ذلك يتطاير؟

ج: إلى الأماكن المشبوهة، كانت هناك قوانف صاروخية بكميات هائلة. فعندما تريد اقتحام منزل، وأنت واثق من أنه غير مأهول، أو أن هناك-على أبعد تقدير- مخرباً واحداً، يجب أن تطلق القذائف على جميع النوافذ، وصواريخ على الجدران، وعدة صواريخ هنا وهناك. أما إذا لم نكن واثقين من خلوه، فتقوم الدبابات بإزالته.

وفي إحدى الليالي شاهدوا مخرباً، ثم اختفى، فقدروا أنه دخل أحد الأنفاق في بيارة فجلبوا جرافة والتي قامت بمحو البيارة. وأنا أفهم التقديرات العملية التي دفعتهم لفعل ذلك، رغم أنه مؤلم بالنسبة لي، لم يكن هناك ميل نحو توفير الذخائر أو الوسائل المستخدمة.

س: ما هي الحالات التي كان يجب على دبابة أن تزيل منزلاً؟

ج: أحياناً أنت تعرف أن المنزل غير مأهول، لكن إذا كان يضايقك على الصعيد الدفاعي، فأنت تعمل على إزالته باستخدام دبابة أو جرافة.

وذات مرة احتللنا منزلاً مكوناً من ثماني طوابق وحظرت علينا الأوامر الدخول من أي باب نظراً لوجود (مصائد) لذا استخدمنا (المصارع) وهو صاروخ قادر على فتح ثغرات في الجدران، ودخلنا إلى المنزل من هناك، لكن هذا (المصارع) عجز عن هدم الجدار، لذا لجأنا إلى الدبابة التي أطلقت قذيفة وفتحت لنا ثغرة كي ندخل منها.

س: ما هو المصارع؟

ج: هو صاروخ يستخدم في المناطق المبنية، وهو شديد الفعالية، وقد كانت هناك حالات أطلقنا قنابلنا على أحد المنازل، ثم اكتشفنا أن فيه أناساً.

س: هل كانت هناك عمليات قصف للردع وإثبات الوجود؟

ج: بالتأكيد، فكل يومين كنا نوجه ضربة نيرانية إلى المنازل التي نراقبها بعض الوقت ونكون واثقين من أنها خالية من السكان، لم يكن أحد ليسكن في المنازل القريبة من تواجد الجيش.

س: ما هو مستوى الضربات النيرانية التي أشرت إليها؟ هل كانت بالأسلحة الخفيفة أو بالدبابات؟

ج: على صعيد الضربات النيرانية، كانت تتم بنيران الأسلحة الخفيفة، أما الدبابات فكانت تطلق القذائف فقط عندما تتلقى أوامر بذلك، وأحياناً كانت تأتي طائرة هليوكبتر فيقول قائد السرية لطيارها ما يجب عليه إزالته.

س: ما الذي حدث هناك؟

ج: كان هناك منزل قريب من مكان وجودنا فأزلناه نظراً لأنه كان يسيطر على موقعنا، لم نر فيه أحداً، ولم نعثر على سلاح أو معدات حربية لكننا أزلناه لأنه كان يسيطر على موقعنا.

*أفضل مترجم للعربية

جندي:

تحدث قائد الكتيبة عن ضرورة اليقظة وعدم الخوف، وأكد على أن المواجهات لن تكون مواجهات محددة على غرار ما كان يحدث في الخليل، ولا يجب أن نخاف من إطلاق النار إذا ما شاهدنا شخصاً مشبوهاً، ولا يجب أن نشعر بالأسف على الدمار الذي سنحدثه، لأن كل ذلك يجري بهدف حماية الجنود.

س: لكن أسلحتكم كانت خفيفة وليست دبابات، فما هو الدمار الذي يمكنكم أن تحدثوه؟

ج: هذه عملية مشتركة، ويوجد جرافات وصواريخ المصارع القادرة على إحداث ثغرات في الجدران. وقد قال قائد الكتيبة أن ما هدم يمكن بناؤه، لكن من يقتل من الجنود لا يمكننا إعادته إلى الحياة.

س: هل تحدث عن التمييز بين المدنيين والمخربين؟

ج: لقد قال ذلك فيما بعد وليس في نفس الحدث. فقد قال إذا شاهدتم مشبوهاً وأطلقتم النار فإن من الأفضل أن تصيب العيارات بريئاً من أن نتردد في إطلاق النار على عدو، يجب أن نستخدم

تقديرنا، نحن لم نعثر على أي عدو في البيت الأول الذي دخلنا إليه فقد أطلقنا النار على النوافذ، ولم يرد أحد علينا بالمثل، فدخلناه وفتحناه على غرار ما نفعل في الخليل. فنحن ندخل وندعو رب البيت لفتح الباب، ونجمع الرجال ونقيدهم ونجمع العائلة كلها في غزفة واحدة، ثم نشرع بعملية التمشيط، وهذا شيء بصورة عامة لا نفعله في الحرب.

س: عندما دخلت إلى منزل في غزة كنت تعرف ما الذي ستفعله غير ما كنت تفعله في الخليل؟ وبماذا يختلف عما كان في الخليل؟

ج: عندما تدخل إلى منزل في غزة، فإن الفكرة الأساسية هي أن هناك عدواً في المنزل، لذا يجب أن تطلق النار داخله، وفي المنزل الأول لم نطلق النار داخله، لأننا أطلقنا النار على نوافذه من الخارج ولم يرد أحد علينا بالمثل مما جعلنا ندرك أنه خالٍ من المخربين، فدققنا على الباب وقلنا للسكان أن يتجمعوا في الأسفل، وجمعناهم في غرفة واحدة، وبدأنا عملية التمشيط الأمنية بحثاً عن أي شيء يدينهم، كالأسلحة والمواد الدعائية وما شابه.

س: من وجدتم في البيت؟

ج: رجال، ونساء، وأطفال. لقد كان هذا البيت هو هدفنا الأول في الخطة، دخلنا سيراً على الأقدام حتى وصلنا إلى الحي، ثم بدأنا الهجوم، وأطلقنا نيراناً كثيفة حتى رغم عدم وجود أحد، يجب أن نتأكد من أنهم لن يفاجئوك ولنفترض أنك دخلت مستنبتاً بعد أن فتحت فتحة في الجدار، يجب في هذه الحالة أن تطلق النار على صفوف الأشجار لضمان عدم مفاجأتك.

س: وعلى المنزل أيضاً أطلقتم النار رغم أنه كانت فيه عائلة بريئة، هل تحدث قائد الكتيبة عن إمكانية حدوث وضع كهذا، أي أن تطلقوا النار على منزل فيه أبرياء؟

ج: لا أتذكر أنه تطرق إلى مثل هذه القضية بالتحديد لكن فيما بعد كنا ندخل البيوت بعد ذلك، ونطالب السكان بالنزول إلى الأسفل، ولم يكونوا يتجاوبون معنا، فكنا نقوم بتمشيط المنزل غرفة غرفة، وإذا ما لاحظنا حركة مشبوهة نصرخ عليهم بالخروج إلى الخارج ثم نشرع بإطلاق النار على الغرف، وتبدأ المعركة.

س: ألم يتحدث قائد الكتيبة معكم حول وجود مدنيين في المنازل واحتمال أن تواجهونهم؟

ج: لقد قال بالتأكيد أن الوضع سيكون معقداً نظراً لأن العدو يختبئ خلف الجماهير المدنية، لكن إذا شككنا في شيء، فلا يجب أن يجعلنا هذا الشك نتردد لأن من الجائز أن يكون الشخص الذي ترددنا حياله هو العدو، وحتى لو كانت التي تقترب إلى البيت امرأة كهلة، فقد تكون كهلة وتحمل عبوة ناسفة.

س: هل سألتم كيف يمكن التأكد من ذلك؟ وهل هناك إجراءات لفتح النار بهذا الصدد؟

ج: إجراءات فتح النار تختلف عما نتحدث عنه، ففي حالتنا أنت ترى مشبوهاً، ومن ثم تطلق النار عليه مباشرة لأنك تخشى من أن يفر، لذا يجب أن نكون حذرين من أن نصيب أحداً عبثاً، لقد حذرنا من أننا سندخل إلى مكان معقد، ومن ثم إذا ما شاهدنا مشبوهاً يجب أن لا نتردد. ونظراً لأن العدو يختبئ بين المدنيين، يجب أن نكون أكثر حذراً، وإذا ما اكتشفنا أن الشخص لن يعرضنا للخطر فلا ضرورة لإطلاق النار، أما إذا كانت هناك أقل الشكوك تجاه الهدف، فيجب إطلاق النار فوراً. ويجب إعلام الجهات المسؤولة عن ذلك.

س: هذا يعني أنه إذا كان هناك شخص لا يثير الشكوك أو خارج مسافة نيراننا لا يجب إطلاق النار عليه؟

ج: هناك مرحلتان: الأولى مرحلة الاحتلال الأولية للأهداف، وشاهدنا مشبوهاً يجب إطلاق النار عليه خصوصاً إذا كان في المجال المحدد للبيوت التي تسيطر عليها، أما إذا كان الشخص خارج هذا المجال، فيجب الإعلام عنه، وطلب إذن بإطلاق النار.

س: هناك إجراءات اعتقال مشبوه مثل أن تدعوه للتوقف، أو إطلاق النار في الهواء، أعتقد ان تحديد المجال الذي أشرت إليه هو بمثابة لغة خاصة بالسرية؟

ج: نعم، هي لغة خاصة بالسرية.

س: إذا جاء شخص ما، كيف تعلمه بالابتعاد، هل لديكم مكبرات صوت؟؟

ج: لا، لا يوجد مكبرات صوت. لكن سلاح الجو قام قبل اجتياحنا بإلقاء منشورات، ويجب على المدنيين الموجودين هناك مغادرة المكان، هناك إطلاق نار في الهواء أو باتجاه القدمين، أما إذا

ما اجتاز الخط الأحمر فمن المفروض أن تطلق النار عليه، إلا إذا كان هناك إخطار خاص مثل إعلان وقف النار مثلما كان يحدث بين الفينة والأخرى.

س: ما هي المسافة الفاصلة بين المنزل الذي تنزلون فيه والخط الأحمر؟

ج: مائة متر، أي في حدود مرمى الأسلحة الخفيفة. ويوجد لدينا قناصين ينظرون في مناظيرهم إلى مسافات بعيدة ويرون كل من يقترب.

س: ما هي مشاعر الجنود في أعقاب اللقاء الذي أجروه مع قائد الكتيبة وحديثه إليهم؟

ج: لقد خرجت بإحساس ليس جيداً، وذلك بسبب الألفاظ التي استخدمها تجاه عدد من الأشياء، وفي نفس الوقت كان لديّ حماس لدخول الحرب.

س: ما الذي قاله رئيس الكتيبة وأقلقك؟

ج: لقد قال: أن أفضل مترجم للغة العربية هو رشاش القنابل اليدوية.

س: هل أبدى الجنود استهجاناً لما قال؟

ج: قسم منهم، وهذا أكثر ما أقلقني، لقد وصف أحد الجنود الكتائب بالقول: أنها شبيهة بالكلب الذي ينهالون عليه ضرباً وهو مقيد، ثم يفكون قيده ويوجهونه ويقولون له: انطلق، وهذا صحيح جداً. إن جنود سلاح المشاة يأكلون-البراز- أثناء عمليات الأمن الشامل، وهذا هو نهج كل جيش والشبان الذين يدخلون الجيش ينقسمون قسمين، فمنهم من يحمل أفكاراً عنصرية متطرفة، ومنهم من يقول لا أريد حرباً، لكن لا مفر أمامي، وفي الحياة لن نستطيع إحلال السلام مع العرب، وهناك أيضاً أشخاص يحملون أفكاراً يسارية بيد أنهم قلة.

س: ومما لا شك فيه أن كل هذا يجري تحت عنوان الضرورات التنفيذية؟؟

ج: نعم، وأعتقد أن ذلك قيل في إطار ضرورة الدخول بقوات كبيرة، فهم يعرفون أننا سندخل، بيد أن عامل المفاجأة يتمثل في أننا ندخل بقوة كبيرة لندمر ونلحق الخراب في أكبر قدر من بنية الإرهاب، كأن نقول: لقد مللنا قصف صواريخ القسام، وأفضل طريقة للتحدث بالعربية هي استخدام رشاش القنابل اليدوية، أي أن العرب لا يفهمون سوى القوة.

أنا أعرف أن ذلك قيل في إطار الحماس الناجم عن اقتراب الحرب لإثارة الجنود، لأن هناك احتمالين حينما تخوض حرباً: أما أنك شديد الخوف، أو أنك شديد الحماس، ومن الأفضل أن تكون شديد الحماس لأنك بذلك ستقوم بعملك بصورة أفضل.

*القادة سمحوا بأكثر من ذلك

جندي

س: تحدثت عن الأجواء السائدة، والجندي ينظر دائماً لقائده الميداني، فكيف كانت مسلكية قائد سريتك؟ وما هو مفهوم – سيروا ورائي-الذي طرحه؟

ج: هناك شخصان شاهدتهما أثناء هذه الحرب، هناك شخص فلسطيني كان يسير قريباً من الموقع، وبعد أن أزاله الجنود اتضح أنه شخص بريء، ورغم ذلك قال قائد السرية في جهاز الاتصال: هذا طعام العشاء، لا أعتقد أنه جاء إلى الحرب وهو متعطش للدماء لكنه كان أقل اهتماماً بالسيطرة على ما يحدث.أما الشخصية الثانية فهو نائب قائد السرية، الذي كان يتشاجر مع الجنود كي لا يجلسوا على المقاعد في المنازل ولا يقوموا بعمليات تخريب أعتقد أنه كان قدوة حقاً.

س: ماذا قال الجنود عن قائد السرية؟

ج: على الصعيد الأخلاقي كان الحديث أقل، أما على الصعيد المهني، فقد تحدثنا كثيراً. المسألة لم تكن مسألة إنسانية، لقد كان الوضع صعباً، إلى الدرجة التي لم نكن نفكر كثيراً في مكانة حياة الإنسان، لم يكن هناك انطباع بأن أحداً يتأثر جراء قتل شخص، ولم تكن هذه الحرب هي الحرب الأولى بالنسبة لغالبية الجنود، فقد خاضوا قبلاً العديد من العمليات العسكرية، لقد خرجت من هناك بانطباع صعب، فأنا حقاً لم أرى مستواهم على صعيد الفعل، لكن بالنسبة للأجواء، فإن المسلح أو غير المسلح، المتهم أو غير المتهم لا يغير من الأمر شيئاً، وهذا لم يفاجئني لأنني عرفت هؤلاء الجنود قبل ذلك، لقد كانت أصابعهم هناك أسرع إلى الزناد.

س: هل سمح الجنود لأنفسهم بأكثر مما ينبغي؟؟

ج: نعم، وكذلك القادة سمحوا أكثر، إن التحذيرات التي تلقيناها قبل خوض الحرب تجعلني أقول: أما أنهم كذبوا علينا، أو أننا خرجنا سالمين من هناك بمعجزة.

*دعوا الأخلاق لما بعد الآن

جندي

س: ماذا قالوا لكم في التوجيهات قبل الاجتياح؟

ج: في التوجيهات الرسمية، لم يقولوا لنا شيئاً حول ما سنفعله، لأننا لم نكن نعرف ما الذي سنفعله، وحتى ساعات المساء أي قبل بدء الاجتياح، لم نكن نعلم ما الذي سنفعله في القاطع الذي سنجتاحه، بيد أن جميع الذين تحدثوا معنا، سواء أكان قائد اللواء أو الضباط الآخرين، كانوا شديدي الحماس ومقاتلين.

س: ما هي اللغة التي استخدموها؟

ج: كان التوجه العام يقول: نحن نتجه نحو الحرب، وإبان التدريبات في مركز التدريب تسأليم، جاء قائد اللواء وجلس معنا عندما أوقدنا ناراً وجلسنا حولها للاستراحة، وقد وجهنا إليه العديد من الأسئلة مثل: ما الذي سيجري في غزة، وما هو متوقع؟ فقال: هذه حرب، وفي الحرب لا نهتم للمدنيين أبداً، كل من ترونه أطلقوا النار عليه، هذه هي روحية التوجيهات التي قدمها لنا.

س: كيف تعامل الجنود مع هذا الطرح؟

ج: نحن سرية بالغة جداً، فنحن جميعاً تزيد أعمارنا عن ثلاث وثلاثين سنة، وقد راودتنا الكثير من الشكوك حول أقواله، ومخاوف من توجهات الجيش، هذا تجاه نفسي، لكنني لا أعرف ما الذي شعر به كل من سمعه من الجنود، بالنسبة لي شعرت باشمئزاز شديد. لقد حدث لدي انطباع ليس من أقواله فقط، بل من خلال أقوال كل من تحدثوا معنا: إن الجانب الإنساني لا علاقة له بالجيش الإسرائيلي أبداً.

إن الهدف يتمثل في تنفيذ العملية بأقل الخسائر البشرية في الجيش ودون أن نسأل أنفسنا عن الثمن الذي سيدفعه الطرف الأخرى، هذه كانت روحية أكثر من ضابط واحد.

س: روحية أكثر من ضابط؟؟

ج: لا أستطيع أن أقول لك من الذي تحدث معنا باستثناء قائد اللواء، لقد تحدث معنا العديد من الضباط.

س: خلال المحادثات الرسمية هل تكررت هذه اللهجة؟

ج: لا لم تكن هناك الكثير من المحادثات الرسمية، فقد كنا في التدريبات غالبية الوقت، لذا لم يكن هناك وقتاً للحديث مع ضباط خارج وحداتنا، بيد أن أقوال قائد اللواء كانت واضحة جداً.

س: ماذا قال قائد اللواء أيضاً؟

ج: لقد قال لنا: ستكونون طيلة الوقت في الدبابات، لا أريد أن تقلقكم قضايا أخلاقية دعوها تقلقكم بعد الحرب، دعوا ذلك لما بعد. أما الآن-ساعة الحرب-اطلقوا النار.

س: وخلال هذه الحرب ماذا قال؟

ج: إبان التدريبات في تسأليم أخذنا ليرينا ما هو القتال في المناطق المأهولة والمبنية، وقد حاول أن يقول لنا: أنه لا يجب أن تخاطر أبداً، فإذا كان هناك مبنى يحجب زاوية رؤيتك في الدبابة، يجب أن تزيله، ولم يطرح أي شيء حول من هم موجودون في المبنى، إن كل ما يضايقك يجب أن تبذل كل ما بوسعك كي لا يضايقك بغض النظر عن الأبعاد الإنسانية لمثل هذه العملية.

لقد كانت هذه هي روحية الأقوال التي سمعناها من كل ضابط تحدثنا معه، ودعني أقول أن مسألة طهارة السلاح لم تطرح أبداً خلال هذه الأحاديث.

الباب الرابع

استخدام القنابل الفسفورية

*الاستخدام الوحيد في العمليات

جندي:

تلقينا معلومات استخبارية بأن هناك بيتاً معيناً تم نصب مصيدة متفجرات لنا فيه، كما أن فيه مغائر والكثير من الأمور الأخرى، أي أن هذا البيت هو شديد الخطورة. لذا لم يسمح بدخول قوات إليه نظراً للخطر الكامن فيه، إضافة إلى احتمال الاختطاف عبر الأنفاق، فقام الجنود بإطلاق عدة قذائف عليه، بيد أنه لم تقع الانفجارات التي كانوا يتوقعونها من العبوات الموجودة فيه، وحينها وصلنا أمراً ينص على ضرورة إضرام النار فيه.

وطريقة إحراقه كانت تتمثل في إطلاق قنابل فسفورية عليه، إن ما يفعله الفوسفور هو نشر مظلة نيران فوق الهدف الأمر الذي يضرم النار في المنزل بكامله، وقد شاهدنا العديد من الانفجارات جراء ذلك، بما فيها انطلاق صاروخي قسام باتجاه إسرائيل، ويبدو أنهما كانا موجهين وجاهزين للعمل، وأنا أعتقد أن هذا هو الاستخدام الوحيد لسريتنا لهذا النوع من القنابل والذي يمكنني أن أقول سببه، لقد كان هناك استخدام لقنابل الفوسفور، وحينما نظرنا نحو الشمال شاهدنا لواء جبعاتي في حي الزيتون، وشاهدنا استخداماً كثيراً لقنابل الفوسفور، ولا أستطيع أن أقول ما هي الضرورة العملية لاستخدام الفوسفور هناك، ومن الصعب أن أقول فيما إذا كان استخدامه قد تم في منطقة مأهولة أم لا، لقد بدا لي أنه يجري في منطقة مأهولة، بيد أن من الجائز أن لا يكون الأمر كذلك، لقد تم استخدام قنابل الفوسفور، وأنا شاهدتها بنفسي وشاهدت مظلة النيران التي تخلقها.

*استخدام الفوسفور كمضرم للنار

جندي

استخدمنا قنابل الفوسفور مرات عديدة، فالمنزل الذي كنا نشتبه بوجود أنفاق أو عبوات ناسفة فيه كنا نقصفه بقنابل الفوسفور باختلاف أنواعها رغبة منا في أن يؤدي ذلك إلى تفجير جميع العبوات الناسفة، أي أننا استخدمنا الفوسفور كمضرم للنيران ومن خلال قصف قنابل الفوسفور تنفجر العبوات والأنفاق كل شيء تشتعل فيه النيران.

س: هل هذا ما قالوه لكم في مجموعات الأوامر؟

ج: لا، أنا أقول هذا كملاحظة منا الآن.

س: متى سمعت عن مسألة القنابل الفسفورية؟ ومِن مَن؟

ج: شاهدت ذلك بنفسي، ربما كانت هناك العديد من الشائعات، لكنني شاهدت ذلك بنفسي على أحد المنازل.

س: ما هي قصة هذا البيت؟

ج: قصته أنه وصلتنا معلومات استخبارية حول وجود عبوات ناسفة وأنفاق فيه، وقد أطلقوا عليه قنبلة بيد أنها لم تفعل شيئاً، ولم تأت برد الفعل الذي أردناه لذا اتخذ قرار بتوجيه مدافع الفوسفور إليه، ولست أتذكر فيما إذا كانوا قد أطلقوا عليه قنبلة واحدة أو عدة قنابل، وأعتقد أنهم أطلقوا عدة قنابل، وقد أضرم الفوسفور النار بالبيت كله، وقد حدثت فيما بعد انفجارات.

س: هل أصاب الفوسفور البيت المذكور فقط؟

ج: لا أعرف بالضبط، لقد شاهدت ذلك لأنني كنت في نوبة حراسة، لقد ولد الفوسفور مظلة نيران، القنبلة تنفجر على ارتفاع عشرات الأمتار من البيت وتخلق فوقه مظلة نيرانية، وإذا سألتني هل أصابت الهدف بدقة، سأقول لك: أنها مثل قنابل المدافع الأخرى لا تصيب الهدف بدقة، لكن ضابط المدفعية قال: أن الإصابة كانت دقيقة.

س: هل هذه هي حادثة إطلاق قنابل الفوسفور الوحيدة التي تذكرها في القاطع الذي كانت سريتك تعمل فيه؟

ج: طيلة الوقت كنا نسمع الانفجار، لقد كنا قريبين بما فيه الكفاية من الحدود كي نسمع انطلاق القذيفة وانفجارها. وموقعنا أيضاً كان يطلق القذائف، قذائف هاون على المنزل.

س: هل استخدمتم قصف الهاون بصورة مثكفة؟

ج: لا أعرف ما الذي تقصده بكلمة مكثف، لكنني أعتقد أننا أطلقنا القذائف عشرات المرات خلال الأسبوع الذي مكثناه هناك.

س: هل مدافع الهاون التي استخدمتموها دقيقة؟

ج: المدافع لم تكن دقيقة، ولا أعتقد أن هناك من كان يفكر فيما إذا كانت دقيقة أم لا؟ لقد كنا نعرف أنه لا يوجد أحد في الحي، أو أنه من المفروض أن لا يكون فيه أحد، وكل من يتواجد هناك هو مخرب وهذا واضح، لذا فقد كان الخوف كله منصباً على حياة الجنود كنا نخشى من إمكانية أن تقوم قواتنا بإطلاق النار على قواتنا.

*ليست قوات

جندي

عدنا بعد ذلك شمالاً، وبتنا على بعد خمسمانة متر من الجدار الفاصل، وقد بقينا هناك طيلة الليل، ولم نر أي شيء غير عادي، ثم عدنا في اليوم التالي إلى الموقع لتلقي أمر مهمة جديدة، وأمرنا بالانضمام إلى قوات المظليين فسرنا معها على الساحل، وحينها شاهدت قنابل الفوسفور وشاهدنا آثار الفوسفور على الشاطئ.

س: ما الذي شاهدتموه؟

ج: عندما نسير على الشاطئ، كنا نسمع صوت شيء ينكسر تحت حذائك، وحينما نظرنا على الشاطئ، رأينا وكأن شخصاً حطم آلاف الزجاجات.

س: ما لونها؟

ج: بني غامق.

س: هل شاهدتم بقايا هذه القنابل أيضاً في أماكن أخرى؟

ج: كانت هناك مساحة تتراوح بين 200-300 متر مربع من الشاطئ فيها تلك البقايا، وفهمنا أن هذه آثار الفوسفور وقد شعرنا بالضيق.

س: لماذا؟

ج: لأنك تتعلم أثناء التدريبات أنهم لن يستخدموا القنابل الفوسفورية، ويعلمونك أن استخدامها ليس إنسانياً وأنت ترى في الأفلام ما الذي يفعله الفوسفور حينما يصيب إنساناً، وتقول لنفسك،ها نحن أيضاً قد فعلنا ذلك، أنا لم أكن أتوقع مشاهدة ذلك.

لقد اعتقدت حتى تلك اللحظة أنني في أكثر جيوش العالم إنسانية، كنت أعرف أنه حتى في الضفة الغربية عندما كنا ندخل حياً كنا نتسلل بهدوء ليس فقط كي لا يرونا، بل أيضاً كي لا نقض مضاجع من يريد أن يرتاح من الجيران، وحتى حينما كانوا يلقون علينا زجاجات حارقة في الضفة الغربية لم نكن نطلق النار، والقوانين واضحة تماماً، لا يجب أن نطلق النار إلا إذا كانت حياتنا في خطر، ورغم أن حياتي تعرضت للكثير من الخطر إبان خدمتي في الضفة الغربية، إلا أنني وحتى الآن لم أطلق النار سوى على الأهداف الكرتونية في ميادين الرماية، فالجندي الإسرائيلي لا يطلق النار عبثاً، ولا يستخدم القوة أكثر مما تتطلبه المهمة التي كلف بها، ويخيل لي أن القنابل الفوسفورية تفوق جميع المهام التي يمكن تنفيذها، لقد شاهدنا الطائرات وهي تعمل، وكنا نرى الصاروخ وهو ينطلق من أحد المنازل باتجاه إسرائيل، وبعد قليل نرى الطائرات وهي تدمر المنزل والمنازل الأربعة المحيطة به ولا أدري فيما إذا كانت تلك قنابل فوسفورية أم لا، ولا يهمني، ببساطة لقد تم محو أحياء بكاملها على هذا النحو لأن صواريخ القسام أطلقت من أربعة منازل من هذا الحي، لا يوجد تناسب في القوات والعمل.

س: عندما دخلتم كانت المدفعية وسلاح الجو والدبابات تعمل، هل شاهدت ما الذي قصفوه، وكيف عملت الدبابات؟

ج: أرسلنا العديد من الجنود لمصاحبة الدبابات في عملها، وكانت الدبابات تقف على تلة عالية وتنتظر حتى يتحرك شيء ما فتطلق النار عليه.

س: ما الذي تعنيه كانوا بانتظار تحرك شيء ما؟ ألم تكن هناك إجراءات فتح نار؟ ماذا قالوا لكم في التوجيهات؟

ج: كل ما يبدو لكم مشبوهاً، أطلقوا النار عليه.

س: ما الذي تعنيه بمشبوه؟ هل تعني توفر الوسيلة والنية لديه للعمل؟

ج: نعم، يجب أن نشخص الوسيلة التي بحوزته، ونتأكد من أنه ليس من قواتنا، وإذا كان بحوزته وسيلة فهذا كافٍ لإطلاق النار.

س: لا توجد نية، ودون توفر النية تطلقون النار عليه؟

ج: إننا نطلق من الافتراض القائل أن هذا الشخص موجود في منطقة قتال نقوم بقصفها، ولديه كلاشينكوف.

س: دخلتم إلى حي العطاطرة، وشاهدتم مباني، ومنازل؟

ج: دمار، لقد دخلت إلى العطاطرة بعد أن شاهدت الصورة الجوية ولم أر منازل، فقد تذكرت أنه يجب أن يكون هناك منزل ذو طابقين عند المفترق، لكنني لم أجد أية منازل، وتذكرت أنه يجب أن يكون هناك ميدان وعليه شعار حماس، لكنني لم أجد، وكل ما وجدته خرائب منازل.

س: ما هو تأثير تلك الخرائب على اللغة المشتركة، وإمكانية توجيه النار؟

ج: لقد وصلت الأمور إلى حد أننا حاولنا أن نرسل تقارير إلى المخابرات الميدانية حول شيء مشبوه وأن نصف مكانه عبر القول: أنه بجوار المنزل أو مفترق الطريق كذا وكذا، لكننا لم نجد أي معلم يمكن أن ننسب إليه شيء ويسألك ضابط المخابرات من الناحية الثانية: هل الهدف المشبوه في المفترق الثالث أو الرابع؟ فتقول أنه لا وجود لمفترقات، فالمنازل مهدومة ومتناثرة وتغطي جميع المفترقات، لم يكن بمقدورنا توجيه الطائرات لأن جميع نقاط الاستدلال الفارقة أزيلت، لذا اضطررنا لتقدير الأماكن والقوة دائماً: تقريباً، وهذا أثار غضبي لأن معنى ذلك أن يزيل الطيار المنزل الخطأ.

س: هل كانت (تقريباً) من تقديرك أم أنهم سألوك أين تقريباً؟

ج: كان ذلك تحليلي للوضع، فأنت تقول له: على بعد ثمانمائة متر شرقاً من البحر وبالغرب كذا متراً وهكذا وإذا لم يقم الطيار بقياس كل ذلك بالأجهزة التي بحوزته، فسوف يضيع الهدف، لم يكن هذا القصف هو القصف الذي تعلمناه طيلة الوقت، من الجائز أن الطيار يستخدم القنبلة الذكية نفسها، بيد أنه يوجهها إلى مكان خاطئ.

الباب الخامس

الأجواء والسيطرة
على المنازل

***لنطلق النار ونشعر بالقوة:**

جندي:

س: ما هو الشيء الذي اخترق أذنيك بشدة ولم يعجبك في هذه الحرب؟

ج: كانت هناك الكثير من الأشياء، أولاً وقبل كل شيء الدمار، وإطلاق النار على أناس أبرياء والصدمة التي شعرتها وأنا أسأل نفسي مع من أخدم؟ إنهم زملاني وهم يتصرفون على هذا النحو، هذا مذهل حقاً، ولا أكاد أفهمه.

س: ما الذي خيب آمالك في زملائك الذين كانوا معك؟ وهل لا زالوا أصدقاءك؟

ج: هم زملاني لأنه لا يوجد ما يمكن فعله، أنا مجبر على أن أكون زميلهم، لا يوجد لدي خيارات كثيرة أنا أعيش معهم، أما الكراهية والمتعة بالقتل فلا، لقد قتلت مخرباً، أزلنا له رأسه.

س: هل كانت الأجواء مريحة جداً دون ضغوط أو تحفظات؟ ألم يكن هناك شخص قادر على كبح جماح زملائك؟

ج: عندما يقول لك قائد سريتك وقائد كتيبتك: أطلق النار، فإن الجنود لن يكبحوا جماح أنفسهم، إنهم ينتظرون هذا اليوم، متعة أن يطلقوا النار ويشعروا بالقوة في أيديهم.

س: هل يشعرون بذلك؟

ج: مثلما تشعر ويدك على الزناد أنك قادر على إزالة نصف منزل بضغطة واحدة، حينها ستشعر حقاً.

س: إذاً لماذا تبدو محبطاً من الحرب؟

ج: محبط جداً، لكنني لم أكن أتوقع أكثر من ذلك، أنا لا أخدع نفسي، هذا جيشي، إنهم في نهاية المطاف ستون صبياً تتراوح أعمارهم بين 19-20 سنة والقوة والعنف هما جزء من حياتهم. لذا ما حدث لم يفاجئني أبداً.

س: كيف خرجت من هناك؟

ج: عندما دخلت إلى غزة كانت الأجواء كلها تقول: لندخل وكل الدولة تؤيدني، لكن خلال مكوثي في القطاع لم يعد لدي أي اهتمام، وعندما خرجت من هناك لم أخرج وأنا أعيش إحساس بالبطولة أو التضحية الكبيرة، بل خرجت بإحساس الغثيان والضجر والسذاجة، هناك أناس قد عاشوا المعاناة، لم أشعر أنني قد قمت بفعل كبير وعملت على إقناع نفسي بأنني كنت جيداً في غزة، وأن بالإمكان أن أروي ذلك لزملائي.

س: وأن تمحو قسماً مما ما حدث؟

ج: نعم، لدي أحاسيس تجاه إخراج العائلات، لقد كان علينا فعل ذلك، رغم أنه ليس مريحاً: اعتقالات حواجز، تمشيط، وعلى هذا الصعيد لم تكن غزة لتختلف عن أماكن أخرى، إن الإحساس الذي خرجت به من هناك هو: كيف يمكن أن تصبح حياة الإنسان لا شيء؟

س: ما الذي أخذته من هناك؟

ج: كيف يمكن لأشخاص أن يروا آخرين يموتون أو يعانون، وكيف يمكنك أن تكون غير مبالٍ بذلك.

س: هل شعرت باللامبالاة؟

ج: نعم، وكأنك تستطيع أن تطفي نفسك، فتقول: لقد مات، دعونا نواصل المسير.

س: هل أخافتك اللامبالاة؟

ج: لم تخيفني بقدر ما قال لي: انتبه، إن ما شاهدته وكيف تقبلته جعلني استيقظ قليلاً، لقد علمني ما حدث أنه بمقدوري أنا أيضاً أن أشاهد ما حدث وأقبله دون أن تجتاحني الكوابيس ليلاً، وعندما أفكر في كل ذلك، أجد أنهم عانوا.

س: لكن الآلام والمعاناة كانا بعيدين عنكم باستثناء بعض الحالات؟

ج: أنت لا تستطيع استيعاب كل الآلام التي كانت هناك. وأنا لا أقول أن الحرب لم تكن عادلة. بل اعتقدت أنها عادلة، فقد أردت إعادة الهدوء إلى سكان الجنوب، أنت لا تستطيع أن تستوعب مدى الآلام التي جلبناها إلى غزة.

س: هل أدركتم ذلك حينما دخلتم إلى المدينة؟

ج: نعم، فأنت ترى هناك دبابات تقوم بالقصف، وفتحات هنا وهناك في الجدران، وقنبلة دبابة تخترق جداراً، فتندلع النيران في المبنى كله، هل تعرف؟ لقد شاهدت أناساً يتعذبون، ورأيت كيف رد زملائي وكيف رددت أنا، وكل ذلك جلبته على نفسي من هناك ولا أدري كيف يمكن أن يكون الإنسان لامبالٍ تجاه الآلام، أو يأخذها كأمر مسلم به؟.

*السيطرة على المنازل ..

استخدام عسكري معقول

جندي:

بدأت الاستعدادات لدخول قطاع غزة في أعقاب الحرب اللبنانية، وقد قمنا بتدريبات مرتين من أجل هذه العملية، وكانت مهمة كتيبتنا خلال التدريبات الفصل بين رفح وخانيونس وعزل رفح كي تتمكن قوة أخرى من إجراء عمليات تمشيط فيها واكتشاف والأنفاق.

س: في أعقاب بدء الهجوم البري؟

ج: نعم، لقد بدأت العمليات البرية ليلة السبت، ويوم الأحد وكنا نخوض تدريبات، وفي نهاية المطاف دخلنا القطاع مساء يوم الجمعة، أي بعد أسبوعين من استدعائنا كي نحل محل سرية لواء جولاني في المواقع التي كانت تحتلها، وقد كانوا مثلنا تحت قيادة لواء مدرعات نظامي، وقائد لوائهم كان قائد القاطع هناك وكنا تحت قيادته، وقد قمنا باحتلال المنازل التي سبق للواء جولاني أن احتلها، ولم أسمع أن الكتيبة غيرت مواقعها خلال الفترة التي مكثناها هناك، وكذلك أعتقد أن جنود جولاني بقوا في نفس المواقع، بيد أن الدبابات غيرت مواقعها.

س: عندما دخلتم إلى المنزل،كيف بدا؟ وكيف كان وضعه؟

ج: بصورة مبدئية جميع التدريبات التي أجريناها لاقتحام المنازل كانت دون استخدام السلاح، وباستخدام السلاح، وفي أعقاب العبر التي تم استقاؤها من الاقتحام البري الأولي لغزة، أدركنا أنه لا يوجد اقتحام دون استخدام السلاح، وكل حالة وما يناسبها.

س: وكيف تحدث عملية الاجتياح بالسلاح؟

ج: صواريخ، دبابات، رشاشات ثقيلة داخل البيت وقنابل يدوية، وكل غرفة ندخلها ونحن نطلق النار لقد قامت فكرة الاقتحام على أنه حينما نقتحم منزلاً لا يجب أن يكون هناك شخص داخله قادر على رفع السلاح في وجهنا، وكان المنطق ينص على أنه لا يجب علينا اقتحام أي منزل تعتقد حركة حماس أننا نقتحمه لأنها ستعمد إلى تفخيخه بالمتفجرات.

س: إن الدخول بالسلاح إلى منزل يعني إغلاق المنطقة حوله واستخدام الدبابات والمدفعية والصواريخ لقصفه.

ج: نعم، هذا ما تم إعدادنا له، وعندما كان جنود جولاني يصلون إلى المنزل الذي ينوون اقتحامه، كان المنزل يصبح جاهزاً تماماً، ولا أحد يطلق النار عليهم منه، ولا يوجد من يطلقون النار عليهم فيه، لقد كانوا يحتلون المنزل دون استخدام السلاح.

س: كيف كان وضع المنزل وأثاثه؟

ج: كنا في بيت قليل الأثاث، بضعة مقاعد بلاستيكية وخشبات وفي غرفة النوم سرير، وخزانة ملابس، وقد قام جنود جولاني بتفكيك الخزانة وألقوا الملابس خارجاً لضمان عدم وجود عبوات ناسفة بينها.

س: ألم تروا دماراً غير الذي أشرت إليه؟ هل الذي حدث كان تفتيشاً عسكرياً اعتيادياً؟

ج: نعم، لم يكن هناك دمار باستثناء التفتيش العسكري العادي، لقد كانت معدات المطبخ أيضاً قليلة جداً، وكان في المطبخ طعام أعده سكان البيت قبل أن يفروا منه، ولم نتناوله نحن، لأننا خشينا من أن يكونوا قد وضعوا لنا السم فيه، وقد استخدمت الخشبات والحرامات للجلوس والنوم، وفي منزل آخر دخلناه كان عبارة عن مجرد هيكل، لذا لم يتم تدمير أي شيء فيه.

وفي منزل آخر كان هناك أصحاب المنزل، فقام الجيش بالتأكد من هوياتهم وكونهم غير مطلوبين أو يحملون سلاحاً وهذا يعني أن يخلعوا جميع ملابسهم، بما فيهم النساء اللاتي يجب أن يزلن الحجاب لأن بعض ناشطي حماس يرتدون ملابس النساء، كما أن هناك نساء انتحاريات هذه هي الإجراءات، وقد كان البيت فاخراً وفيه أربعة رجال، ولم يقم الجنود بتخريب أي شيء.

الباب السادس

ترس بشري

* "جوني "

جندي

كان ذلك خلال الأسبوع الذي اتسم بقتال مكثف في الأسبوع الأول كانت هناك عبوات ناسفة، وأنفاق في المناطق المفتوحة ومسلحون في المنازل، وكان القتال بطيناً للغاية وفي النهاية سيطرت القوات على منطقة صغيرة جداً مؤلفة من عدة عشرات من المنازل في غضون أسبوع كامل، كانت القوات تعمل ببطء وتغلق الطريق أمام كل منزل، ولم تكن القوات تستخدم الأسلوب المسمى "إجراء الجار"- إجراء اتبعه الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية في مهاجمة منازل المطلوبين، حيث يلزم أحد جيران المطلوب على دخول المنزل الذي يتحصن فيه المطلوب لإقناعه بالاستسلام مع تعرضه للخطر من الجنود ومن المطلوب - بل غيرت اسمه وأطلقت عليه اسم (جوني) لقد أطلقوا على كل فلسطيني اسم جوني، وكان هناك فلسطينيون لا يزالون باقين في المنازل رغم المنشورات التي تم توزيعها كي يغادروا المنطقة قبل الاقتحام، وقد غادرت الغالبية فعلاً، لكن بقي بعض المواطنين في المنازل لحراستها، ومن الجائز أنه لم يكن لهم مكان يذهبون إليه، وشاهدنا هناك أناساً لم يستطيعوا الذهاب، وكنا نطوق كل بيت، ثم ندخل (جوني)-الجار- إلى المنزل وإذا كان هناك مسلحون نبدأ العمل ضدهم بجميع الوسائل بما يسمى "طنجرة ضغط".

س: كل وحدة تعرّف إجراء "طنجرة ضغط" بصورة مختلفة ما هو مفهوم هذا الإجراء لديكم؟

ج: من الجائز أن هناك اختلافاً في فهم هذا الإجراء، بيد أنه يعني بصورة أساسية إخراجهم أحياء، وإلقاء القبض على المسلحين، لم تكن الكثير من الاصطدامات هناك بل بضعة اصطدامات،

وفي إحدى الحالات دفعوهم للخروج ثم بدأوا إطلاق النار، أطلقوا بعض الصواريخ المضادة للدبابات على المنزل، ثم أحضروا جرافة، وطائرات هليوكبتر، كان في المنزل ثلاثة مسلحين، وأطلقوا صواريخ مضادة للدبابات مرة أخرى، ثم أرسلوا الجار الفلسطيني (جوني) إلى الداخل.

في البداية قال الجار أن المسلحين لم يصابوا بأذى وأنهم لا زالوا هناك، فاستدعى الجنود طائرات الهليوكبتر والتي أطلقت صواريخها على المنزل، ثم قاموا بإرسال الجار إلى الداخل مجدداً، فعاد وقال" أن اثنين قد قتلا والثالث لا زال حياً، فاحضروا جرافة والتي بدأت تهدم المنزل عليه حتى ألقوا القبض عليه وسلموه لجهاز الأمن العام للتحقيق معه.

والقادة يروون ما شاهدوه ويحاولون تسهيل الأمور حينما يعلموننا بذلك، وقد رووا لنا أشياء كانت تضايقهم، فقالوا: أنهم استخدموا المواطنين الفلسطينيين (جوني) بصورة موسعة بعض الشيء أكثر من مجرد إرسالهم داخل المنازل التي يوجد فيها مسلحون، فقد أرغموهم على سبيل المثال على تحطيم جدران باستخدام مطرقة زنتها خمسة كيلوجرامات، فقد كانت هناك أسوار، ولم يرغبوا في الدخول عبر البوابة الرئيسية خشية الكمائن التي قد تنصب لهم، لذا كان يجب فتح ثغرة في السور، ومن ثم أرغموا (جوني) على فعل ذلك، وبالمناسبة لقد قامت الصحفية عميره هس العاملة في صحيفة هآرتس بنشر مقالة تتضمن مقابلة مع فلسطيني من جباليا أرغموه على فعل ذلك ثلاث مرات.

س: هل تعتقد أن ما نشر كان صحيحاً؟

ج: نعم، ومن المضحك حقاً أن نسمع تعقيب الجيش الإسرائيلي على ذلك، حيث أفاد أنه حقق في الأمر، ولم يجده صحيحاً وأن الجيش الإسرائيلي هو جيش أخلاقي، إن هذه الأقوال تثير العديد من علامات الاستفهام على تصريحات الناطق العسكري، خصوصاً حينما تدرك أن ما ينفيه قد حدث بصورة مؤكدة، بل أحياناً أرغموا مواطناً فلسطينياً على دخول منزل وهم يسيرون خلفه ويضعون فوهة البندقية على كتفه، ويتقدمون داخل المنزل مع استخدامه كترس بشري.

لقد قال القادة أن هذه هي التوجيهات وأنه يجب علينا أن نفعل ذلك، وقد قال قائد كتيبتي أنه لا علم له بحدوث ذلك، وأنه سيفحص الأمر، في حين أن قادة آخرين أكدوا مسألة إرغام الفلسطينيين على تحطيم الجدران بالمطرقة، واقتحام المنازل وهم يسيرون في الأمام والبنادق على أكتافهم.

وأنا لا أعتقد أنه فعل شيئاً، وبعد أسبوع نشرت المقالة في جريدة هآرتس وتم تحديد المنطقة التي كنا فيها، مما يؤكد ما قاله القادة الآخرون.

*يتهربون من المسؤولية

جندي

أجرينا في أعقاب خروجنا حديثاً مع قائد الوحدة وقد قال البعض أن مستوى الوحدة لم يكن على مستوى الجاهزية المطلوبة، وطرحوا أيضاً القضايا التي ضايقتهم على الصعيد الإنساني، مثل استخدام المواطنين كترس بشري فقال: أنه لا علم له بذلك أبداً. لكنني لا أصدق أنه لا يعرف، إن إجراء استخدام (الجار) هو إجراء معمول به ومعروف، إن إجراء (الجار) هو إجراء رسمي في الجيش، لكنهم لا يسمونه بهذا الاسم. لقد قام قائد اللواء بزيارتنا ميدانياً عدة مرات، إن استخدام هذا الإجراء هو بتوجيه رسمي عسكري.

س: ما هو إحساسك تجاه ما حدث هناك؟

ج: شخصياً لا أشعر بالارتياح جراء ذلك، وأنا أعيد التفكير في ذلك، وبالنسبة لي لا أعتقد أنني سأوافق على الذهاب مرة أخرى إلى المناطق المحتلة لأداء الخدمة لعدة أسباب، ولا أدري ما الذي سيجري إذا ما تكرر هذا الوضع مرة أخرى.

س: ما هو إحساسك الذي خرجت به؟

ج: على صعيدي الذاتي لا أشعر بالارتياح، لقد خرجت من هناك بشيء لا أشعر أنني راضٍ عنه. وأن هناك ميلاً نحو القيام بهذه الممارسات بصورة خطرة، وإحساس بأنني كنت هناك، وشاركت فيها يضايقني للغاية. لقد جرى الكثير من الحديث حول ذلك في الداخل والخارج، وقيل أنه لم يكن هناك خيار. لكن في كل مرة فكرت في الأمر، وجدت أنه كان لدينا خيار، وأن القول بعدم وجود خيار هو هروب من المسؤولية، فأنت تقول في حقيقة الأمر: نظراً لأنني لست الذي اخترت

ذلك، فإنني لست مسؤولاً عن النتائج، لقد وضعنا أناساً أمام خيار الحرب، وأثرنا لديهم العديد من الأزمات النفسية.

إجراء الجار

بعد تقديم رد الدولة لمحكمة العدل العليا، استمر الجيش الإسرائيلي في استخدام المواطنين الفلسطينيين لاعتقال فلسطينيين آخرين وأمرهم بالخروج من البيوت. وجراء استمرار استخدام هذا الإجراء، المسماه "إجراء الجار"، قتل مواطن فلسطيني في شهر آب 2002.

في يوم 14-8-2002 أرسل جنود نضال أبو محسن البالغ 19 عاماً، من سكان قرية طوباس، إلى بيت ناصر جرار، نشيط في حركة حماس، وأمروه أن يخرج جرار من بيته، عندما توجه نضال إلى البيت، أطلق جرار النار عليه حاسباً إياه أحد جنود الجيش الإسرائيلي.

وحتى بعد موت أبو محسن لم يمنع الجيش الإسرائيلي استمرار استخدام "إجراء الجار". وعليه في يوم 2-4-2002 توجهت سبع منظمات لحقوق الإنسان مرة ثانية إلى محكمة العدل العليا وطلبوا منها إصدار أمر احترازي يمنع استخدام هذا الإجراء على الإطلاق. قبلت المحكمة الطلب وأصدرت الأمر الاحترازي.

وتفيد افادات جمعتها منظمة بتسيلم أن الجيش الإسرائيلي ما زال ينتهك الأمر الاحترازي الذي أصدرته محكمة العدل العليا وما زال الجنود يستخدمون "إجراء الجار". في أعقاب الحالات المتتالية من انتهاك الأمر، قدمت المنظمات للمحكمة طلباً حسب أمر إهانة وتحقير حرمة المحكمة وطلبوا من المحكمة بفرض كفالة على الدولة وتكليفها بمصاريف رادعة جراء انتهاك الأمر الاحترازي.

الباب السابع

هدم منازل

٭مدينة مدمرة

جندي:

أوضح لنا قائد اللواء وضباط آخرون منذ البداية أنه يجب أن نطلق النار على كل حركة.

س: بغض النظر عن ماهيتها؟

ج: لست في حاجة لأن يطلقوا عليك النار كي ترد عليهم، يكفي أن تشتبه بوجود حركة، ولست أذكر من الذي قال من الضباط: لا يجب أن يكون هناك أحد في القاطع الذي ستدخلونه، فإذا ما شاهدتم أية حركة، أطلقوا النار، هذه هي في حقيقة الأمر أوامر فتح النار، أطلقوا النار إذا أردتم ذلك، إذا شعرتم بالخوف أو شاهدتم شيئاً أطلقوا النار.

س: حتى لو لم تكن تلك الحركة تشكل خطراً عليكم؟

ج: نعم، هذا مغزى ما قيل لنا، أنت لا تطلق النار إذا شعرت بالتهديد، لأنك تشعر بالتهديد دائماً، ومن ثم فإن كل شيء موجود يهددك ويجب أن تطلق النار عليه، لم يقل أي مسؤول: أطلقوا النار دون تمييز، أو على كل شيء يتحرك، وفي نفس الوقت لم يقولوا لنا أن نطلق النار فقط إذا كان هناك شيء يهددها.

س: هل كنتم تشعرون بالتهديد حينما دخلتم؟

ج: نعم، فقد كنا نتلقى التحذيرات طيلة الوقت، لقد كرسوا لدينا الإحساس بالتهديد طيلة الوقت. ويمكنني أن أقول: أننا كنا خائفين جداً، وعلى الصعيد العملي لم يكن هناك سبب لذلك، لكننا كنا نشعر بالتهديد، لقد دخلنا غزة من البداية ونحن نشعر بالخوف، وقد كنا نقول أننا نحاول العودة إلى منازلنا بسلام. لقد كنا نخدم احتياطي وهذا مختلف عن الخدمة النظامية، ففي خدمة الاحتياط

نخشى حتى من دخول الدبابة حتى في التمرين، فأنت لا تريد أن تصاب حتى بجرح، وبناء على ذلك، فنحن أكثر حذراً على صعيد استخدام النيران، فلسنا نرغب في أن نبدأ شيء يتسبب في احتجازنا هناك.

إن جنود الاحتياط هم بصورة عامة أكثر حذراً، ولا يقومون بمخاطرات لا لزوم لها. أما على صعيد أوامر فتح النار، فنحن لم نتلق أوامر بإطلاق النار على كل شيء يتحرك، لكننا تلقينا أمراً بأنه إذا ما شعرنا بالتهديد يجب أن نطلق النار. إنها الحرب، ولا يوجد مكان للتقديرات، لقد أوضحوا لنا أننا لا نقوم بأعمال أمن شاملة أو نعمل في المناطق المحتلة عمليات روتينية، بل نحن نخوض حرباً، ومن ثم لا يوجد أية قيود على إطلاق النار.

س: بعد أن تمترستم في مواقعكم، هل قمتم بعملية المراقبة على المنازل في ساعات النهار أو الليل؟

ج: راقبنا المنازل طيلة الوقت.

س: هل أعلمتم بالأجهزة الأمنية فيما إذا كانت هناك حركة مشبوهة؟

ج: لم يكن هناك أي شيء، مدن أشباح، مدينة غير مأهولة، وباستثناء الحيوانات لم يكن شيء يتحرك، وقد شاهدت إحدى دباباتنا مجموعة مسلحة على وشك أن تطلق صاروخاً مضاداً للدبابات فأطلقت عليها قذيفة وانتهى الأمر. وقد سادت شائعات بأنهم أطلقوا علينا قنابل هاون، بيد أن أحد الجنود نفى ذلك، وقال لنا: هل سمعتم أنهم أطلقوا عليكم قذائف؟ ونحن لم نشعر أبداً أنهم أطلقوا علينا قذائف، لقد أعلمونا بأجهزة الاتصال طيلة الوقت بأن هناك انتحارية في طريقها إلينا، وستصل بين الفينة والأخرى، وقد خرجنا من القطاع دون أن تصل تلك المخربة.

س: هل قالوا كيف ستصل إليكم؟

ج: لم نتلق معلومات عبر أجهزة الاتصال، بل قالوا لنا فقط الاتجاه الذي ستأتي منه، وطلبوا منا أن نراقبه جيداً.

س: هل كانت ستأتي سيراً على الأقدام؟

ج: نعم، المعلومات كانت تفيد أن المخربة في طريقها إلى المكان الذي نستتر فيه. كما تلقينا معلومات عديدة حول وجود قناص فلسطيني في الجوار، وعن خلية مكونة من خمس أشخاص تمت مشاهدتها في منزل مجاور واحتمال أن تكون خلية صواريخ مضادة للدبابات، لقد تلقينا عدداً كبيراً جداً من التحذيرات بيد أن أياً منها لم يتحقق، ورغم ذلك، فإن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك أساس من الصحة للتحذيرات.

لقد بقينا دائماً في مواقعنا نراقب، وكنا نشاهد دائماً إطلاق قذائف، والتي كانت دائماً قذائف مدفعية أو دبابات أو سلاح البحرية أو سلاح الجو ووحدات الهندسة التي كانت تعمل بصورة متواصلة لقد كان قاطعنا صغيراً جداً، لأنه وعلى بعد خمسمائة متر كانت تعمل قوات المظليين، لذا كان يجب أن لا نطلق النار إلى هذه الحدود، وقد سمعنا عن السرية (ل) أنها أطلقت عدداً كبيراً جداً من القذائف، بيد أنني لا أستطيع أن أؤكد لك مدى صحة ذلك. إن سريتنا لم تفعل الكثير، بل كان الوقت يمر سخيفاً، بل أننا قضينا أحد الأيام في شرب القهوة، وفي ساعات الظهر قامت دبابة قائد الكتيبة بإطلاق قذيفة على أحد المنازل، لماذا؟ لا أعرف من الجائز أنه تلقى تحذيراً وربما لم يتلق، وقد اعتبرت أنه أطلق القذيفة دون سبب إلا لإيقاظ السرية.

وفي إحدى الحالات وصلتنا معلومات بأن هناك مخرباً يتجول بين الدبابات، وأنا أعتقد أن أحد أعضاء طاقم دبابة ترجل منها، شاهده المراقبون وأعلموا بأجهزتهم أن هناك مخرباً مما أثار حالة من الرعب والفزع، وفي صبيحة اليوم التالي قاموا بتعرية منطقة بالقرب من قيادة الكتيبة، مما أدى إلى اختفاء الساحة التي كانت قائمة هناك، فقد قامت الجرافات بتوسيع منطقة الحماية التي يتواجد فيها الجنود. لقد وقعت أمور من هذا القبيل طيلة الوقت.

س: هل كانت هناك عمليات تدمير منازل في قاطعكم؟

ج: طيلة الوقت، تدمير المنازل كان جارياً في كل مكان وحينما ترى المنازل تدرك أنهم أطلقوا عليها عدداً كبيراً من القذائف بكثافة عالية جداً، لم نر منزلاً واحداً لم يدمر، سواء أكان المنزل مدمراً تماماً أو اخترقته القذائف، أو شوهت جدرانه العيارات النارية ولم أر منزلاً واحداً لم يدمر، كما أن البنية التحتية كلها: الطرق، الممرات، الحقول، كانت مدمرة تماماً فقد مرت الجرافات

فوقها كلها وبنت مكان الحماية للجنود المتحصنين، ومحاور حركتهم، لم يبق الكثير من العمران في قاطعنا، كان المنظر فظيعاً للغاية، تماماً على غرار الأفلام التي نقلت دمار الحرب العالمية الثانية، التي لم تبق سوى مدن مدمرة تماماً، وخرائب، أما المنازل الوحيدة التي كان بالإمكان البقاء فيها، فقد احتلها الجنود، وكلما كان المنزل أقل دماراً كلما ازدادت فرص دخول الجنود إليه لقضاء الليل.

س: عندما كنتم تحتلون منازل الحماية، هل كانت الجرافات تقوم بأحياء مجاورة لكم؟

ج: طيلة الوقت، بالتأكيد، فطيلة الأسبوع الذي مكثناه هناك كان مقبض الجرافات العملاق يدمر منزلاً جديداً، والمنزل الذي كان يشتبه في كونه ملغوماً، كانوا يقومون بقصفه وتدميره، أو فتحوا أبواباً جديدة في الجدران كي يدخلوا منها وليس من البوابات الرئيسية، وطيلة الوقت كنا نسمع الانفجارات، وتقوم الجرافات بتوسيع أماكن الحماية، إضافة إلى أعمال وحدة الهندسة في المنازل التي لم يكن فيها أحد.

لقد كان الوضع مضحكاً، لأن نائب قائد السرية أو ربما قائد السرية نفسه قال في مرحلة معينة: أنه يجب أن نكون أكثر فعالية في السرية، ونعمل أفضل، وبناء على ذلك قمنا باقتحام منازل جديدة لا يوجد فيها أحد أصلاً، ولم أجد سبباً واحداً لهذا الاقتحام وقمنا بتفجير وتخريب الممتلكات والمنازل، لأننا لم نر سوى ممتلكات، ولم يكن فيها أحد، ودون أي سبب، ربما أنهم فكروا أن هناك معدات حربية في المنازل، ورغم أنني لم أجد أي مبرر لهذا العمل إلا أن عمليات التخريب تواصلت.

*لا يوجد حجر على حجر

جندي

س: عندما نتحدث عن غزة نقول: أن ما حدث هناك كان جنوناً، لماذا؟ وما هو الجنون؟

ج: لا يمكنك تخيل حجم الدمار هناك، فحينما نسير في الحي لا يمكنك أن تتعرف على شيء، لا يوجد حجر فوق حجر حقاً لم يكن هناك حجر على حجر، وأنت ترى الدفيئات والحقول والمنازل وكل شيء مدمر تماماً، ويمكنك أن تشاهد أموراً فظيعة، غرفة وردية وعلى أحد جدرانها رسم (باربي) وقد اخترقتها قذيفة ودمرت متراً ونصف من الجدار.

س: هل كانت القذائف حقاً تعبر هذه الجدران؟

ج: نعم، والناس تسكن مثل هذه الأماكن، فخلال اليومين الثالث والرابع من الحرب كنت ترى أحياناً عشرين شخصاً يسيرون وهم يرفعون الأعلام البيضاء نحو الجنوب، روايات تشبه الهذيان.

س: عندما تكون هناك تقارير حول هؤلاء الأشخاص الذين يحملون الأعلام البيضاء، ماذا كنتم تفعلون؟

ج: كنا نقول: لا تطلقوا النار عليهم، أو عندما تكون هناك حالات إنسانية.

س: هل كنتم تسمحون بمرور سيارات الإسعاف مثلاً؟

ج: لا.

س: إذا ما الذي تقصده بالحالات الإنسانية؟

ج: مساعدات إنسانية، لا أعرف ماذا كانوا يسمون ذلك، وربما قد تكون عربة يجرها حمار قد يحمل كيساً من الأرز.

س: هل حدث أن قالوا لكم أنه يوجد جرحى أو شاهدتم جرحى؟

ج: مجال قصف دباباتنا كبير جداً، لذا فأنت لا تشعر بالعدو، ومن ثم فإن جميع الروايات من هذا القبيل كانت على بعد يتراوح بين ثمانمائة متر وكيلو، لذا فأنت لا تشعر بما حدث، في سريتي كان هناك عدد كبير من الجنود يطلقون النار على المنازل والحمامات الشمسية أناس يحبون أن يطلقوا النار.

س: لكنهم ما كانوا يستخدمون القنابل، بل الرشاشات؟

ج: نعم، وكانوا يطلقون العيارات النارية على نوافذ المنازل التي يعتزمون هدمها.

س: هل رافقت جرافة إبان عملها لهدم منزل؟ وهل تعرف ما الذي دمرته، ولماذا؟

ج: الأسلوب الذي عملنا حسبه هو أسلوب توفير الحماية للجنود عندما أدركوا أنهم سيبقون أكثر من اثنين وسبعين ساعة، وأن من المستحيل بقاء جميع القوات في مواقعها طيلة الوقت. لذا قامت القوات ببناء أماكن حماية خلفية، وإذا ما ضايقهم وجود منزل معين يقومون بإزالته.

س: بيد أن هذه ضرورة تنفيذية؟

ج: ضرورة تنفيذية، نصف تنفيذية، لا أعرف، في بعض الأحيان كان قائد الحضيرة يرغب في إسعاد سائق الجرافة، لذا يسمح له بهدم منزل ما.

س: ولماذا يبدو سائق الجرافة غير سعيد؟

ج: ليس الأمر كذلك، فسائقو الجرافات يفعلون كل ما يقولون لهم، لذا هم محبوبون، وترى قائد السرية يرغب في إسعادهم، لأنه يعرف أنهم يحبون الهدم، لذا يقول لهم: اذهبوا واهدموا هذا البيت، من أجل إسعادهم.

س: هل كانت هناك الكثير من العبوات الناسفة؟ والمنازل الملغومة؟ هل أطلقتم قذائف على منزل وحدثت انفجارات جانبية لعبوات ناسفة وكم عددهم؟

ج: مرة شككنا في منزل وقصفناه، فكانت هناك انفجارات جانبية، أنا لم أر سوى هذا البيت، رغم أن سلاح المشاة يقولون أن هناك العديد من هذه المنازل. وخلال تقدمنا في المرحلة الثانية، كان هناك حقل، كلما تقدمنا صعدت الدبابات على عبوات ناسفة، وقد صعد قائد الوحدة المدرعة 890 على عبوة ناسفة مما أدى إلى إصابته وإصابة اثنين من الجنود بجراح متوسطة وطفيفة.

س: هل شاهدت مدنيين؟

ج: شاهدت الذين كانوا يتوجهون جنوباً، كما شاهدت ذات مرة امرأتين كهلتين وصبياً يحمل حقيبة، وكانوا خائفين، كانوا يسيرون خلفنا.

س: هذا يعني أنهم كانوا بينكم وبين الحدود؟

ج: نعم، وقد اقتربوا أكثر مما ينبغي لمبنى سلاح المشاة فأطلقوا النار باتجاههم للردع، وقد سأل قائد السرية لماذا لم تطلقوا النار عليهم؟

*إمكانية السيطرة

جندي:

كنا على المحور القائم بين كارني ونيتساريم، المحور القديم ومكثنا هناك ستة أو سبعة أيام.

س: ما هو الهدف؟

ج: لم يحددوا لنا الهدف، لم يكن هدف الحرب معروفاً هناك العديد من المقولات والأقاويل حول ذلك.

س: خلال التوجيهات لم يحددوا لكم الهدف؟

ج: لا، ما الذي تعنيه؟ تماماً مثلما لم يقولوا لمواطني إسرائيل ما الهدف. لقد كان هدفنا بصورة محددة تمزيق القطاع، كانت تلك مسؤولية لوائنا. لقد جرت عملية التمزيق والفصل على غرار ما كان يحدث على عهد جوش قطيف السعيدة قبل الفصل. هناك عدة أماكن يجيد الجيش الإسرائيلي عبرها تمزيق القطاع، وإحداها من معبر كارني وحتى البحر، والفصل مطلق وقاطع، فصل كامل لشمالي القطاع، وشمال ووسط القطاع عن جنوب الوسط، فصل مدينة غزة عن المخيمات، والحيلولة دون وصول معدات حربية وتعزيزات إلى غزة، وكنت أعتقد أنه تم التخطيط لاحتلالها، بيد أن ذلك لم يحدث.

عملياً، كانت هذه هي مسؤولية كتيبتنا، وكنا نحن قيادة لواء المدرعات، فدخلنا وحللنا بدلاً من كتيبة روتام، لقد جئنا نحن جنود الاحتياط لنحل محل الكتيبة النظامية لإتاحة الفرصة لها كما قيل لمواصلة احتلال المدينة أو السيطرة عليها. وقد أدت المخاوف إلى دفعنا لخوض معركة دفاع أكثر منها معركة هجوم، لقد قام الجنود النظاميون بعملية الاقتحام والسيطرة، في حين جئنا نحن خلفهم بغية تعزيز سيطرتنا على المناطق التي تركوها لنا بعد الاقتحام وكنا نعد مناطق حماية يبقى فيها الجنود، عبر الاستيلاء على منزل ذي موقع إستراتيجي، وتستولي كل قوة على منزل من هذا القبيل حسب عددها، وقد احتللنا منزلاً كان مصنعاً للرخام لشخص يبدو محترماً جداً، وهو ينتمي إلى

حماس مثلما عرفنا من الصور والأشياء التي عثرنا عليها هناك. وقد أقمنا في المنزل موقعاً كبيراً، بيد أنه تقلص رويداً رويداً لأننا كنا نواصل متابعة القوات النظامية وإقامة أماكن حماية.

لقد دخلنا من المنطقة الشمالية الغربية وأردنا تعميق السيطرة باتجاه إسرائيل من الناحية الشمالية الشرقية. هذا ولم نر أعداء، ولا مدنيين أبداً.

س: هل كانت المباني خالية؟

ج: دخلنا ليلاً، لكننا في صبيحة اليوم التالي شاهدنا منزلاً مدمراً وفيه فتحات لدخول الجنود من الجدران وكان قسم كامل من المنزل مدمراً.

س: ماذا شاهدتم حول الحي كيف كان وضعه؟

ج: الحي، كان هناك عدد كبير جداً من المنازل مدمرة، وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك منازل قائمة، لكن إلى جوارهم الكثير من الخرائب، وحتى المنازل التي لا زالت قائمة كان قسم كبير منها قد أصيب بالقنابل هنا وهناك. وقد قالوا لنا: أن الجنود النظاميين حينما اقتحموا الحي كانوا يعرفون منازل النشطاء، ومسؤولي حماس، وقد أطلقوا على هذه المنازل قنبلة أو اثنتين.

س: قنبلة دبابة؟

ج: نعم، لكنني لا أستطيع تحديد نوع القنبلة لأنني لم أكن معهم، وكان الاعتقاد أنه يوجد في منازل حماس عبوات ناسفة وأنفاق وربما أكثر من ذلك. ولهذا السبب أطلقوا عليها القنابل للحيلولة دون انفجار المنازل حينما يقترب الجنود، وكانت الفكرة تقوم على أننا نعرف مسبقاً أن هذا المنزل هو منزل ناشط من حركة حماس، لذا يجب تفجيره مسبقاً لضمان عدم انفجاره فينا.

ويجب التفريق بين تفجير المنزل وقصفه، فتفجير المنزل يعني رفعه في الهواء، وهو ما لا تستطيع قنبلة دبابة فعله، بل هناك ضرورة لعبوات ناسفة، وهذا ما تقوم به الوحدات المتخصصة بالمتفجرات، وحينما يتم تدمير جناح كامل من البيت، ولا ترى سوى خرائبه، وحينها فقط بدأنا نستوعب أين نحن.

لقد شاهدنا أمامنا حي الزيتون الذي بدأ لواء جبعاتي العمل فيه، كما شاهدنا خرائب الحي الذي نحن فيه، يجب أن ندرك طيلة الوقت أن علينا تهديدات كبيرة، سواء أكان ذلك إطلاق صواريخ

مضادة للدبابات أو أسلحة خفيفة أو عبوات ناسفة أو قنابل هاون، كانت جميع السيناريوهات محتملة، بيد أننا لم نر أي من هذه الأشياء ولم نشعر بها.

س: بالنسبة للقنابل التي كنتم تطلقونها من الذي قال لكم أي منزل يجب أن تهدموا أو لا تهدموا؟

ج: من الصعب أن أقول، لكن عندما حللنا بدلاً من جنود لواء جبعاتي قالوا لي أن ما قلته هو الذي كان يحدث. ومن الصعب أن أقول أن هذا المصدر هو موثوق، كل ما أستطيع قوله هو أن مجموعة القيادة أشارت إلى أن قسماً من التفكير في تدمير المنازل أو تعرية الحي كان مزدوجاً، فمن جانب الضرورة التنفيذية التي نسمع عنها طيلة الوقت.

لقد كان التفكير منصباً على أنه لا يجب تعريض حياة جندي للخطر للدخول إلى منزل لا نعرف ما الذي يوجد فيه وذلك جراء تجربتنا من أن هناك الكثير من المصائد بالعبوات الناسفة في منازل، إضافة إلى وجود أنفاق في قسم منها، وفي قسم مدافع هاون مع إمكانية تفعيلها عن بعد، وأشياء من هذا القبيل. لقد كان كل ذلك سبباً لتدمير أي منزل بالقصف المكثف.

س: حتى يهدم أحد أجنحة المنزل؟

ج: أكثر من ذلك، فبمقدور الجرافة أن تقوم بهدمه، وإذا لم تكن قادرة على ذلك فإن المدفعية وربما الوحدات الهندسية قادرة على ذلك، قادرة على رفعه في الهواء، ومن الجائز أن تكون قنابل الدبابات هي التي ستدمره.

إن السبب الأول لهدم منزل مثلما أشرت هو الدفاع عن قواتنا على أساس الافتراض القائل أننا نرغب في تجنيب جنودنا أية إصابات أو أذى.

أما السبب الثاني فيتمثل في أن المنزل يسد الطريق أمام الرؤية، ويتوجب إزالته كي نستطيع مراقبة المكان جيداً، ونتقدم، واستعداداً لليوم الذي يلي مثلما أشرت قبلاً.

س: ما هي المصطلحات التي استخدمتها مجموعة القيادة لوصف هذه العمليات؟

ج: استخدموا مصطلح اليوم الذي يلي، عمليات التعرية كانت أحياناً تتعلق باليوم الذي يلي مغادرتنا، لقد تكرر هذا المصطلح مرات عديدة.

س: عندما كنت في القطاع، هل تسنى لكم هدم منازل؟ هل قمتم بالإشراف على جرافات وتوجيهها؟

ج: بالتأكيد، هذه الأمور كانت قائمة لسببين، لقد كانت عملية الهدم للسببين آنفي الذكر قائمة على الصعيد العملي وليس في عمليات التخطيط.

س: لكنكم دخلتم إلى القطاع في أعقاب القوات النظامية وكان الحي شبه خالٍ، أي أنكم سيطرتم على المنازل الفلسطينية الخالية من السكان والتي كان النظاميون قد احتلوها وأقاموا فيها مواقع.

ج: الوصف ليس دقيقاً، لقد خاضت القوات النظامية معركة هجومية، وقامت بعملية الفصل والتقطيع، وهذا ما أعرفه جيداً. لقد مزقوا القطاع، وعمقوا السيطرة، واحتلوا منازل مركزية، لكنهم لم يسيطروا على المنطقة. وقد احتاجت عملية السيطرة أن نتعمق أكثر في السيطرة فالنظاميون لم يصلوا إلى المنازل التي وصلنا إليها، لقد عمقنا السيطرة، واحتللنا المزيد من المنازل، واستولينا على القمم، وسيطرنا على عدد جديد من المنازل، مما أسهم في تفريق القوات، وخلال الأسبوع الذي مكثناه هناك واصلنا تلقي المعلومات الاستخبارية، وهدم المزيد من المنازل المشبوهة، وإذا كانت هناك بيارة، فقد كنا نقوم بعملية تعرية لها خشية أن يكون فيها حقول متفجرات أو قناصة، لقد أزلناها كي لا تكون هناك أراضٍ لا نسيطر عليها أو تهددنا.

س: هل بمقدروك أن تقول كم عدد المنازل التي دمرتموها؟ أهي كثيرة أم قليلة؟

ج: لا أستطيع تقدير ذلك، بيد أنني كجندي لدي حدود لنهاية القاطع الذي أعمل فيه، وحدود هذه الجبهة تتغير لأننا ننتقل من منزل إلى آخر، وأحياناً ما نضطر لهدم المنزل الذي يحددوه لنا كحدود للقاطع، ثم نتقدم فندمر منازل أخرى تقف بيننا وبين الحدود الجديدة. لقد كانت حدود القاطع تتميع بسبب عملية هدم المنازل لقد تواصلت عملية هدم المنازل طيلة الوقت.

س: خلال الأسبوع الذي مكثتموه في القطاع، هل واصلتم هدم المنازل بالمدفعية أو بالجرافات أو باستخدام وحدات الهندسة؟

ج: كنا نستخدم كل هذه الوسائل.

*لا يجب الحديث عن الدمار

جندي

س: عندما تخرجون، ما الذي كنتم تتحدثون عنه؟ وما الذي كانوا يتحدثون معكم عنه؟ هل كانوا يتحدثون عن استقاء العبر أو ديناميكية العمل؟

ج: تحدثنا قبل ليلة من خروجنا مع قائد اللواء، لقد قال لنا: لا تتحدثوا عن الدمار الذي شاهدتموه، ولا يجب أن تفاخروا بذلك، من المهم أن تعرفوا أن كل ما فعلناه هناك جرى لأننا كنا ملزمين بفعله.

س: وما هو رأيك في ذلك؟

ج: أنا أعتقد أن جانباً كبيراً من الدمار الذي جرى لم يكن له لزوم، وذات مرة كان علينا أن ننقل قائد اللواء في دبابة لعقد مؤتمر صحفي داخل القطاع وفجأة شاهدنا الصحفيين على مدرعة، فقال قائد اللواء لنا: سيروا بالدبابة بين المنازل المهدمة كي لا يرونا ونحن ننطلق من الميدان، لقد قال قائد الكتيبة أن ما حدث في غزة كان بالنسبة لنا بمثابة حرب؟؟

س: ما الذي يعنيه بالقول: بالنسبة لنا؟ هل عني الجانب الإسرائيلي؟

ج: لا، بل قصد الجهات العسكرية العليا، لأن أياً من الأذرع العسكرية لم تستخدم كامل قوتها، لذا لم يرغبوا في إطلاق اسم الحرب على ما حدث في القطاع، لكن يجب أن نعرف أن ما فعلناه نحن الجنود، والكتيبة والسرية هو ما نفعله تماماً في الحرب.

س: هل كان هناك توتر؟

ج: لقد وصل الجميع في مرحلة ما إلى الملل من وجودهم في القطاع، إن تبقى هناك أسبوعين دون أن تدري ما الذي سيحدث معك، وقادتك لا يعرفون ما الذي يحدث لك. لقد كانت هناك حالة ملل شديدة.

س: وماذا كان يجب أن تفعلوا لإزالة هذا الملل؟

ج: قلت لك، كنا نطلق النار على الحمامات الشمسية. عندما لا يكون هناك ما نطلق النار عليه، كنا نطلق النار على الحمامات الشمسية.

⁕خط الأفق يبتعد

جندي

كان هناك قاطع قامت الجرافات بتعريته، كان الوضع مذهلاً، ففي البداية حينما تدخل ترى الكثير جداً من المنازل، وبعد أسبوع، في أعقاب عمليات التعرية، ترى أن خط الأفق يبتعد، لقد أصبح ملامساً للبحر تقريباً. لقد أزالوا جميع المنازل من حولنا كي لا تكون هناك أماكن يختبئ فيها المخربون، بما فيها أزالوا مزارع دجاج بما فيها من الدجاج.

س: هل كانت الجرافات موجودة خلال الأسبوع الذي تواجدتم فيه هناك؟

ج: نعم، لقد حدث كل ذلك في غضون أسبوع، لقد دمروا المنازل حتى البحر، ولا أعرف عدد الجرافات الموجودة في السرية.

س: هل كانت المنازل التي أزالوها هي نفس المنازل التي أطلقت النار عليكم؟

ج: لا، ليس بالضرورة.

س: لماذا أزالوا تلك المنازل؟

ج: لا شك لدي في أن ذلك كان لأغراض تنفيذية يمكنك أن تجادلني في مدى ضرورية ذلك، ومدى أخلاقيته بيد أن هذه الأعمال كانت أعمالاً تنفيذية كي لا نتيح الفرصة لهم للاستيلاء على مواقع تعرضنا للخطر.

س: كم عدد المنازل التي أزالوها؟

ج: نصف قطر يبلغ عدة مئات الأمتار، لم تكن المنطقة مكتظة، بل ضاحية من الضواحي.

س: هل أزالوا جميع المنازل؟

ج: تقريباً، وليس الجرافات فقط هي التي كانت تزيل المنازل، بل أزالوا منازل أيضاً بالقصف، وفي موقع حدث صدام فأزالوا أيضاً منازل.

س: ما هي مساحة المنطقة في أعقاب التعرية؟

ج: لقد شاهدت خرائب.

*خشية أن تكون جميع المنازل فارغة

جندي:

حال وصولنا إلى الحي، بدأت أعمال البنية التحتية، ادخلوا جرافات والتي عملت دون كلل لتعرية الحقول وإزالة المنازل التي يخشون من أن تكون فيها أنفاق. وكانت هناك عمليات قنص بين الفينة والأخرى داخل مخيمات اللاجئين، وقد حاولت القوة اكتشاف مكان القناصين ووجهوا إليها طائرات الهليوكبتر إلى المنزل الذي كانت عيارات القنص تنطلق منه، يجب أن نكون شديدي الاحتراف كي نكتشف مصادر إطلاق النار، وكي توجه إليها نيرانك بدقة، كان القنص على بعد أكثر من كيلومتر. إن اكتشاف مصدر قنص من مخيم اللاجئين على بعد أكثر من كيلو هو مسألة مستحيلة، وقد وجهوا إليه النيران بالدبابات.

س: دبابات تطلق قنابل ثقيلة؟

ج: نعم، كانت تطلق على مصادر القنص.

س: من الذي كان يصدر أمر تفعيل الجرافات؟

ج: قائد الوحدة.

س: هل هو الذي كان يقرر أي بيت يجب إزالته؟

ج: نعم بالتشاور مع قائد السرية، فقائد السرية يقدم الطلب، وقائد الوحدة يطلب ذلك من اللواء.

س: هل انفجرت داخل المنازل في جميع الحالات التي دمرتم فيها منازل؟

ج: ليس عندما كنت.

س: وفي الحقول حولكم؟

ج: أيضاً ليس عندما كنت.

س: هل تود القول أنكم هدمتم عدداً كبيراً من المنازل خلال عملكم لمدة أسبوع؟

ج: نعم، وكان عدد الجرافات العاملة يتراوح بين اثنتين وثلاث جرافات.

س: تعمل دون توقف؟

ج: نعم، لم تكن المنازل كتلة متراصة، بل كانت متفرقة، فقد كانت المنطقة زراعية، وبين المنازل هناك العديد من الحدائق لقد أزالت الجرافات المنازل والحقول والجنائن، مما أعطانا انطباعاً بأن كل شيء بات فارغاً، لقد أعطى الوضع الناجم عن ذلك، بأن المنطقة منطقة رمال، هذا إضافة إلى الحفر التي أحدثتها القنابل التي قصفوا بها المنطقة.

الباب الثامن

أوامر فتح النار

***مواطنون ناجون**

جندي:

كـان هـدفنا يتمثـل فـي تقطيـع أوصـال القطـاع، وكانـت مـستوطنة نتـساريم هـي المنطقـة المركزية، وهدفنا هو قطع القطاع من مجمع المعبر، يجب أن نعمل على فتح المنطقة وعندما اقتربنا من أول منزل قمنا بإطلاق القذائف عليـه، لأن الأوامر تقضي بذلك علـى اعتبـار أن هذه المنطقـة لا يجب أن تكون مأهولـة لقد قام الجيش بتوزيـع منشورات قبل يومين وأعلم الـسكان بأنـه سيجتاح المكان وعليهم إخلاؤه، لقد أزلنـا المنزل عن بعد، وأطلقنـا كمـاً هـائلاً من القذائف، وقامت جرافـة بجولة التفافية حول المنزل للتأكد من أنـه لـيس ملغومـاً، وفجـأة شاهدنا الجرافـة تطير فـي الهـواء، وقسماً من الطابق الثاني، وكل الطابق الأول.

س: هل اصطدم بعبوة ناسفة؟

ج: نعم، لكن السائق لم يصب بأذى، وقد انتقلنـا إلـى موقـع بديل، وأطلقنـا النـار هذه المرة بجنون.

س: بماذا تطلقون النار؟

ج: رشاش ثقيل مركب على مدرعة معنا، وقواذف هاون.

س: هل أطلقتم النار من الأسلحة الشخصية؟

ج: نعم، لم تكن هناك آليات كثيرة لهدم المنزل، لأننا أردنـا البقـاء فيـه، وهدفنا كـان أنـه إذا كان هناك شخص ما في المنزل، فيجب أن يعرف أننا قادمون. أوقفنا إطلاق النار، ووصلنا إلى بوابة البيت وبصحبتنا مجموعة من القوات الهندسية الخاصة والتـي اقتحمت البـاب، وفجـأة شـاهدنا كهلاً

يناهز الستين أو السبعين يخرج وهو يحمل علماً أبيض ويقول بالعربية: لا تطلقوا النار وفي أعقابه خرج حوالي ثلاثون شخصاً سالمين.

س: من أي بعد أطلقتم النار على المنزل؟

ج: ثلاثين متراً.

س: وهم خرجوا من المنزل؟

ج: نعم دون أن يصاب أي منهم بأذى، مذهل، لقد أصبنا بصدمة خصوصاً بعد أن دخلنا المنزل وشاهدنا ما حدث في الداخل، لقد كان هناك ثلاثون شخصاً من النساء والأطفال والشيوخ، وقد فتشناهم مثلما نفعل في الضفة الغربية، فالنساء يجب أن يشددن ملابسهن على أجسادهم أما الرجال فيجب أن يخلعوا القمصان والبناطيل ويجري تفتيشهم جيداً للتأكد من عدم وجود عبوات ناسفة.

س: هل تفصلونهم؟

ج: نعم، نساء رجال، وقد قمنا بتفتيشهم جيداً جداً ومثلما تنص الأوامر، كان يجب أن نأمرهم بالسير نحو الجنوب، كنا نريد تقطيع أوصال القطاع، ولم نكن نرغب في أن يصلوا إلى غزة، كانت هناك ثلاث عائلات، فأمرنا رب بيت كل عائلة أن يدخل خمس دقائق إلى بيته، ويأخذ ما يريد ثم دفعناهم جنوباً.

س: سيراً على الأقدام؟

ج: نعم، فلا توجد لديهم سيارات.

*عدواني

جندي

س: عندما دخلتم إلى غزة ألم تكن هناك مقاومة؟

ج: كانت هناك مقاومة قليلة، لا شيء.

س: ما هي أوامر فتح النار؟ أنت تحمل سلاحاً خفيفاً؟

ج: نعم، أولاً أينما توجد قوات، فأنت تفتح عليها النار، كل شيء مهدد. ولا توجد إجراءات اعتقال مشبوه، فإذا ما شاهدت مشبوهاً، واعتقدت أنه سيعرض حياتك للخطر، اطلق النار عليه.

س: دون إطلاق النار في الهواء للرد أو المطالبة بالتوقف؟

ج: لا، فهم جميعاً كانوا يعرفون أننا سندخل، بما فيهم أولئك الذين ألقينا القبض عليهم كانوا يعرفون أننا سندخل، لهذا السبب خرجوا وهم يحملون أعلاماً بيضاء كي لا نطلق النار عليهم.

س: هل كان هناك إجراءات أعلام بيضاء؟

ج: لا، لقد سمعت أن طائرات الجيش وزعت منشورات كما حملت يافطات كبيرة وهي تحلق، انظر كم يعرضنا للخطر كوننا إنسانيين.

س: هل شعر الجنود بالمرارة جراء ذلك؟

ج: بالتأكيد، وأنا أيضاً، أعتقد أنه من الغباء أن نحذرهم مسبقاً، هل تعرف كم مخرباً أضعناه بهذه الطريقة؟ كثير، نحن نعرف أنه كان تحت المستشفى 250 شخصاً.

س: من الذي قدم إليكم التوجيهات الأولية؟

ج: قائد الوحدة تحدث مع جميع الطواقم ومعه قائد الكتيبة الذي قاد جميع القوة. وقد تحدث عن الاقتحام وكيف يجب أن يكون. وقال: أن الهدف هو أن لا يصاب أحد خلال الاقتحام، وقالوا: "هاجموا بشدة" وكانوا خائفين جداً من عمليات الاختطاف، وشددوا على هذا الجانب جداً. وأذكر أنني كنت وشريكي في الوحدة لا يفارق أحدنا الآخر حتى لو ذهب لقضاء حاجته، وعندما كنت أقوم بأعمال الحراسة ليلاً كان يذهب معي، وحينما يأتي دوره أبقى معه، وكانوا يحرصون دائماً على إعلامنا بالاتجاهات المفتوحة والاتجاهات المغلقة، ونحن كنا نعرف أن الاتجاه من ناحية الجنوب دائماً مفتوح.

س: ما الذي تعنيه بمفتوح ومغلق؟

ج: الجهة المفتوحة هي التي تعرف أنه لا يوجد باتجاه إطلاق النار جنود إسرائيليون، والمغلق العكس.

س: ما الذي يجرم إنساناً ويجعلك تطلق النار عليه؟

ج: يجب أن أعرف فيما إذا كان يحمل سلاحاً وإذا كان جندياً إسرائيلياً سأعرف حسب لباسه وسلاحه، هذا رغم أنهم يرتدون أحياناً ملابس عسكرية.

س: سمعت أنه صدرت إليكم أوامر تحظر الصعود إلى الأسطح؟

ج: نعم.

س: ما هو الهدف؟

ج: عندما تشاهد حركة على السطح تعرف أنهم ليسوا جنوداً إسرائيليين، ومن ثم يصبح بمقدورك إزالتهم.

س: وإذا كانوا مدنيين؟

ج: من مهمة القوات القريبة والتي توجهك معرفة ذلك.

س: هل أنتم أعين القوات على الأرض؟

ج: نعم، ونحن نوجه القوات إذا كانت هناك ضرورة.

س: قلت أنكم لم تصطدموا بمواجهة تقريباً، فأين اكتشفتم الأهداف إذا لم يكن أحد في الحي؟

ج: أنت تجلس في منطقة الحماية طيلة النهار، وفجأة تشاهد حركة في النافذة، فتركز المنظار وتنتظر نصف ساعة أو ساعة، ساعة ونصف، وفجأة ترى بصيص ضوء في مكان الحركة وتقوم بعملية التوجيه.

س: ماذا توجه؟

ج: الطائرات العمودية الحربية، مدافع الهاون أيضاً قامت بدور جيد، بيد أن طائرات الهليوكبتر اخف.

س: ما هي الفاصلة بينك وبين النوافذ؟

ج: "البرج" كانت أقرب حي، كنا نتمترس بالقرب من البحر، ونرى عمارات شاهقة.

س: إذا لاحظت في أحد نوافذ العمارات الشاهقة بصيص ضوء، كيف توجه مدافع الهاون إلى النافذة؟

ج: القصف ليس دقيقاً تماماً، فأنا أعرف أن من الجائز أن تصيب القنابل نافذة قريبة، وهذا أيضاً جيد.

س: هل وجهتم الدبابات أيضاً؟

ج: نعم، الدبابات أسهل، فأنت تقول لجندي الدبابة ذُر (180) درجة وأطلق قنبلة على المنزل الأسود، وهذا أسهل، المهم هو أن لا يصاب جنود، أعتقد أن إجراءات الاعتقال كانت أسهل، كي نتمكن من أن نجعل أيدينا سريعة على الزناد، أنا لا أحب أن أقول ذلك، بيد أنه صحيح، نحن هناك، ولسنا على استعداد لفقدان جنود أو إصابتهم بجراح، وبعد ذلك يمكن الاهتمام بالجوانب الإنسانية.

س: هل هناك إجراءات بالنسبة للمراقبين؟

ج: لا يوجد شيء من هذا القبيل، وإذا لاحظت وجود مراقب يحمل نظارة معظمة أو جهاز تليفون خلوي فهذا يعني أنه شريك في الجريمة، ومن ثم يجب التوجيه نحوه وإزالته. هناك أهمية بالغة للملابس والمنظر والدلائل الأخرى التي تجرم، فإذا كان يقف على السطح وهو يحمل جهازاً خلوياً، فهذا كافٍ لأنه لا يوجد أي سبب يجعله يقف على السطح وهو يعرف أن الجيش الإسرائيلي في القطاع.

س: هل جاء ذلك في المنشورات؟

ج: لا، المنشورات تدعو إلى عدم الخروج من البيت والاتجاه جنوباً إلى ما بعد خط نتساريم، وفي الأيام الأولى كانت الأوامر تنص على عدم الخروج من البيت ثم أصبح الهدف دفعهم نحو الجنوب.

س: هل شاهدت حركة مدنيين؟

ج: لا، كانت الشوارع فارغة.

س: هل كانت في التوجيهات ردود فعل على أحداث من هذا القبيل. هل أخذوا بعين الاعتبار وجود مدنيين؟

ج: التركيز الوحيد على التوجيهات التي حضرتها كان على حياة الجنود، لكنها لم تتطرق أبداً إلى المدنيين، لأنه لا يجب أن يكون هناك أحد، والافتراض الأساسي كان يشير إلى إمكانية أن تكون هناك مجموعة من المسلحين للمقاومة في بداية الاجتياح، لكن هذا لم يحدث.

*عدم السماح بالعبور

جندي:

س: عندما دخلتم، ماذا كان هدفكم؟

ج: كنا بانتظار الأوامر للدخول، لكننا لم نتلق أية أوامر، والقادة أيضاً لم يتلقوا الكثير، كل ما قالوه لنا هو استولوا على مفترق الطرق وسيطروا عليه، ويبدو أنه كان واضحاً للقيادة العليا إننا لن ننفذ المرحلة (ج) وأن دخولنا ما هو سوى تشكيل ضغط، وربما لوضع أقدامنا داخل المنطقة إذا ما أردنا حقاً مواصلة المرحلة (ج).

لقد دخلنا ونحن نعرف أننا سنبقى بضعة أيام لأننا سننفذ المرحلة (ج) هذا رغم أننا سمعنا أن هناك مسيرة سياسية آخذة في التبلور.

س: أي أنه لم يكن هناك في الحقيقة هدف؟

ج: نعم، لقد حددوا لنا منطقة عسكرية كي نسيطر عليها، ولم يكن لدينا خط رؤية رئيسي باتجاه محور مركزي، في حين أن الفصيلة الأخرى كان لديها خط رؤية، لقد كنا نحن والفصيلة الثانية خط أقصى الشمال الأمامي والأبعد عن الجدار الفاصل، وقد تلقوا أمراً بعدم السماح بالمرور على المحور المركزي.

س: ماذا يعني ذلك؟

ج: أي أنه إذا ما تحركت سيارة على المحور المركزي فإن الأوامر تقضي بإطلاق النار أمام السيارة كي يرى أننا نطلق النار ويدرك أن من المحظور عليه المرور، ويعود. وفي إحدى الحالات لم ينتبه السائق مما جعل الجنود يوجهون النيران إلى شاحنته، ولا أدري فيما إذا كان أحد قد أصيب فيها أم لا.

س: هل كان هذا الوضع ليلاً ونهاراً؟

ج: في الليل بشكل خاص لا نسمح بمرور أية سيارة أولاً إن الفلسطينيين لا يتجولون في الليل أبداً، وثانياً أنه حدثت أثناء النهار حركة على الطريق وأوقفها الجنود بالرصاص. لقد كنا بعيدين عن المحور مسافة تتراوح بين 200-300 متر، وسيطرنا عليه وحلنا دون وجود أية حركة عليه، وذات مرة جاء شخص فوق دراجة نارية، فقامت إحدى الدبابات بإطلاق قذيفة عليه وإصابته إصابة مباشرة، ولا أدري ما حدث له بيد أنني واثق من أنه لم يبق الكثير منه.

س: قلت لي أنهم أطلقوا النار على شاحنة؟ ما الذي حدث بالضبط؟

ج: كانت الأوامر تقضي بأن لا نسمح بالعبور، والجندي الذي كان يقوم بأعمال الحراسة في تلك الآونة لم ينتبه لاقتراب الشاحنة، وفاجأته باقترابها أكثر مما ينبغي حسب الأوامر، فأطلق النار على الشاحنة مباشرة لإيقافها.

س: هل هذا حدث نهاراً أم ليلاً؟

ج: نهاراً.

س: عندما كانت الأوامر تنص على إطلاق النار أمام السيارة، هل كان المقصود إطلاق النار أم القذائف؟؟

ج: ليست قنابل، بل نيران أسلحة خفيفة، رشاش أو بندقية ام-16، فمن السهل إطلاق النار أمام السيارة.

س: وماذا بالنسبة للأشخاص الذين يسيرون على الأقدام؟

ج: لم يكن هناك أحد يسير على قدميه، فقد فروا جميعاً إلى داخل القطاع حال بدء الهجوم.

س: أي جميع الضواحي؟

ج: كانت جميع ضواحي المدينة مهجورة تماماً، وأنا واثق من أنه كان هنا وهناك مدنيون، لكنهم لم يكونوا كثيرين.

س: لم تر أحداً حتى بالنظارة المكبرة؟

ج: لا، لم أر أحداً.

س: عندما تقتحمون منزلاً، هل يعطونكم توجيهات معينة؟ إدارية وتنفيذية؟

ج: هناك إجراءات منظمة في الجيش الإسرائيلي للمواقع، وإحدى هذه الإجراءات كانت الخطوط الحمراء، وهذا يعني أن من يتجاوز هذا الخط سيطلق الجنود النار عليه دون أن يفكروا مرتين.

س: إطلاق النار من أجل القتل؟

ج: نعم، إطلاق نار للقتل، وفي حالتنا، وفي المنزل الذي كنا فيه، الباب الغربي، وجبهتنا كانت الجبهة الشمالية، وكانت بوابة البيت تفتح باتجاه الغرب وسط ساحة محاطة بالحجارة على بعد خمسة عشر متراً من الدخل، وقد تلقينا أوامر بأن نطلق النار على كل من يدخل إلى هذه الساحة بقصد القتل. وكذلك الأمر بالنسبة لاتجاهات أخرى مختلفة، فإذا ظهر شخص ما من وراء المنزل، واقترب إلى المجال الذي حددته يجب أن نطلق النار عليه لقلته دون أي تردد.

س: هذا خلال النهار؟

ج: وخلال الليل أيضاً، حيث كانت مسألة الخطوط الحمراء أثناء الليل أكثر حرية، وكانت الأوامر تنص على ضرورة إبعادهم عن البيت، لأن من المفروض أن المدنيين لا يتجولون في ساعات الليل، وأن من يتجول يقصد إلحاق الأذى بنا.

س: ألا يجب أن يكون مسلحاً كي تطلقوا النار عليه؟

ج: في إطار الخطوط الحمراء، هناك من يكون بعيداً عن الخط الأحمر وغير مسلح، وفي هذه الحالة يجب تطبيق إجراء (البراءة) عليه، وهذا الإجراء يعني أن يخلع ملابسه ويتقدم باتجاهنا لتفتيشه والتأكد من أنه لا يحمل سلاحاً، أنا لم أسمع ذلك صراحة في الأوامر لكن هذا ما كنا نفعله إبان خدمة الاحتياط، لقد كنا في منطقة (كيرم شلوم) وكل من يقترب من الجدار نطبق عليه إجراء البراءة، وهذا ما فهمت أنه يجب علي فعله، كل من لم يجتز الخط الأحمر كنا نطبق عليه هذا الإجراء، إلا إذا كان يحمل سلاحاً، وفي هذه الحالة يجب إطلاق النار عليه للقتل.

س: أريد أن أفهم ما الذي تنص عليه أوامر فتح النار تجاه من يتجول ليلاً قريباً من الموقع الذي تقيمون فيه؟

ج: إذا لم يجتز الخط الأحمر، نقوم بتطبيق إجراء البراءة عليه، وأنا لم أتلق أوامر صريحة بذلك، لكن هذا ما تحدثوا عنه أثناء التدريبات.

س: ما هي الأوامر؟

ج: أوامر مكتوبة لم أتلق، لكنني واثق من أن الجنود لن يفعلوا إلا ما تدربوا عليه، فإذا كان هناك من يتجول ليلاً وبالإمكان تطبيق إجراء البراءة عليه وإدخاله إلى البيت فهذا أفضل، كي لا نقتل عبثاً، وكي لا نكشف أنفسنا إذا ما أطلقنا النار لأنهم سيرون ضوء العيارات النارية، وسيقومون بإطلاق النار عليه.

س: أي أنه طالما تمترستم في بيت، فإنكم تحرصون على عدم إبداء أية حركة تدل على أنكم هناك؟

ج: بصورة مبدئية لا، لأنه لم يكن بالإمكان معرفة أن هناك جنوداً في بيت معين.

س: ألم يحدث أن شخصاً ما كان يتجول في الشارع؟

ج: لا، لم تكن هناك أية حركة، جميع الحيوانات كانت تتجول حرة، أما بين البشر، فلم يكن هناك أحد ولم أسمع من أي جندي أنه كان هناك أحد.

س: ما الذي شاهدته حينما دخلت إلى هناك؟

ج: مثلما قلت لقد فتحوا هناك محاور، وجميع الحركة كانت تجري على المحاور التي فتحتها الجرافات بناء للضرورات التنفيذية وليس بسبب وجود بيت أو مستنبت، لقد شاهدت عدداً هائلاً من المنازل المهدومة، قسم بالقنابل وقسم جراء قصف سلاح الجو وقسم بالجرافات ومتفجرات وحدة الهندسة، لقد شاهدت بصورة أساسية منازل مدمرة، ولا أستطيع تقدير عددها، بيد أن نصف المنازل في محورنا كانت قد أصيبت بصورة أو بأخرى.

س: نصف المنازل التي دخلتم إليها كانت مدمرة؟

ج: ليس بصورة تامة، فأما أن المنزل تلقى قنبلة، أو أن الجرافات دمرته أو قصف سلاح الجو الإسرائيلي.

س: هل قالوا لكم لماذا دمروا المنازل؟

ج: أنا أؤمن بأنه وقبل أن يزيلوا أي بيت فإن القائد هو الذي أمر بإزالته لأنه بيت مشبوه، أو لأنه تلقى معلومات استخبارية بشأنه مما جعله يقول: أنه لن يمر من المكان قبل أن يدمر المنزل بصورة ما. وكذلك الأمر حينما خططنا لمحور تحركنا، فقد فكرنا في ضرورة إزالة هذا البيت كي لا يهددنا، أو لاشتباهنا بأن فيه عبوات ناسفة.

س: لأن هناك معلومات استخبارية حول البيت؟

ج: نعم، كان هناك منزل احتله جنود لواء جولاني لكن عندما أجرينا تحليلاً للمكان، رغبنا في إزالته.

*العمة

لا أذكر أنهم أطلقوا النار على مشبوهين، لم تقع الكثير من الحوادث في فصيلي، هناك ما يسمى ضربات نيران للردع، ففي لحظة معينة تصعد إلى السطح برشاش ثقيل وقاذف قنابل وتحدد منزلاً معيناً وتصب عليه نيران الردع، وذلك بغية إثارة البلبلة حيث نغير صورة القتال بين الفينة والأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة للجرافات.

وذات مرة شاهدنا امرأة تأتي من المنطقة التي فيها المنازل التي يتواجد فيها الجيش، ولم يلاحظها أحد حتى باتت قريبة من البيت الذي نتمترس فيه لكن جندي الحراسة لم يطلق النار عليها، رغم أنه كان يجب أن يفعل، وفي هذه اللحظة وصلت إلى المنطقة مدرعة، وشاهدها جنودها، فأطلقوا النار عليها من أسلحتهم الشخصية، وقد كانت هذه هي الحادثة الوحيدة التي أطلق فيها فصيلي النار على أحد.

س: وما الذي حدث لها؟

ج: لقد سقطت أرضاً وبقيت في حالة نزاع بعض الوقت قبل أن تموت، لقد كانت تحمل كيساً مما جعلنا نعتقد أنها تحمل عبوة ناسفة، فألقينا قنبلة على الكيس لتفجيره وعندها اتضح لنا أنه لم يكن به متفجرات. لقد كانت تسير أمام الجنود والمدرعة بمنتهى الهدوء-غريب.

س: هل هي شابة أم امرأة عجوز؟

ج: عجوز، ولم تبال بنا، لقد أضأنا الكشافات عليها بيد أنها لم تتوقف، من الجائز أنـه كـان بحوزتها عبوة ناسفة، وأرادت الوصول إلى تحت نافذة البيت لتفجيرها.

س: ألم ينظر أحد في الكيس ليرى ما فيه؟

ج: لا كنـا مشغولين بالاستعداد للمغـادرة، وهـذا مـا أثـار خوفنـا أكثر، لقد تلقينـا فـي جهـاز الاتصال أمراً بالاستعداد للمغادرة، وكان بمقدور أي شخص سماع ذلك الاتصال ويعرف أننا سنغادر، مما يجعل مرحلة المغادرة أكثر حذراً، لم يكن بمقدورنا المخاطرة.

س: هل قال لها أحد شيئاً؟

ج: الجندي الـذي يتكلم العربيـة طلـب منهـا أن تقف، وقد أسميناها فيمـا بعد عمـة رابطـة المخربين.

*صرخة لن أنساها للأبد

جندي:

كانت الليلـة بعد خمسة أو ستة أيام من دخولنـا إلـى القطـاع، وكنـا نحضر توجيهـات فـي الموقع حيث تحدث قائد السرية ونائب القائد، وفجـأة سـألني أحد الجنود فيمـا إذا كنت أرى ضوءاً متقطعاً على محور الطريق؟ فنظرنا نحو محور الطريق لبضع ثوانٍ، وفجـأة شـاهدنا ضوء فـانوس، وأدركنا أن هناك شخصاً ما يسير باتجاهنا، وفعلاً، بدأنا نميز هذا الشخص رويداً رويداً، فبدا كهلاً طويل القامة، يرتدي جلابية بيضاء ويحمل فانوساً، ولم يبد أن معه سلاحاً وفجأة قال قائد السرية: جميع القناصة إلى السطح، فسألوه: لماذا يصعد جميع القناصة إلى السطح؟ مـا الأمر؟ فقال: جميـع القناصة إلى السطح، اعتمدوا عليّ.

وعندما صعدوا أصبح الرجل على بعد مائـة وخمسين متراً من موقعنـا، بينمـا يقول قائد السرية: لا تقلقوا، اعتمدوا عليّ، وعندما أصبح على بعد مائة متر تبين لنا أنه لا يحمل شيئاً، والأمر الوحيد الممكن في هذه الحالة هو أنه يحمل حزاماً متفجراً أو يجمع معلومات استخبارية لحماس، أما على صعيد التهديد الآني، فلم يكن هناك أية تهديدات.

قال الجنود لقائد السرية أنه لا يحمل أسلحة وطلبوا منه السماح لهم بإطلاق نار للردع، كانت الدنيا ليلاً، والأوامر تنص على إزالة مثل هذا الرجل ليلاً، لكننا من جانب آخر كنا نراه يتقدم وهو يحمل فانوساً وكأنه يفتش عن شيء يأكله، أو عن مأوى يبيت فيه.

ولم يبد أنه آت لقتلنا، لكنك تعرف، هناك في نهاية المطاف تقديرات تنفيذية. وعندما سألنا فيما إذا كان يجب إطلاق عيارات ردع باتجاهه؟ قال قائد السرية أنه ليس لديه أوامر. وعندما أصبح على بعد 50-60 متراً بدأ التوتر يسود، لأنه يستطيع باستخدام حزام ناسف أن يقتل كل من في الغرفة وبدأت أسمع صيحات الجنود من غرف أخرى تقول: يجب إزالته.

وفي هذه اللحظة لم يكن يجب إطلاق النار للردع، بل للإزالة، وبدا الرجل على بعد 20-25 متراً، وفجأة يحدث انفجار من الأعلى يجعلنا جميعا نقفز وحينها أطلق العجوز صرخة لن أنساها ما حييت، كان الجميع يطلقون النار، والرجل يصرخ ويصرخ، وقائد السرية مسرور.

وعندما سألوه: لماذا لم يطلق ناراً للردع؟ قال الدنيا ليل، وهذا مخرب، وعندما قالوا له: لكنك كنت تعرف أنه يحمل فانوساً، ولا يوجد لديه سلاح، قال: لا يهم الدنيا ليل، لقد حدث لدي انطباع بأن الجميع كانوا يريدون أن يقتلوا، وأن أياً منهم لم يكن يشعر بأية غضاضة في ذلك.

وفي صبيحة اليوم التالي أرسلنا الكلب الذي يشم المتفجرات واتضح أن الرجل لم يكن يحمل شيئاً، كان الرجل ملقى على الطريق والمصباح في يده، وشعرت بعدم الارتياح من القضية كلها. لكنني كنت أعرف أنه من غير المناسب أن أطرح ذلك، لأنني في هذه الحالة سأتشاجر مع قائد الفصيل.

س: ما الذي قاله الجنود لقائد الفصيل بعد ذلك؟

ج: لقد سأله أحد القادة عن سبب عدم إطلاق عيارات ردع؟ فقال: أن الدنيا كانت ظلاماً، وقد قالوا له: أنه بريء ويجب أن نتذكر أن هناك مدنيين في المنطقة وليس مخربين فقط. وأنه إذا كان المخربون يرتدون ملابس مدنية، فليس معنى ذلك أن نقتل جميع المدنيين، لكنه لم يوافق على ذلك. وقد أدرك الجنود أنه حتى إذا ما رفعوا الأمر إلى الجهات العليا فلن يحدث شيء، لذا صمتوا.

الباب التاسع

اعتقال فلسطينيين

ووضعهم في بئر

أوردت الصحفية الإسرائيلية عميرة هس هذه الشهادات على حرب الرصاص المصبوب:

نقل الجيش الإسرائيلي خلال حرب الرصاص المصبوب أربعين فلسطينيا إلى سجون مصلحة السجون الإسرائيلية، منهم واحد وعشرون لا زالوا مسجونين حتى الآن، ولا شك أن هذا العدد صغير جدا مقارنة بالمئات الذين اعتقلهم الجنود الإسرائيليون في غزة، وهو أيضا عدد كبير مقارنة بالمئات الذين تم التحقيق معهم في زنازين تحقيق جهاز الأمن العام ثم أفرج عنهم.

ومن الجدير بالذكر أن الأرقام الدقيقة غير معروفة، وليس من المعروف أيضا فيما إذا كان الجيش قد سجلهم جميعا.

سمير العطار هو أحد الأربعين الذين نقلهم الجيش إلى السجون، وكذلك ابنه الأكبر حسين العطار الذي اعتقله الجيش ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، ويناهز سمير الثامنة والثلاثين أما حسين فهو في الثالثة عشرة والنصف. وقد اعتقلا سوية لمدة يومين ونصف، حيث قام الجيش بفصلهم بنقل الأب إلى السجن والإفراج عن الإبن.

لقد سألت سمير العطار فيما إذا كان حسين يعيش أزمة جراء اعتقاله؟ فقال لي: ليس أزمة كبيرة، عندما خرج حسين من السجن، فإن ما شاهده أنساه الأزمة التي عاشها في المعتقل.

توجه حسين بعد الإفراج عنه باتجاه منزله، كان الحي خاليا من غالبية سكانه، والكثير جدا من المنازل مهدم، والحقول والدفينات وطأتها جنازير الدبابات ومزقتها القنابل، وأصوات القنابل تدوي في كل مكان، من المحتمل أن يكون وراء كل نافذة قناص إسرائيلي، ويقول سمير: "حينما

وصل الصبي إلى البيت وجد جميع نوافذه محطمة ولم يجد أحدا في البيت، مما جعله يعتقد أنهم قتلوا جميعا: والدته، جدته وأخوته الخمسة. كان شديد الفزع وهو يري نفسه وحده تقريبا في حي الأشباح، بدأ يتجول ولا يدري إلى أين يذهب وما الذي يجب أن يفتش عنه، وفي صبيحة اليوم التالي عثر على أحد أقربائه والذي قاده سيرا على الأقدام حوالي أربعة كيلومترات إلى المدرسة التي كانت عائلته قد فرت إليها، إن الفزع الذي شعر به لا زال يمسك بتلابيبه حتى يومنا هذا.

إن ما قاله سمير يوضح -بما لا يدع مجالا للشك- الأسباب التي حالت دون أن تتحول عمليات الاعتقال الجماعي التي قامت بها القوات الإسرائيلية في القطاع إلى حديث مركزي لسكان القطاع، لقد أفضت الخرائب التي أحدثتها الحرب، وعدم معرفة المعتقلين لما حل بذويهم، أو معرفة العائلة بما حل بأبنائها المعتقلين، إلى جعل مسألة الاعتقال وعذاباتها بمثابة مسألة هامشية لا قيمة لها.

لقد تم إطلاق سراح سمير نفسه بعد شهرين ونصف من اعتقاله، وهو يعمل مزارعا وسائقا لمستشار محمود عباس لشؤون حقوق الإنسان الدكتور كمال الشرافي.

كانت أوامر الجيش الإسرائيلي صبيحة يوم الاثنين الموافق الخامس من كانون الثاني القائلة بأنه يتوجب على السكان إخلاء منازلهم متشددة: لقد بدأت القوات الإسرائيلية بقصف منزل سمير العطار نفسه وليس القصف حوله، مما حدا بسمير وعائلته للفرار منه والخروج منه وزوجته تلوح بقطعة قماش بيضاء، بينما حمل هو ابنيه اللذين يناهزان الخامسة والسابعة من العمر بين ذراعيه، وقد لاحظ وجود حوالي خمسين جنديا، والذين أمروه بأن يرفع يديه، وأطلقوا النار بين قدميه، ثم اقترب منه جندي وفتشه، ثم قيدوا يده مع يد ابنه حسين وعصبوا عيونهما، ثم قادهما الجنود إلى بيت مجاور ومعهم حوالي عشرة معتقلين آخرين، ويقول سمير: لقد تعامل الجنود معنا داخل المنزل بصورة جيدة، لكنهم لم يقدموا إلينا طعاما أو ماء، وسمحوا لنا مرة واحدة فقط الذهاب إلى المرحاض.

*بئر مساحته دونمان

وفي شهادته التي أدلى بها في الرابع عشر من كانون الثاني في سجن كتسيعوت للمحامي ماهر تلحمي أحد أعضاء اللجنة العامة المناهضة للتعذيب في إسرائيل، قال إن الجيش قادهم في حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر سيرا على الأقدام في قافلة معصوبي الأعين، ومقيدين الواحد إلى جوار الآخر إلى المنطقة التي حشد فيها الجيش الدبابات والجرافات، والتي يطلقون عليها في الجيش مصطلح ـ مكان الحماية، في حين أطلق عليها السكان المحليون اسم (الجورة- أو البير)، كانت الجورة تقوم على مساحة دونمين أو أقل قليلا، في حين يتراوح عمقها بين مترين وثلاثة أمتار ومحاطة بأكوام من الرمل ترتفع ثلاثة أمتار بحيث تغطى الجرافات، ويقول سمير: كانت هذه المنطقة سابقا حقل خضروات، وقد أعده الجيش لاستيعاب مائة معتقل فلسطيني.

ويقول سمير في إفادته: "في الوقت الذي كان المعتقلون يقادون إلى المكان، كانت الدبابات تطلق قذائفها على بيت لاهيا"، بدأت الظلمة تستشري في المكان بيد أن أضواء الدبابات الخافتة كانت تنير بعض الشيء، وقد وجه الجنود أمرا للمعتقلين بتسلق السد الترابي فتسلقوه وشرعوا يهبطون بحذر وهم يمسكون الواحد بالآخر وأعينهم معصوبة، وفي الجورة قام الجنود بوضع سياج من الأسلاك الشائكة حولهم.

ويقول سمير: "يوم الثلاثاء قام الجنود بإعطاء كل اثنين منا بطانية واحدة إزاء البرد الشديد، وقد بقينا طيلة الوقت مقيدين وجالسين على الرمال، ومعصوبي الأعين، وكان الجنود يقدمون لنا رغيفا وقطعة مرتديلة مرة أو مرتين يوميا، وكنا نطلب ماء فيقولون لنا: بعد خمس دقائق، بيد أن الماء لا يأتي إلا بعد ساعتين أو ثلاث ساعات، لم تكن في المكان مراحيض، ولم يعطنا الجنود أوراقا نظافة، وعندما كان أحدنا لا يستطيع الصبر كثيرا، كان يبتعد عن الآخرين قليلا ويقضي حاجته، وأيضا من كان يرغب في الصلاة كان يبتعد قليلا ويصلي، بيد أن أحداً من المعتقلين لم يكن ليجرؤ على الركوع والسجود أمام الجنود، كنا شديدي الخوف، وعندما كان أحدنا يتكلم كان الجنود يسكتونه بالصراخ، كان الجنود خارج السياج الشائك، وكانت هناك أيضا كلاب.

*ليالٍ دون نوم:

يقول سمير: "كانت الدبابات على بعد عشرة أمتار منا وهي تطلق قنابلها ليلا ونهارا، وحتى لو أردنا، فلم يكن بمقدورنا النوم من صوت الإنفجارات والبرد والخوف، وقد ضممت حسين وقلت له: لا تخف، كل شيء سينتهي بعد يوم أو يومين، ولن نموت، لكن الحقيقة هي أنني كنت شديد القلق، لقد كان معنا أربع نساء وعشرة أولاد لا تتجاوز أعمارهم أربع عشرة سنة، وكانوا هم أيضا مقيدين ومعصوبي الأعين.

ويقول (ح.ع) – 26 سنة في إفادته للمحامي التلحمي: كنا حوالي ثلاثين أسيرا وقد وضعونا في شاحنة، كان الجو باردا جدا، واضطررنا للمبيت داخل الشاحنة بينما نحن مقيدون ومعصوبو الأعين، وقد قام الجنود بتوزيع عدة بطانيات لكنها لم تكن كافية للجميع، ربما أنها كانت موزعة بحيث يأخذ كل اثنين بطانية واحدة، بقينا في الشاحنة حتى ظهر يوم الثلاثاء، وكل من كان يضطر لقضاء حاجته كان يقضيها خارج الشاحنة، وقد حظر الجنود علينا الكلام، وكل من كان يتكلم يضربونه.

اقتيد (ح.أ) – 23 سنة، من حي العطاطرة إلى السجن بعد أن قام الجنود بتقييد يديه وأيدي المعتقلين الآخرين من الخلف، وفي إفادته للمحقق مجد بدر من اللجنة العامة المناهضة للتعذيب قال: سرنا وقتا طويلا من مكان إلى آخر، وكان الجنود يضربوننا طيلة الوقت، ويشتموننا شتائم قبيحة، وبقينا طيلة ثلاثة أيام في بئر دون طعام أو ماء أو قضاء حاجة، ورغم أننا طالبنا إلا أن الجنود كانوا يرفضون ذلك.

*وفقا لإجراءات الجيش الإسرائيلي:

جرت التحقيقات في موقع اعتقال آخر خارج غزة في ظل ظروف صعبة للغاية، وفي الثامن من كانون الثاني –أي قبل أن تتوفر معلومات حول شروط الاعتقال- كتب ممثلو منظمات حقوق الإنسان في إسرائيل للنائب العسكري الإسرائيلي أبيحي مندلبليط رسائل ذكروه فيها أن من واجب الجيش الإسرائيلي الحفاظ على كرامة وحقوق المعتقلين، وقد رد عليها في التاسع عشر من نفس

الشهر بالقول: "إن الاعتقالات الجارية تجري وفقا لأوامر وإجراءات واضحة وهي التي توجه القوات، وهي تنص على ضرورة الحفاظ على صحة المعتقلين، واعتقالهم في ظل شروط مناسبة، لقد تمت بلورة هذه الإجراءات بصورة تتناسب مع واجبات إسرائيل تجاه قوانين الحرب.

*الناطق العسكري: الجنود والمعتقلون كانوا يعيشون نفس الشروط:

أفاد الناطق العسكري في تعقيبه على هذه الإفادات: أن الضباط والجنود الذي شاركوا في عمليات الاعتقال تلقوا تدريبات وتوجيهات. والجور التي تمت الإشارة إليها في هذا المقال، هي مناطق محمية هدفها حماية الجنود والمعدات المستخدمة من الأسلحة الخفيفة والصواريخ والمخربين، لقد تواجد الجنود والمعتقلون في المنطقة في نفس الشروط مع التأكيد على توفير الطعام والشراب للمعتقلين والحفاظ على شروط الحياة الأساسية خلال القتال.

*منظمات حقوق الإنسان: الجيش قتل مدنيين يرفعون العلم الأبيض

نشرت منظمة حقوق الإنسان الأميركية هيومان ريتس ووتش تقريراً آخر يتعلق بحرب الرصاص المصوب أفادت فيه: أن الجنود الإسرائيليين أطلقوا النار على أحد عشر فلسطينياً يرفعون الأعلام البيضاء وقتلوهم، وقد كان من بين القتلى خمس نساء وأربعة أطفال، يجب على الجيش أن يحقق في عملية القتل تلك بصورة أساسية وموثوقة.

لقد نشرت المنظمة تقريرها تحت عنوان:" قتلوا وهم يرفعون العلم الأبيض: حالات قتل فلسطينيين خلال عملية الرصاص المصبوب، وتفيد المنظمة أن التقرير يقوم بناء على التحقيقات التي أجراها موظفوها ميدانياً حول سبع عمليات في القطاع.

وقد اشتملت عمليات التحقيق على فحص للأدلة الموجودة في المنطقة، والتقارير الطبية للضحايا، والمقابلات التي أجرتها مع شهود عيان، كما أن الجيش رفض مرات عديدة الاجتماع بممثل المنظمة لمناقشة الحوادث المذكورة ولم يرد على الأسئلة التي وجهت له بخصوصها.

ويقول جو ستورك-نائب مدير شعبة الشرق الأوسط في المنظمة المذكورة: الجيش الإسرائيلي يستخدم العديد من الوسائل من أجل الامتناع عن مواجهة الأدلة التي تؤكد أن جنوده

قتلوا فلسطينيين مدنيين يحملون أعلاماً بيضاء في المناطق التي كان يسيطر عليها والتي لم يكن فيها مقاتلون فلسطينيون.

وتفيد المنظمة: أن قوانين الحرب تنص على أن كل من يقوم بهجوم على مدنيين أو يأمرون بتنفيذ مثل هذه الهجمات، هم مسؤولون عن تنفيذ جرائم حرب.

وفي رد الناطق العسكري على التقارير أفاد: أن التقرير يقوم على شهادات لعدد من المدنيين الفلسطينيين الذين لم يتم إثبات صدقهم، كما أن المنظمة لم تكلف نفسها عناء إرسال التقرير إلى الجيش قبل نشره في وسائل الإعلام كي يتمكن من التحقيق فيما جاء فيه، لقد أكدت التوجيهات العسكرية على احترام كل من يرفع علماً أبيض كوسيلة استسلام أو عدم التدخل في الحرب والامتناع عن المساس به، لقد كان القتال في القطاع شديد التعقيد على ضوء كثافة القتال واستخدام حماس للمواطنين والمدنيين كتروس بشرية، مستغلة التزام إسرائيل بالامتناع عن المساس بالمدنيين، إن إرهابيي حماس كانوا يستغلون هذه النقطة ويرفعون الأعلام البيضاء كتغطية لتنفيذ العمليات الحربية وكي يحظوا بالحصانة من الهجمات العسكرية، إن الأشخاص الذي يرفعون أعلاماً بيضاء بهذه الصورة يعملون بصورة غير قانونية، وهم لا يتمتعون بأية حصانة من الهجوم، ومن ثم فإن من البديهي أن لا يعتبر مجرد رفع علم أبيض حصول الشخص الذي يرفعه على الحصانة بصورة أوتوماتيكية، وفي الحالات التي تثور فيها شبهات بأن الشخص الذي يرفع العلم الأبيض يعرض قواتنا للخطر، فإن من حق الجنود اتخاذ الخطوات المطلوبة لاستيضاح الشبهات وإزالة التهديد وفقاً لأوامر فتح النار العسكرية.

الباب العاشر

حرس الحدود الإسرائيلي...
عمليات تنكيل بالعرب

٭شريط فيديو جديد يصوره الجنود

فيلم فيديو جديد صوره جنود حرس الحدود يلقى رواجا شديدا، فيلم إذلال وتنكيل بالفلسطينيين، يرغمون فيه الفلسطينيين على صفع أنفسهم وغناء الأغاني في مديح حرس الحدود، ويفاخرون فيه بإطلاق النار على الأمهات العربيات. ويقول جنود حرس الحدود الذين سرحوا من الخدمة أن هذه الظاهرة شائعة جدا في الوحدات.

يبلغ طول شريط الفيديو الذي عرض قبل أقل من سنة على موقع (يو تيوب) تحت اسم (كوميديا) ثلاث وأربعين ثانية، بيد أن الحقيقة هي أن بطل هذا الفيلم- وهو شاب عربي مجهول- كان زمن الفيلم طويلا جدا وغير مسلي. لقد كان عليه خلال هذه الثواني أن يصفع نفسه وأن يغني على صوت سخرية وضحك المصور وزملائه من شرطة حرس الحدود.

لقد شاهد هذا الفيلم حتى الآن أكثر من 2800 شخص ممن زاروا الموقع آنف الذكر، والذي بدا فيه الشاب العربي يقف في منطقة صحراوية بينما صوت يأمره بالعبرية أن يضرب نفسه قائلا: "ياله، ابدأ بقوة"، ويتناهى إلى المتفرجين صوت ضحكات رجال الشرطة، ثم الصوت نفسه يرتفع مرة أخرى ليقول للشاب: "قل أنا باحبك يا حرس الحدود، أنا باحبك يا حرس الحدود"، وشاهدوا الشاب وهو يردد هذه العبارة بصورة في الكثير من الخنوع والخوف بنما هو يواصل صفع نفسه.

وتتناهي ضحكات الجنود مرة أخرى ونفس الصوت يقول له: "مرة أخرى، أنا باحبك يا حرس الحدود". وبعد حوالي ثلاثين ثانية يأمره الصوت مرة أخرى قائلا: "قل: واحد حمص واحد فول، أنا باحبك يا حرس الحدود". ويردد الشاب ما قيل له، ثم يأمره الصوت قائلا: "قل أنا أضاجع فلسطين"، فيردد الشاب الجملة، وبعد أربعين ثانية يبدو أن هذا الوضع أرضى شرطة حرس الحدود، فيقول الصوت :"روح، ياله، روح، روح"، وتستدير الكاميرا، حيث يبدو قسم من سيارة جيب حرس الحدود.

لقد قام عدة عشرات من المشاهدين بإرسال تعليقات بعد أن شاهدوا الفيلم، وقد كتب أحدهم قائلا: ها ها ها، أرأيتم كيف صفع نفسه، وكتب آخر: "هذا ما يجب، عربي نتن" . وقال آخر: "لقد كان يجب أن تطلقوا النار عليه إبن الزانية"، ويبدو أن بعضهم شعر بالشفقة إلى حد ما على الضحية، حيث كتب أحدهم قائلا: "حرام أن تفعلوا هذا ببني آدم حتى لو كان عربيا، لماذا؟ إنه لم يفعل شيئا؟.

إن الفيلم المذكور ليس هو الفيلم الوحيد الذي تم تصويره ونشره على مواقع الانترنت بين رجال شرطة حرس الحدود خلال السنة الماضية، لقد عثرت جريدة هآرتس على عدة أفلام أخرى تجري فيها عمليات تنكيل وإهانات لفلسطينيين على أيدي جنود حرس الحدود. ومن الجدير بالذكر أنه وفي غالبية الأفلام لم تبد وجوه الجنود، ولم يكن بالإمكان التعرف على المكان الذي تم تصوير الفيلم فيه، بيد أنه ليس من الصعب فهم طبيعة الأجواء التي جرى تصوير الفيلم فيها. ففي فيلم يبلغ طوله 53 ثانية والذي عرض قبل أقل من سنة على الانترنت وشاهده 1800 إسرائيلي، بدأ عرضه بكتابة الجملة التالية : "والقليل من السموم، السرية (ج) أسود القدس القديمة". ويعرض الفيلم على خلفية شخص يغني على جيتارة قائلا: "لتعرف كل أم عربية، أن مصير أبنائها بأيدي السرية (ج) في البلدة العتيقة، مع سترات واقية وهراوات، نفرغ مخازن رصاص على الأمهات العربيات، ساعات في الآزقة، وفي كل زاوية،وفي كل ساعة، دورية شرطة ذات طواقي خضراء، يتجولون والجميع خائفون منهم، السري (ج) في البلدة القديمة، لتعرف كل أم عربية.

لقد جاء في مقدمة فيلم آخر على صفحات الانترنت: "كان جنود حرس الحدود ضجرون، فألقوا القبض على شخص ومازحوه، بيد أنه أخذ الأمور على محمل الجد". ويبدو في الفيلم فلسطيني ذو شارب يرتدي قميصا أزرق وقبعة خضراء، ويجلس في وسط سيارة شرطة. ويرفع الرجل يديه ويسأل: الآن؟ ويتلقى ردا إيجابيا، ثم يبدأ بالتصفيق بصورة رتيبة وهو يقول: "واحد حمص وواحد فول، الله يبارك حرس الحدود". وبعد أن يردد ذلك عدة مرات، يرفع يديه ويقول: ياله، يكفي، لكن الجنود يصرخون قائلين: كمان، كمان، فيضطر للمواصلة.

لقد شاهد هذا الفيلم 2500 شخص على الانترنت، وجاءت التعليقات بغالبيتها مؤيدة لما فعله الجنود، حيث كتب أحد الأشخاص قائلا: "ها،ها،ها، أي عربي غبي".

وفي فيلم آخر يبدو جندي حرس حدود بوجه سافر وهو يتحدث إلى الكاميرا قائلا: "مرحبا، أنا الآن في الحاجز 51 ". وعلى خلفية الصورة يبدو فلسطيني يجتاز الطريق على بعد، والمصور يشجع الجندي قائلا: اركض بسرعة إليه". فيقول الشرطي: " يوجد مقيم بصورة غير مشروعة، وأنا سأريكم كيف ألقي القبض على أحد المقيمين في إسرائيل بصورة غير مشروعة" ويندفع باتجاه الفلسطيني، ويبدو المصور مسرورا وهو يتسلى، وينتهي الفيلم حينما يعود الجندي ومعه الفلسطيني الذي ألقى القبض عليه، ويصرخ الجندي: "لقد ألقينا القبض على مخرب من حماس، واو ، فيقول الفلسطيني بصورة خائف: أنا لست من حماس، أنا لست من حماس.

وفي فيلم آخر تم تصويره تحت اسم (حرس الحدود): يبدو كهلا مريضا،ويقوم المصور بسؤاله: ما هو رأيك في رجال الشرطة المدنية؟ فيرد الكهل بالقول: لوطيون.

-الجندي: رجال الشرطة المدنية لوطيون؟ ورجال حرس الحدود؟

- الكهل: ما شاء الله عليهم، ما شاء الله على جميع الجنود في الجيش، الله يحمي الجنود، عيد سعيد".

وفي فيلم آخر يبدو من الكتابات التي سبقته أن جنديا من كتيبة ليفي هو الذي قام بتصويره، يبدو فيه فلسطينيون مقيدون، ومعصوبو الأعين يجلسون على مقعد طويل أو يجلسون

على الأرض في غرفة معلق فيها علم إسرائيل، وإلى جانب أحدهم يبدو جندي إسرائيلي مبتسم، وقد كتب في نهاية الفيلم: كتيبة ليفي، تشرين الثاني 2007 السرية 3، من يستطيع أن يتكلم معنا؟.

ويقول الناطق باسم حرس الحدود موشيه بينتسي ردا على الأفلام التي تم بثها: "لقد طرأ انخفاض على الشكاوى المقدمة ضد حرس الحدود بنسبة عشرات في المائة في غضون السنوات القليلة الماضية، سواء أكان ذلك فيما يتعلق باستخدام القوة التي تمنحها لهم الصلاحيات، أو على مسلكيات غير مناسبة، ويمكن أن نعزي هذا الانخفاض إلى الأعمال التي تقوم بها القيادة وعمليات التثقيف للجنود، بالتعاون مع منظمات حقوق الإنسان ولسياسة القيادة التي تقول أنها ليست على استعداد لتحمل أية مسلكيات تتعلق بظواهر قيمية سلبية، لقد نقش حرس الحدود على علمه القيم، وعلى رأسها الحفاظ على كرامة الإنسان وحقوقه، لقد تم تثقيف جنود حرس الحدود على احترام تلك القيم. إن قيادة حرس الحدود على علم بوجود تلك الأشرطة في موقع يو- تيوب منذ عام 2008 وقام ضابط شكاوى الجماهير في سلاح الحدود بمعالجة هذه القضية.

ويحاول سلاح الحدود الوصول إلى الأشخاص الذين قاموا بتصوير الأفلام، وإذا كانوا لا يزالون في الخدمة العسكرية، يتم استدعاؤهم للاستجواب في شعبة شكاوى الجماهير، لقد أكدت الأحداث السابقة أن الجنود يعرضون هذه الأفلام في أعقاب تسريحهم من الجيش، نظرا لإدراكهم أن سياسة قيادة الجيش تنص على عدم تحمل مثل هذه المسلكية، وتقوم قيادة سلاح الحدود بتسليم شرطة التحقيقات العسكرية البيانات والمعلومات التي ترتأي أن هناك فيها مخالفات جنائية مثل استخدام القوة.

وفيما يتعلق بالأغنية الخاصة بجنود السرية الثالثة، قال الناطق باسم سلاح الحدود: أن السلاح شرع بمعالجة هذه القضايا حال توجه جريدة هآرتس إليه، سواء أكان ذلك عبر الجهاز التثقيفي أو بواسطة إجراءات قيادية وانضباط، إن محتوى الأغنية يتعارض والقيم التي ربي عليها جنود السرية، ونحن نشجب الاستخدام المهين الذي استخدمه مؤلف الأغنية، وسوف تتم معالجة هذه القضية حتى النهاية.

لقد اتضح أن إرغام فلسطيني على غناء أغاني في مديح حرس الحدود ليست ظاهرة جديدة، ففي أيار 2007 على سبيل المثال، قال محمد أبو محسن -15سنة- من قرية أبو ديس المجاورة للقدس لمحققي منظمة بتسيلم لحقوق الإنسان: أن جنود حرس الحدود نكلوا به، ومن ضمن التنكيل أمره أحدهم: قل فول حمص فول، أنا أحب حرس الحدود. لقد حاول إرغامي على قول ذلك المرة تلو الأخرى، بيد أنني رفضت ذلك.

لقد تمت الإشارة إلى أغنية حرس الحدود آنفة الذكر في العديد من لوائح الاتهام التي قدمت ضد جنود من حرس الحدود على تنكيلهم بالفلسطينيين، وفي 2005 جرت محاكمة جنديين من حرس الحدود في محكمة صلح تل أبيب: ينيب أهاروني وأسعد بدر، واللذين اتهما بالاعتداء على فلسطينيين كانوا يتواجدون في إسرائيل دون تصاريح، ونكلوا بهم، وجاء في لائحة الاتهام أن بدر طلب من العمال أن يقولوا: حمص فول أنا أحب حرس الحدود، وكل من لم يقل ذلك كان يضربه على رأسه، لقد رفضت أن أغني ما أراد فكال الضربات بالهراوة على أنفي وظهري وصدري، حتى شعرت بأنني أكاد أن أموت.

لقد زعم الجنديان أنهما لم يرغما العمال على الغناء، بل أنهما بدءا بالغناء، وتبعهما العمال، لكن المحكمة لم تأخذ بأقوالهما، وحكمت عليهما بالسجن الفعلي بتهمة التنكيل وإلحاق أضرار بالعمال.

وفي الشهادة التي أدلت بها (ي) أمام منظمة لنحطم الصمت- والتي خدمت في حرس الحدود خلال الفترة الواقعة بين 2001-2004 في أعقاب تسريحها- قالت ردا على سؤال حول مظاهر العنف التي اصطدمت بها خلال فترة خدمتها: كنا نوقف الفلسطينيين ونرغمهم على غناء أغنية حرس الحدود: واحد حمص، واحد فول، أنا باحبك يا حرس الحدود، وأن يقفزوا مع الغناء، تماما مثلما يتعاملون مع الأغرار في سلاح حرس الحدود لكن بصورة أسوأ، وإذا ضحك شخص، أو فكر أن يضحك نقوم بضربه.

س- كم من الوقت استمر ذلك؟

ج- قد يستغرق هذا الوضع ساعات،والأمر رهن بالضجر الذي يعيشه الجنود، نحن نخدم لمدة ثماني ساعات، ويجب أن نجعل هذه الساعات تمر بشكل أو بآخر.

س- من يخضع لهذا الإجراء؟ نساء، كهول وأولاد؟

ج- نعم، من يأتي يصبح مؤهلا لمواجهة هذا الوضع، وكان هناك جنود حساسين يعفون النساء والكهول من ذلك، لقد كانوا ينكلون بكهول بصورة أقل، وكان من ينكل أيضا بالكهول بصورة مساوية، كان هناك جنود ينكلون قليلا بالفلسطينيين وجنود ينكلون كثيرا، وجنود دون دين ينكلون بالجميع بغض النظر عمن هو.

س- هل تعرفين حالات من هذا القبيل حتى الآن؟

ج- نعم، فمن خلال أحاديثي مع رجال من شرطة حرس الحدود ممن أنهوا خدمتهم مؤخر، اتضح لي أن أغنية واحد حمص، واحد فول لا زالت سارية المفعول حتى الآن، وقد قال لي (أ) وهو ضابط في حرس الحدود خدم مؤخرا في منطقة القدس والجدار الفاصل: نعم، لا زالت هذه الظاهرة معروفة، لأن العرب أيضا يعرفون هذه الأغنية، إنها مضحكة. هناك جنود يرغمون الفلسطينيين الذي يمرون بالحاجز، وخلال مراقبة هوياتهم على غناء الأغنية المذكورة.

س- ألا يوجد جنود لا يعجبهم ذلك؟

ج- لا، إنهم يأخذون الأمر على محمل التسلية.

س- ألا تعتقد أن من الإهانة إرغام الأشخاص على فعل ذلك؟

ج- على هذا الصعيد ، نعم. لكن هذا الممارسة مهينة نسبيا مقارنة بالممارسات الأخرى التي تمارس تجاه الفلسطينيين.

س- مثل ماذا ؟

ج- الكثير من الأشياء: لكمات، الجلوس على الركبة، وضع الرأس في الأسفل، خلع البنطال، التعري، وأنا أعتقد أن هذه الأمور أسوأ من الأغنية.

س- لماذا يصور الجند هذه المناظر حسب اعتقادك؟

ج- يصورونها كي يفاخروا بها بين أصدقائهم حينما يعودون إلى أسرهم.

(ي) شرطية من حرس الحدود:

س- هل شاهدت أفلاما من هذا القبيل؟

ج- نعم شاهدت فيلما أو اثنين، بدا في أحدهما حرس الحدود وهم يوقفون حافلة وينزلون ركابها ويرغمونهم على الغناء معهم نفس الأغنية.

جندي آخر من حرس الحدود:

س- لقد سمعت الأغنية عندما التحقت بحرس الحدود وخدمت في الخليل، كان العرب يغنون: أنا باحبك يا حرس الحدود.

ج- لماذا يبادر العربي إلى غناء مثل هذه الأغنية ؟

ج- لا أدري، فالأمر منوط بالجندي الذي يوقفه، وما الذي يفعله به.

وتتساءل الطبيبة النفسية الدكتورة روحمه مرطون –رئيسة منظمة أطباء لحقوق الإنسان: ما الذي يدفع بجندي من حرس الحدود لمثل هذه الممارسات المهينة؟ وهل يشعره ذلك حقا بالارتياح؟ ولماذا؟ ومن الذي علمه ذلك؟ والرد على هذه التساؤلات هو: إن الذي يعلمه هو قائد حضيرته، وصف الضباط الذي يرأسه وكبار قادته، أن جندي حرس الحدود يتلقى الصورة العملية من الجنود السابقين ويحصل على الموافقة من القادة الكبار، وأعتقد أن أولئك القادة لو كانوا لا يرغبون في حدوث ذلك لما حدث أبدا، إن تجمع القوة في يد إحدى الجهتين، والعجز التام في يد الجهة الأخرى يخلق نوعا من أنواع التنكيل، لقد مضت الأيام التي كنا نؤمن بأن هناك احتلال مثقف ومتنور، لقد بات الجميع يدركون الآن أن الاحتلال قاس ولا هم له إلا التنكيل. إن روحية الجماعة في وحدات حرس الحدود تقول أن العرب ليسوا بني بشر حقا، ومن ثم فإن إهانتهم لا تشبه إهانتي.

- إن جميع الجنود الذين سألتهم كيف تتعامل قيادتهم مع عمليات التنكيل قالوا لي: أنه لم توبخهم أبدا على أية عمليات تنكيل قاموا بها.

س- هل تحدث معكم القادة حول ذلك؟

ج- (ي) ولا مرة ، فأنت لا ترتكب شيئا يبدو ليس على ما يرام.

س- هل إرغام شخص على الغناء أغنية لا يحبها هو أمر عادي؟

ج- لا أعرف كيف أفسر لك هذه الظاهرة، فطالما أنك تفعل ذلك دون استخدام العنف أو القوة، فإن الأمر عادي، وأنا لم يسبق أن فعلت ذلك، لم يسبق أن جعلت إنسانا أضحوكة، إن الفلسطينيين يخافون الملابس العسكرية التي نرتديها ولا يخافوننا نحن، وهناك من يستغل هذه الملابس بتوجيه ضربة هنا أو هناك، وأنا أعتقد أن الذين يقومون بمثل هذه الممارسات مساكين، فهم يحاولون تحقيق ذاتهم.

- وتقول (و): لم يقل القادة لنا إفعلوا أو لا تفعلوا ذلك، لأن هذه الممارسة لا تمس بحقوق الفلسطينيين، إنهم يغنون دون أن نوجه المسدسات إلى رؤوسهم.

الباب الحادي عشر

الجيش الإسرائيلي يشرع في التحقيق في عشرين حالة تنكيل في "رصاص مصبوب"

أمرت النيابة العسكرية العامة الشرطة العسكرية بالتحقيق بثماني شكاوى بتنكيل بمعتقلين وعنف تجاه فلسطينيين في أثناء عملية "الرصاص المصبوب"، هذا ما أفادت به النيابة العامة من خلال الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي لصحيفة "هآرتس". أربع من بين الشكاوى التي تحقق فيها الشرطة العسكرية عن تنكيل مزعوم لجنود بحق سكان القطاع، رفعتها اللجنة الجماهيرية ضد التعذيب في إسرائيل. وبالإجمال، من أصل مائة توجه من جهات مختلفة (إسرائيلية وأجنبية) رفعت إلى الجيش الإسرائيلي وفيها ادعاءات ضد الجيش في أثناء الهجوم، أمرت النيابة العامة بفتح تحقيق عام في "أكثر من عشرين حالة".

الشكوى الأولى للجنة رفعت إلى النائب العسكري الرئيس العميد أفيحاي مندلبليت في 19 كانون الثاني. ثلاث شكاوى أخرى أرسلت في الأسبوع الأخير من نيسان. محامو اللجنة التقوا في الأشهر الأخيرة مع 14 من أصل 40 معتقلا في عملية "الرصاص المصبوب". 19 من بين المعتقلين أطلق سراحهم، بينهم المشتكي الأول - أ. ك . وكان أ. ك اعتقل في بيته في حي الزيتون في 8 كانون الثاني. وحسب شهادته، فقد احتجز مكبلا بيديه على مدى خمسة أيام متواصلة. على مدى أربعة أيام من أصل الأيام الخمسة، كانت عيناه معصوبتين أيضا. وجاء في شكوى اللجنة أنه بينما كان لا يزال معتقلا في بيته مكبلا بقيود بلاستيكية ضاغطة ومعصوب العينين، "احد الجنود

الصق بقوة بندقية إلى جبينه فيما كان يدير البندقية في جبينه، بشكل الحق به آلاماً شديدة وخلف إصابة في جبينه. أ. ك لم يرَ أي جزء من البندقية الصق بجبينه وذلك لان عينيه كانتا معصوبتين".

المحامي محمد جبارين، الذي يمثله رأى بوضوح علائم الإصابة في جبينه في 12 كانون الثاني حين إلتقاه لأول مرة في المحكمة في بئر السبع للبحث في تمديد اعتقاله. في المحكمة أيضا نزعت لأول مرة القيود عن يديه، ورأى جبارين عندها علائم التقييد العميقة.

وبينما كان أ. ك لا يزال محبوسا في بيته، فان الجندي الذي الصق البندقية إلى جبينه كان يحقق معه - بصراخ على حد شهادته - حول مكان معدات حربية وأنفاق. في أثناء هذا التحقيق الميداني، كما ورد في الشكوى، "فان الجنود الذين دخلوا إلى بيته ركلوه بقوة وواصلوا ضربه رغم انه استجدى أن يكفوا".

وعندما انتهى التحقيق، والذي قال فيه أ. ك انه لا يعرف عن معدات حربية أو أنفاق، ادخل إلى غرفة الحمام، وهناك ابقي على مدى يومين مكبلا معصوب العينين. وبعدها نقل إلى نطاق دولة إسرائيل.

في 11 كانون الثاني فحصه طبيب، ولأول مرة رفعت العصبة عن عينيه. هو وأبوه واثنان من أخوته الذين اعتقلوا معه، احتجزوا نحو يوم في كرفان. وحسب أقواله، لم يكن في الكرفان ماء دافقة أو مراحيض، فرشات أو بطانيات، ولم يكن فيه سوى فتحة صغيرة في السقف.

ما هو التنكيل؟

المحامية بانا شكري - بدارنة، من اللجنة الجماهيرية ضد التعذيب تقول إن "التنكيل" هو "معاملة وحشية و/ مهينة و/ غير إنسانية". تحديد معاملة التنكيل يستند إلى وصف "التعذيب" في الميثاق الدولي ضد التعذيب والذي اقر في 1986 (وإسرائيل وقعت عليه). وحسب هذا التعريف فانه في "التنكيل" توجد ثلاثة من أصل أربعة عناصر التعذيب. المعيار الأول هو النية - أن يكون فعل إلحاق معاناة وألم للآخر مبيتا. الثاني هو شدة الألم والمعاناة - أن يلحق الفعل بالضحية ألما أو معاناة شديدة، جسدية أو نفسية. أما المعيار الثالث فهو الهدف - أن يتم الفعل لغرض تحقيق هدف، بما في ذلك انتزاع معلومات أو اعتراف من الضحية، العقاب، التخويف أو التمييز. والمعيار الرابع

هو الدور الرسمي - أن يتم الفعل من أناس مخولين، بموافقة السلطات او في ظل غض النظر من جانبها.

شكري - بدارنة تقول أن 8 من أصل 14 معتقلا التقى بهم ممثلو اللجنة رفضوا رفع شكوى خشية أن تنكل بهم السلطات.

بعض من المعتقلين يمثلهم الآن محامون آخرون يعالجون مسألة شروط الاعتقال الأولى. وتقول شكري - بدارنة انه في الشكاوى التي رفعتها اللجنة وستواصل رفعها، تسعى إلى وضع حد لعدم اكتراث الجمهور نحو حقيقة أن الجيش يعتقل الناس بظروف مؤلمة مهينة وغير إنسانية لا صلة لها بالاعتقال نفسه. ''هذه معاملة تتم على سبيل العادة''، تقول، ''وهدف اللجنة هو ألا يعتاد الناس على ظواهر ''خفيفة'' زعما من التنكيل فقط لأنه توجد ظواهر أشد منها''.

راجي مصباح عبد ربه من حي عزبة عبد ربه في جباليا كان مكبلا على مدى يومين كاملين بقيود بلاستيكية تشتد كلما تحركت اليدان. وبينما كان مكبلا استخدم، حسب شهادته، كدرع بشري لقوة من الجيش الإسرائيلي. كل الشهادات التي تراكمت عن جنود الجيش الإسرائيلي الذين استخدموا السكان الفلسطينيين كي ينفذوا تفتيشات في المنازل أو اقتحامها تتناول قوة احتلت حي عزبة عبد ربه في كانون الثاني 2009. قبل تقييده، المشتكي وثلاثة معتقلين آخرين اخرجوا من بيوتهم احتجزوا وهم قاعدين على الإسفلت على مدى أربع ساعات دون ماء شرب ودون وصول الى المراحيض. وحسب أقواله، فان الجنود الذين حرسوهم قالوا للمعتقلين الذين طلبوا ماء ''من يتحرك سنطلق عليه النار حتى الموت''. والى جانب مكان قعودهم - اعتقالهم، كانت جثتا فلسطينيين. احد الجنود قال أيضا أن ''من يتحرك مصيره سيكون كمصيرهما''.

بعد ذلك المشتكي واثنان آخران قيدوا وجندوا كـ ''درع بشري''. وشهد المشتكي عن تسعة من جيرانه، بالإجمال، طلب منهم الدخول إلى المنازل قبل الجنود. أما الجنود حسب شهادته، فكانوا يشتمونه ويضربونه أحيانا. عينا راجي مصباح أعصبتا في الأوقات ما بين الدخول إلى المنازل التي أمر بتمشيطها بينما الجنود وراءه.

وحسب الشكوى، فانه سمح له بالذهاب إلى المرحاض مرة واحدة فقط على مدى يومين. والساندويش الوحيد الذي أعطي له خلال اليومين كان يصعب عليه تناوله بسبب القيود.

وجاء من النيابة العامة عبر الناطق العسكري بان ''كل شكوى أو شهادة تشير إلى تنكيل مزعوم بالسكان الفلسطينيين، تفحص من محافل فرض القانون في الجيش الإسرائيلي (أي الشرطة المحققة والنيابة العسكرية)، وهذه المحافل تتعامل مع كل شكوى بعين الخطورة. كل حالة تفحص بذاتها حسب ملابساتها دون صلة بهوية الضحية''.

*أسئلة مفتوحة

سؤال ''هآرتس'' إذا كان في أثناء التحقيق لدى الشرطة العسكرية التقى المحققون مع أربعة من المشتكين عبر اللجنة الجماهيرية، لم يستجب. ولم يستجب أيضا للسؤال هل عثر على الجنود الضالعين في الأمر.

ولم يجب الناطق العسكري على سؤال إذا كان الجيش الإسرائيلي في ضوء كثرة الشهادات عن استخدام الدرع البشري قرر التراجع عن الادعاء الشامل بان هذه التقارير (بما في ذلك تلك التي نشرت في ''هآرتس'') هي تقارير كاذبة. وأفادت محافل عسكرية ''هآرتس'' بأنه في بند ''التنكيل'' (المادة 65 في قانون القضاء العسكري، يرد أن جنديا ضرب جنديا أدنى منه رتبة أو ضرب شخصا يوجد في وردية الحراسة التي يتحمل الجندي المسؤولية عنها، أو نكل بهما بشكل آخر، حكمه السجن لثلاث سنوات. جندي نكل بجندي آخر حكمه السجن لسنتين. في الملابسات الشديدة غير المفصلة، العقاب المفروض هو سبع سنوات سجن.

شهادات عن ممارسات الجنود في الضفة الغربية

الباب الأول

حالات روتينية

*أنت لا تخيفهم

جندي/ وحدة المظليين / رتبة رقيب

كان الجنود قد اعتادوا ممارسة العنف اللفظي، فقد اعتادوا الشتم بأقذع الألفاظ، وفي أحسن الأحوال يصرخون.

س: الجنود؟

ج: نعم، لكنني لم أر ذلك على هذا الحاجز، لكن في إحدى نوبات الحراسة والعمل على الحواجز التي لم أكن فيها، سمعت أن الجنود قاموا بمهاجمة شاب فلسطيني لم يكن منضبطاً.

س: سمعت ولم تر؟

ج: نعم. لقد قاموا بضربه بصورة شديدة جداً مما أدى إلى إدخال أحد الجنود إلى السجن، لقد تجادل الشاب مع أحد الجنود حول حقه في الدخول، ويبدو أن الجندي كان قليل الصبر. وعندما قام الجندي بإعداد بندقيته للإطلاق وتوجيهها إلى الشاب، قال له الشاب: يمكنك أن توجهها متى تشاء، فهذا لا يخيفني وحينها انهال عليه الجنود ضرباً لجعله أكثر تعقلاً.

س: هل كانت الفكرة جعله يدرك أنهم جادون، ولن يسمحوا له بالعبور؟

ج: نعم، يبدو أن هذه هي الفكرة، لقد كان قائد الموقع غير مبالٍ أبداً.

س: ما رتبته؟

ج: رقيب، ولم يعرف ما حدث، ولم يهمه، لم يكن يسيطر على الوضع.

س: هل تم التحقيق في الحادث؟

ج: نعم، وقد أدخل الجندي إلى السجن.

س: هل علمت السرية بما حدث؟ وهل تحدثوا حول ذلك؟

ج: نعم، سمعوا، وتحدثوا، وقد عاد إلى الوحدة حالياً.

س: هل تعتقد أنه يجب أن يعود للوحدة الميدانية؟

ج: لا، لا يجب أن يعود.

س: لماذا؟ هل وقعت له حوادث أخرى؟

ج: ليس على هذا المستوى، لأنه فهم إذا علموا بما فعله فسوف يواجه مشاكل، لكنه كان يأخذ سجائر ومسابح وما شابه من الفلسطينيين على الحاجز.

س: هل كانت مثل هذه المسلكية مألوفة في السرية؟

ج: في الحقيقة أن هذا الوضع لم يكن مألوفاً في سريتي، لكنني شاهدت مرة أو مرتين مسابح لدى الجنود ولم أدر من أين أخذوها، لقد كان قادتنا متشددين على هذا الصعيد باستثناء القلة منهم.

س: هل استخدمتم مصطلح: يجب أن نريه أننا جديون؟

ج: لا، لكن دعنا نقول أنه وفي الكثير من الأحيان بسبب التهديدات، والأشخاص الذين يقتربون منا طيلة الوقت، تم استخدام هذا المصطلح.

س: ما هي التهديدات التي تقصدها؟

ج: التهديدات التي كانت تواجه الحاجز، فأنت موجود على الحاجز، وحولك الكثير من التهديدات، فالفلسطينيون يجتازون بصورة دائمة الخط الوهمي الذي نضعه ونحظر اجتيازه على كل من يأتي إلى الحاجز، وحينما يجتازونه يبدأ توترك، لأن اقترابهم يخلق تهديداً لك. وتشعر أنك أصبحت مصب اهتمامهم، وكأنك لا تهددهم ولا تخيفهم، ولا تردعهم، وهذا في حقيقة الأمر يخلق تهديداً عليك، لأنه إذا ما اقترب منك أحدهم وأخرج فجأة شيئاً فإن مصطلح "سأجعله يرى أنني جدي" سيتحول إلى ردع معين، فقد يصل أحدهم إليك ويقول لك: أطلق النار علي، لست أبالي،

ويجب أن أعبر الحاجز، فهو يدرك أنك لن تطلق النار عليه، لذا يواصل المسير دون مبالاة، وهذا يعني أنه لا يفهم أنك جدي.

س: هل الوضع في هذه الحالة متروك لتقدير الجندي؟

ج: إن الجنود الموجودين على الحاجز هم ممن تتراوح أعمارهم بين 18-19 سنة، وتراهم مرهقين، ويحملون كامل عتادهم، لذا يترك الأمر لتقديرهم. وفي الحالة التي أشرت إليها، هاجمه الجنود فعلاً وأوسعوه ضرباً وكل ذلك بناء على تفسيرهم للحدث وكيفية الرد عليه.

*مقاطعة

الرتبة: ملازم ثانٍ – مجندة.

الوحدة: لواء الناحل-الشبيبة الطلائعية.

المكان: الخليل.

الحادث الذي أتذكره جيداً وقع عام 2001 في أعقاب مقتل الوزير رحبعام زنيفي، عندما وصلت إلى الكتيبة الخمسين كضابطة صغيرة، ووصلت إلى قاعدة (كيلع) في هضبة الجولان. ولم يكن أحد من الكتيبة هناك، لأن الكتيبة كانت في قلقيلية للقيام بعملية ما، وحينما عادت الكتيبة كانت هذه أول مرة أراهم جميعاً، لقد تجولنا بين السرايا، وتحدثت مع الجنود وأنا أبتسم، وشاهدت مع كل جندي مسبحة وكتب قرآن صغيرة، وحينما سألتهم من أين لكم كل هذه المسابح وكتب القرآن؟؟ قالوا لي: لقد كنا نقوم بعملية في قلقيلية، وجلبناها من المنازل كذكرى.

وفي اليوم التالي تقابلت مع قائد الكتيبة بوصفي ضابطة مستجدة، وسألني: ما هو انطباعك عن الكتيبة؟ فقلت له: كل شيء على ما يرام باستثناء أنني شاهدت مع الجنود الذين عادوا من قلقيلية مسابح وكتب قرآن، جلبوها من المنازل هناك.

س: وماذا حدث؟

ج: ثارت ثائرة قائد الكتيبة واتصل فوراً بقائد السرية، فقال قائد السرية: أنا في حياتي لم أر هذه الفتاة، إنها كاذبة، وتلفق، إن جنودي لا يفعلون أشياء من هذا القبيل، فأعطاني قائد الكتيبة

التليفون وتحدثت معه، قلت له: لكن هذا حدث، فقال لي صارخاً: من أنت أصلاً؟ أنت مجرد غبية صغيرة، ولا تفهمين.

س: وماذا حدث بعد ذلك؟

ج: بدأت عملية مقاطعة لي، لقد أوعز قائد السرية للجنود بأنني واشية لقائد الكتيبة، فقاطعني الجميع طيلة أربعة أشهر، وأذكر أنه كان يجب أن نجمع صور الجنود لإحياء ليلة في الكتيبة، بيد أن الجنود رفضوا إعطائي الصور، وكانوا يبصقون على ساقاي كلما مررت بهم قائلين: واشية، لقد كانت لي صدمة حقيقية.

*لنقتل لنقتل لنقتل

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: سرية دورية الناحل

مكان الحادثة: عام

رقيب أول:

كانت الأجواء السائدة في الوحدة تقول: لنقتل لنقتل لنقتل، نريد أن نرى جثثاً، هذا ما كانوا يقولونه في التوجيهات. فقبل أن تبدأ إحدى عملياتنا في مخيم بلاطة في منطقة نابلس، جمعنا قائد الوحدة بعد أن حملنا جميع معداتنا، وأجلسنا في صورة دائرة صغيرة، وقال: من جانب، من الجائز أن تقع خسائر بشرية بيننا خلال العملية، مما يتطلب منا أن نتعامل مع هذا الاحتمال كما يجب، لكنه من الجانب الآخر يريد أن يرى جثثاً، يجب أن نعود ومعنا مخربين قتلى.

وقال: أنه لا يحب أية رائحة أكثر من رائحة البارود المتصاعد من الأسلحة في أعقاب إطلاق النار، كما تحدث أيضاً عن رائحة لحم البشر المحروق، لكنني لا أتذكر العبارة التي قالها تماماً.

⁎فقط سمعت عن غزة

الرتبة: رقيب

الوحدة: المظلات

س: هل تعرف إجراء يطلقون عليه اسم: المراقبين؟

ج: سمعت الكثير عن هذا المصطلح، وقيل لي أنه إذا ما لاحظت وجود مراقب، يجب أن تقتله فوراً.

س: ما هو معنى مراقب؟

ج: المراقب هو الشخص الذي يحمل جهاز تليفون خلوي ويراقب الوحدة أثناء عملها أو شيء من هذا القبيل وأيضا قيل لنا: إذا ما اقترب راعي أغنام منكم، يجب طرده فوراً بعيداً عن الحاجز.

س: بما فيها إطلاق النار؟

ج: لقد سمعت عن ذلك، لكنني لم أتلق أية أوامر.

س: لنقل أن وحدتي تقوم بعملية ما، وفجأة شاهدت شخصاً يقف فوق السطح ومعه تليفون، هل أطلق النار عليه لقتله؟

ج: أنا لم أتلق أية أوامر من هذا القبيل، لذا لا أعرف.

⁎أن تعمل ضد سريتك

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: جبعاتي

قبل التحاقي بالجيش كنت أفكر فيما إذا كانت مسألة رفض أداء الخدمة في المناطق المحتلة لأسباب أخلاقية هي مسألة جيدة أم لا؟؟ أما الذين يعارضون رفض الخدمة، فيقولون: اذهبوا لأداء

الخدمة في الجيش وحينها ستمنعون جميع أعمال الظلم، وقد هزني أن الكثيرين ممن يقولون ذلك لا يعرفون ما الذي يجري في المناطق المحتلة.

س: ماذا تعني؟

ج: إن أي جندي في الميدان لا تكون لديه القوة اللازمة لفعل ذلك، أن تذهب لقائدك وتقول أنك ترفض الخدمة، لماذا؟؟ لأن ثمانين في المائة من سريتك يؤيدون الخدمة، وأنت لا تستطيع أن تعادي سريتك كلها، لأنك جندي مشاة، وأنت تنام مع زملائك في نفس الغرفة وربما أنك لا تفعل ذلك من أجل الصداقة، أو كي لا يضعوا لك (البطانية) ليلاً.

س: ما الذي تعنيه بوضع البطاينة؟

ج: سيأتي الجنود إليك وأنت نائم، ويضعون البطانية في فمك، ويوسعونك ضرباً لأنك قمت بشيء لا يتناسب مع إجراءات رفقة السلاح في السرية، لقد فعلوا ذلك لأحد الجنود في سريتنا نظراً لأنه كان رجلاً غير اجتماعي، وبالإمكان نبذك وشتمك، وأن لا يكون لديك أصحاب وتفقد ثقتك في أمنك الشخصي، وحتى إذا قدمت شكوى فلن تكون واثقاً من أنهم سيقومون بمعالجة هذه المشكلة

يجري الحديث كثيراً في إسرائيل عن أخلاقية الجندي الإسرائيلي وثقافته، رغم أن عملية التثقيف تجري لساعة واحدة طيلة السنوات الثلاثة، إنهم في الجيش يفاخرون بهذه الأطروحات، لكنهم لا يتحدثون عن جوهرها، فلا يجري الحديث عن الانضباط والأخلاق وما الذي بمقدورك فعله أو عدم فعله، هناك أوامر إطلاق النار وإذا لم تستجب فسوف تقدم إلى محكمة تأديبية.

*مفاتيح السيارات

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: لواء المظليين-الكتيبة202

مكان الحادث: مخيم اللاجئين بلاطة بجوار نابلس

س: هل عملية مصادرة المفاتيح كانت عملية منظمة؟

ج: عندما كنا نمكث في أحد المنازل وتمر سيارة نوقفها ونأخذ مفاتيحها، بما فيها المفتاح الاحتياطي، ونقول للسائق: اذهب سيراً على الأقدام، وسيارتك ستبقى هنا، عد إليها بعد يومين، ونضع المفاتيح في البيت، وأحياناً نأخذ بطاقات هوياتهم.

س: وهل كنتم حقاً تعيدون المفاتيح إليهم بعد يومين؟

ج: في حالات كثيرة جداً لم نكن نعيد المفاتيح ولا الهويات.

***الهدف: إرهاقهم**

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: كتيبة شمشون

مكان الحادثة: كفر تقوع

شهدت منطقة القرية الكثير من الحوادث في فترة معينة لقد حاول نشطاء من الجهاد الإسلامي أو حماس إثارة شبان القرية ضدنا، لذا قرر قائد الكتيبة أو السرية أن نقوم باقتحام القرية مرتين أوثلاث مرات أسبوعياً ليلاً وقلب القرية رأساً على عقب، بحيث نرهقهم خلال عمليات الليل إلى الدرجة التي لا تصبح لديهم القوة اللازمة في ساعات النهار للقتال، كي يتمكن المستوطنون القريبون من المكان من العبور في محور الطريق، وقد أثبت هذا الأسلوب جدواه.

س: أنت بوصفك رقيباً أول كنت تقول للجنود سنقتحم؟

ج: كل السرية تقوم بعمل منظم، تقوم بعملية عسكرية مع إجراءات قتال وأوامر ومعدات مدرعة وتغطية من قبل سرية أخرى واستئذان من قائد الكتيبة.

س: وفي الليلة التالية تعود لتكرار نفس العمل؟

ج: الهدف الذي حدد لي هو أن أذهب وأقلب القرية رأساً على عقب بحيث يصبحوا مرهقين جداً إلى الدرجة التي لا تمكنهم من وضع الحواجز على الطرقات في النهار، مما يتيح الفرصة للمستوطنين للعبور، وأنت تتحدث عن قرية يسكنها عشرات الآلاف كنا ندخل بكل الكتيبة ورجال المخابرات، فيبدأ الفلسطينيون برشقنا بالحجارة.

لقد كان يكفي أن ندخل بالدبابات ونطلق عدة رصاصات كي تشتعل القرية كلها لمدة أربع أو خمس ساعات متواصلة، فيرشقوننا بالحجارة، ونقوم نحن بإطلاق النار، وتجري صدامات، حيث يطلقون النار على القوات من النوافذ، فنلقي إلى داخل المنازل قنابل مسيلة للدموع.

لقد جرت غالبية هذه المواجهات والأحداث في الأزقة وشوارع القرية، ولا شك أننا كنا نلحق أضراراً بالقرية بيد أننا لم نكن نهدم منازل أو شيئاً من هذا القبيل، وكنا نضرب نوافذ المنازل بأعقاب بنادقنا كي لا نسمح للسكان داخل المنازل بمشاهدة ما يحدث.

*إطلاق النار على السيارات

الرتبة: رقيب أول

الوحدة شمشون

مكان الحادث: الخليل

عندما كانت تحدث مواجهات عام 2001 كنا نطلق النار على السيارات دون تمييز. لقد حدثت مواجهات في الخليل، وقمنا بإطلاق صواريخ من قاذف (آر.بي.جيه) فأصاب الصاروخ محطة بنزين، مما أدى إلى تفجيرها بصورة خطرة، وقد كان بالقرب منها موقع للشرطة الفلسطينية فتدمر تماماً، وفي طريق الخروج من هناك تلقينا أوامر بإطلاق النار على جميع السيارات الواقفة هناك.

س: هل تلقيت أمراً بذلك في جهاز اللاسلكي ؟

ج: نعم، تلقيت الأمر في جهاز اللاسلكي، ومن ثم وجهنا مدافعنا الرشاشة نحو السيارات ونحن خارجون وأطلقنا عليها الرصاص، وقد أوضح الجيش السبب بالقول: أنه كان للردع.

س: هل حدث ذلك أثناء الصدامات؟

ج: لا، لقد انتهت الصدامات، وكنا في طريق الخروج وفي الشارع الذي تلقينا الأمر فيه وأطلقنا النار على السيارات لم تقع أية اشتباكات، وكنا نسير بحماية الدبابات وطائرات الهليوكبتر، إن سكان الشارع لم يطلقوا النار علينا سواء في الاقتحام أو الانسحاب، وقد أطلقنا النار على عشر أو خمس عشرة سيارة.

س: هل الذي أصدر أمر إطلاق النار على السيارات أعلى من قائد سرية؟

ج: نعم، هذا واضح.

*نرافقهم إلى الخارج

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: جبعاتي

مكان الحادث: غزة

س: هل كانت هناك مناطق يحظر على الفلسطينيين الاقتراب منها؟

ج: أتذكر حادثة خاصة، كان الهدوء سائداً، وكنت أنا في نوبة الحراسة ليلة السبت، وجميعهم نائمون، وفجأة شاهدت رعاة أغنام، وقد اجتازوا المنطقة البيضاء والمنظمة الحمراء، وبناء على الأوامر، فإنه يحظر عليهم الدخول إلى المنطقة البيضاء، وإذا ما دخلوها يجب أن تصرخ عليهم كي يغادرها، وإذا لم يستجيبوا لك، واجتازوا المنطقة البيضاء إلى المنطقة الحمراء، فمن المسموح لك أن تطلق النار عليهم بقصد القتل.

س: من أجل القتل؟

ج: لا أعتقد من أجل القتل، لست أذكر الأوامر، بل أن أطلق النار على سيقانهم إذا لم يكن هناك تهديد، أما إذا كان هناك تهديد، فيجب أن أطلق النار بقصد النار.

س: هل كان هذا قبل الانتفاضة؟

ج: نعم، جاءت قطعان أغنام يوم السبت، وكنت آنذاك قد التحقت بالجيش منذ ستة أشهر، ولم أدر ما الذي يجب أن أفعله، فصعدت فوق غرفة العمليات، وحينما اقترب الرعاة بدأت أشعر بالخوف.

س: ما هي المسافة الفاصلة بينك وبينهم؟ وما الذي يعنيه الخط الأبيض والخط الأحمر؟ ماذا قالوا لكم عنهما خلال التوجيهات؟

ج: الخط الأبيض على بعد مائة متر، والخط الأحمر على بعد خمسين متراً.

س: هل هذان الخطان واضحان وتوجد علامات تدل عليهما؟

ج: لا، لم توضع أية علامات، لكن الموقع دائماً يقوم على منطقة مرتفعة، وبداية الخط الأحمر، هو بداية صعود الجبل نحو الموقع، أما الخط الأبيض فهو أبعد. ولا أعرف فيما إذا كانت هناك ضرورة أو لم تكن، لأن الفلسطينيين ما كانوا يصلون إلى الموقع، ومسألة الرعاة كانت مرة واحدة.

س: إلى منطقة الموقع؟

ج: نعم، بل حتى للمكان كله، لقد كانت منطقة الموقع كلها منظمة تدريبات، وخصوصاً قبل الكمائن التي كنا ننصبها، لقد كان المكان آمناً إلى الدرجة التي لم توضع أية حراسات على التدريبات رغم أنها كانت تجري خارج السياج، في منطقة مفتوحة، وكان هناك حارس قريب يشاهد ما يحدث، لكنه لم يكن يجد شيئاً ليراقبه.

س: ما هي أوامر فتح النار؟

ج: الخطوط البيضاء تتطلب الصراخ، والحمراء إطلاق نار.

س: إلى أي حد قريب؟

ج: إطلاق النار كان يتم على الساقين وأسفل. فلم يبد لي منطقياً أن أطلق النار من أجل القتل. ولا أعتقد أن أي جندي كان سيطلق النار من أجل القتل، رغم أن أي مخرب يستطيع زرع عبوة ناسفة. والحقيقة أن الرعاة وصلوا إلى بعد خمسة عشر متراً من الموقع وجاء قائد الموقع وأبعدهم، لكنه لم يوجه إلي إنذاراً جراء انتهاكي للأوامر، لقد كان بعض الفلسطينيين يدخلون إلى (المواصي) رغم أنه كان يحظر دخولهم إلى قطاع واسع من المواصي، وكنا نخرجهم من هناك، كنا نرافقهم خارج المواصي ونقول لهم أن لا يعودوا ثانية.

***إطلاق نار على المنازل**

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: جبعاتي.

مكان الحادث: قطاع غزة

س: هل حدث أن أطلقتم ناراً وقائية على المنازل الفلسطينية؟

ج: نعم. مرة واحدة، وأعتقد أن ذلك حدث بعد أسبوع أو أسبوعين من مقتل المستوطنة شلهيبت باز – طفلة في الشهر العاشر من العمر قتلت على أيدي قناص فلسطيني في منطقة الخليل أطلق النار على سيارة والديها عام 2001، وأنا لم أكن في الموقع، بيد أن زملائي قالوا لي أن أحد جنود المدارس الدينية قام بإطلاق نار بشكل عشوائي على المنازل نظراً لأن مخربين قاموا بإطلاق نار عشوائي على مستوطنة نتساريم.

وقد كان من المفروض أن ترد المواقع على مصادر النيران وليس على المنازل، لكن جندي المدرسة الدينية المذكور أطلق النار على حي فلسطيني يقع شمالي نتساريم صارخاً: أن هذه النيران هي رد انتقامي لمقتل شلهيبت باز.

س: هل علمتم أن نيرانه ألحقت أضراراً أو إصابات؟

ج: لم نسمع شيئاً حول ذلك، لكنني أقدر أنه حدثت أضرار.

س: هل حدث تحقيق في هذا الحادث؟

ج: أعتقد أن زملاءه اسكتوا الحادث، ولم يتم إعلام أي مسؤول بذلك، وقد تحدث إليه بعض زملائه بغضب جراء ذلك، وقالوا له إذا تجرأ على تكرار ما فعل فسوف يخبرون عنه.

*القناص

الرتبة: رقيب أول

الوحدة لواء جبعاتي

مكان الحادث: قطاع غزة في نهاية 2003

تواجدنا في موقع (جيريت) مع سرية الإسناد، وكان هناك قناص فلسطيني يجلس فوق موقعنا طيلة الوقت، وكان كل يوم يطلق النار على الموقع، وقد أصاب ذات مرة نائب قائد السرية في يده، وأصاب آخر ولم نتمكن من معرفة المكان الذي يطلق منه النار ثلاث مرات يومياً صباحاً وظهراً ومساءً وقد صدرت إلينا الأوامر، أنه في كل مرة يطلق رصاصة، يجب أن نرد بكرة نيرانية، أي أن يقف الجميع معاً، ويطلق كل منهم رصاصة، خصوصاً وأن الموقع يطل على كل محور فيلادلفي ورفح.

س: ما هي المسافة الفاصلة بين الموقع ورفح؟

ج: 800 متر، والموقع مرتفع لذا كنا نشاهد جميع المنازل، وقد أمرنا بأن لا نطلق النار باتجاه النوافذ كي لا نصيب أحداً، بيد أن الأوامر لم تكن مشددة، ولم يستجب الجنود لها، وعندما كان القناص يطلق النار كنا نطلق النار من الرشاشات دون تمييز، بل كان هناك جنود يوجهون عياراتهم النارية باتجاه النوافذ.

س: هل كان القادة والضباط على علم بذلك؟

ج: نعم، وأنا أيضاً كنت أطلق النار بصورة عشوائية دون أن أنظر إلى أين أطلق النار.

*يطلقون النار لكشف المسلحين

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: الكتيبة (55) سلاح المدفعية

مكان الحادث: حاجز شيكد

كان قائد السرية وقائد غرفة العمليات يذهبون إلى قرية (يعبد) لإطلاق النار على الهوائيات وذلك في إطار العمليات الروتينية وكي يثبتوا أن الجيش موجود نوع من استعراض الوجود، ولم أفهم أبداً لماذا يعتبرون هذا جيداً، لم يكن ضابط عادي يجرؤ على فعل ذلك بيد أن قائد السرية وقائد الكتيبة كانا يطلقان النار على هوائيات التليفزيونات وفوانيس الإنارة في الشوارع. وذات مرة قيل لنا أن هناك مخربين في يعبد، فقام جنود الوحدة بإطلاق النار على مداخل المنازل، فرد المسلحون عليهم بالنار، وهكذا عرفوا أين هم.

*كانت تدمر السيارات

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: دورية لواء الناحل

السيارات الحربية المدرعة تدهس الكثير من الأشياء وقد أتيحت لي الفرصة لأن أشاهد ذلك كان لي صديق قاد ناقلة جنود مدرعة إبان خدمة الأغرار، أي قبل سنتين، وتنقلنا أنا وهو كثيراً بين الوحدات، وفي إحدى الوحدات قالوا له: أنت تستطيع قيادة مدرعة، إذا أنت الآن قائد مدرعة لدينا، هذا رغم أنه نسي كيف يقودها، ولم يستطع السيطرة على المدرعة، التي أخذت تنحرف منه يميناً وشمالاً على طول الشارع صاعدة فوق السيارات الواقفة دون قصد، بل وفي منطقتي رام الله وجنين قام بصدم أعمدة كهرباء والإطاحة بها.

***تدمير من أجل الهدف**

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: عوكتس

س: حينما بدأتم في عمليات التمشيط، هل وقعت عمليات سلب ونهب؟

ج: لا، أنا لم أر شيئاً كهذا، بيد أنني سمعت عن حالات كثيرة جداً.

س: أين؟

ج: لواء جولاني الكتيبة الحادية والخمسين، والكثير جداً من الحالات، لقد قال لي جنود أنهم خلال عملية السور الواقي أخذوا ديسكات حاسوب وحواسيب هذا رغم أن الأوامر كانت تنص صراحة على أن التدمير مسموح، أما السرقة ممنوعة.

س: ماذا يعني ذلك؟

ج: أي أن ما حدث هو أن الجنود سرقوا.

س: ما الذي يعنيه القول: يسمح بالتدمير؟

ج: أنت دخلت إلى الحرب، إذن يسمح لك بالتدمير من أجل الهدف، لقد أطلقنا النار على المقاعد من أجل المهمة.

س: هل يسمح لي بقلب خزانة؟

ج: من أجل المهمة، نعم، كي تتأكد أنه لا يوجد بين الملابس شيء، ولا خلف الخزانة، لكن السرقة ممنوعة.

س: وأين حدود ذلك؟

ج: كان بعض الجنود يفعلون ذلك من أجل المتعة يطلقون النار على التليفزيون، وقد قال لي أصدقاء من لواء جولاني، أنهم يصعدون إلى أسطح البنايات في نابلس ويطلقون النار على الحمامات الشمسية، وخزانات المياه ليروا كيف يتسرب منها الماء، وهناك أناس سرقوا ديسكات حاسوب ودولارات.

***من ناحيتنا هو مخرب**

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: جبعاتي

مكان الحادثة: غزة

سمعنا في الراديو ونحن في غزة عن وقف النار، وبعد قليل وصلتنا أوامر فتح النار الجديدة.

س: كيف كانت أوامر فتح النار الجديدة؟

ج: كانت أكثر شدة.

س: كيف؟

ج: على سبيل المثال محور كارني نتساريم، هناك نقطة يجب أن نطلق النار باتجاه من يصل إليها.

س: باتجاه أو على من يقترب منها؟

ج: إذا اقترب أكثر مما ينبغي، أي عشرين متراً مثلاً نطلق النار عليه، وكل فلسطيني يحاول اجتياز الشارع هناك يجب إطلاق النار لقتله، لأنه إذا حاول اجتياز الشارع، فمن الجائز أنه يحاول زرع عبوة ناسفة والعبوات هناك كانت تزرع بكثرة، لذا كانت أوامر فتح النار صارمة.

س: هل حدث شيء من هذا القبيل؟ هل كانت هناك تعليمات تتعلق بالفلسطينيين الذين يراقبون نتساريم؟

ج: نعم، يجب الإعلام عن كل من يحاول المراقبة من قبل الفلسطينيين، وأعتقد أنه يتوجب إطلاق النار عليه فكل من يقوم بالمراقبة هو مخرب، لكنني لا أتذكر بالضبط الأوامر آنذاك.

*كي يعرفوا أننا هناك

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: المدرعات

مكان الحادثة: نابلس.

انتقلنا إلى مجدلايم في مستوطنة أرئيل، وكنا نقضي هناك وقتاً طويلاً، وكنا نطلق بين الفينة والأخرى صليات طويلة من أسلحتنا الخفيفة.

س: إلى أي اتجاه كنتم تطلقون النار؟

ج: إلى قرية مجدل بني فاضل الواقعة على بعد عشرة أمتار من الكروم، كنا نطلق النار على الأسوار كي نحول دون أن يناموا.

س: ماذا يعني ذلك؟

ج: كي نردعهم وكي يعرفوا أننا هناك، وأحياناً كنا نتوجه نحو القرية بالدبابات. وفي موسم قطف الزيتون كنا أحياناً نسمح للفلسطينيين بالوصول إلى حقلهم لقطف الزيتون، وأحياناً لا نسمح لهم بذلك، لقد كان رجال المخابرات يسمحون لهم ثلاثة أيام في الأسبوع بقطف زيتونهم، وحينها كانت عائلات بأكملها تتوجه إلى الكروم.

*دبابات تدمر السيارات

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: الناحل

دخلت معنا في عملية الاقتحام دبابات ومدرعات، وأنا أعتقد أنها صعدت بصورة مقصودة فوق السيارات.

س: صعدت عليها بصورة مقصودة؟

ج: لقد شاهدت ذلك بأم عيني من المدرعة. لقد شاهدت ذلك وأنا أنظر من الدبابة، فقد سمعنا بصورة فجائية صوت سيارة تتحطم، فنظرت ولا أدري فيما إذا كانت إلى جانب الطريق أم لا. وعلى أية حال لا أستطيع أن أفهم كيف تعلو دبابة على سيارة في الوقت الذي أمامها طريق مفتوح؟

*نيران حية على المحرضين

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: المظليين

قام قناص من وحدتي بإزالة شخص، ولا أذكر بالضبط كيف حدث لكنه قتله، أطلق النار على جسده.

س: هل كانت الأوامر تنص على إطلاق النار على الكتلة الجسدية؟

ج: في بداية الأحداث في الضفة صدرت الأوامر على هذا النحو، إطلاق النار الحية على الملثمين وقتلهم.

س: نيران حية للقتل أو على الساقين؟

ج: لم يحددوا ذلك بالضبط، لكن الجنود تخلوا عن ذلك بسرعة لأن القرار بدا غبياً، وقد توصل الجنود إلى استنتاج مفاده أن هذا الوضع ليس منطقياً ولا موضوعياً.

*ما يؤلم قلبي

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: المظليون

لنبدأ بالأمور التي تود الحديث عنها، والتي تثقل على قلبك، وأريدك أن تروي لي كل شيء ما الذي حدث، وما إحساسك آنذاك، وما هو تفكيرك الآن.

ج: إن أكثر ما يضايقني وآذاني في كل هذه الرواية هو مدى رخص الحياة البشرية في المناطق المحتلة، ولا شك أنني لا أعني الإسرائيليين، لقد قتل أحد زملائي في الوحدة، وحينها

ستجدك تقول لنفسك: لقد ذهب إنسان، انقطعت حياته، بكل ما فيها من مناح، ما الذي كان يريد أن يفعله، وما كان عليه، وما الذي كان يريده، أصدقاءه .. الخ.

لقد أدركت ما معني موت إنسان، وفجأة وجدتني أسأل نفسي: وماذا عن جميع الفلسطينيين الذين نقتلهم؟ لقد قتل طاقمي ستة فلسطينيين أبرياء، أو على الأقل في مكانة أبرياء، وقد قتل قسم منهم خطأ، حقاً خطأ، لكن ما الذي تعنيه كلمة خطأ؟ اذهب إلى أسرته، وقل لهم: آسف، لقد قتلنا زوجك، أو ابنك أو شقيقك أو جدك خطأ، هل تعرف لقد تم إعدام أشخاص فلسطينيين بأوامر حسب رأيي أنها غير شرعية.

*لا قانون، لا نظام، لا تحقيق

الرتبة: ملازم ثانٍ

الوحدة: لواء جولاني

مكان الحادث: نابلس

سمعت جندي في وحدتي يفاخر بأنه قتل صبياً فلسطينياً أثناء العمليات التي قمنا بها في نابلس، وعندما أدركت أن لا أحد اهتم بمتابعة هذا الجندي من القيادة، أردت التوجه إلى وسائل الإعلام، وتحدثت مع أحد الصحفيين الذين أعرفهم فقال لي: بمقدوري أن أنشر هذه الرواية، بيد أنها ستكون بمثابة جدل بين أقوالك وأقواله، ونظراً لأن روايات من هذا القبيل لا تجري تحقيقات حولها، ونظراً لأن أحداً لا يتطرق إليها بصورة رسمية سواء أكان ذلك قبل العملية أو بعدها، فإن الأمر سيبقى كما قلت لك كلمتك مقابل كلمته.

وإذا كان واضحاً للجندي بأنه يتوجه للقيام بعملية ما وأنه لا وجود للقانون، ولا أحد يفرض النظام، ولن تجري تحقيقات بعد ذلك، فإن مثل هذه الشهادات ستكون بمثابة لغو وثرثرة، إلا إذا كان لديك وثائق مكتوبة.

س: ألم تكونوا تجرون تحقيقات؟

ج: لم نكن نجري أية تحقيقات كانت بمثابة ذر للرماد في العيون، كنا نجري تحقيقات أوتوماتيكية، فلو أجرينا على سبيل المثال تحقيقاً في حادثة وقعت على حاجز فإن التحقيق لم يكن يتجاوز قراءة ورقة ملصقة في مكان ما.

س: توجيهات؟

ج: نعم، ورقة توجيهات، أما إجراء تحقيقات بعد الحادث بمعني التحقيقات، فلم يكن شيء من هذا القبيل. والمبرر دائماً أنه لا توجد طاقة بشرية، لا يوجد وقت لم تكن تجري أية تحقيقات في السرية، ولا الوحدة، ولا في الكتيبة.

*غسيل قذر

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: الكتيبة (101) لواء المظلات

مكان الحادث: الخليل

ألقى الفلسطينيون الحجارة علينا، ورددنا عليهم بالعيارات المطاطية، وفجأة سمعت صوت إطلاق عيارات نارية حية من موقع المراقب الإسرائيلي في أعلى الموقع، وفجأة خرج ضابط من شعبة التنسيق والارتباط، وتوجه إلينا قائلاً: هل أطلقتم عيارات نارية حية؟ فرد الجنود عليه قائلين: لا، نحن لم نطلق عيارات حية؟ ولم أكن أستطيع الوشاية بهم، فهم جنود قدامى، ولو أنني وشيت بهم فسوف ينكلون بي في السرية بعد ذلك ، لذا سارعت للقول: لا، لم نطلق عيارات حية، هذا يخيل لك.

-الضابط: ما الذي يجري هناك في الأعلى؟

-أنا: لا أدري لقد قلت الحقيقة، لا أعرف شيئاً، لا تسألني.

-الضابط: لكن ضابط الارتباط الفلسطيني قال لي: أنكم تطلقون عيارات نارية، وأن أحد الشبان أصيب بعيار.

-أنا: لا أعرف، لا أعرف شيئاً.

وفجأة قدم نائب قائد السرية، وقائد السرية وسألوا: أنتم تطلقون ناراً حية؟

-الجنود: لا، هل تعتقد أننا أصبنا بالجنون، إننا لم نطلق حتى عيارات مطاطية.

ويصعد قائد السرية إلى المراقب، ويصرخ فيه قائلاً: "لقد أطلقت عيارات نارية، لكنه يرد عليه نافياً ويقول أنه لم يطلق عيارات نارية أبداً.

سارع قائد السرية إلى جهاز التسجيل السينمائي الموجود في موقع الرقابة، وشغله، ودعا باقي الضباط قائلاً: تعالوا إلى هنا، وعرض الشريط حيث بدا فيه جندي الرقابة وهو يعد بندقيته للإطلاق، ثم يطلق أول عيار ناري باتجاه شاب في العشرين كان يقوم بإفراغ حمولة من سيارة لكنه لم يصبه، فأطلق النار مرة ثانية ثم ثالثة، ولم يصبه، وفي المرة الرابعة أصابه في ظهره، فسقط على الأرض، وقد قيل لنا بعد يوم أنه توفي متأثراً بجراحه.

هناك إجراء معروف في السرية يقول: يجب الحفاظ على (الغسيل القذر) بيننا، لذا قرر قائد السرية إسكات القضية، وإخفاء الحقيقة، وأخذ الشريط وأخفاه، وأمر بسجن الجندي (35) يوماً، ثم عاد إلى السرية بعد ذلك وكأنه لم يفعل شيئاً.

س: هل تود القول: أن هذه الرواية لم تصل إلى قائد الكتيبة؟

ج: أنا واثق بأنها وصلته، بيد أن الكتيبة قررت إخفاء الحقيقة، وعدم إعلام أحد بما حدث، ولم يصل الأمر إلى وسائل الإعلام، ولم يعلم أحد أن إنساناً قتل عبثاً رغم أن السرية كلها كانت تعرض ما حدث، بل أن الجندي أخذ يفاخر بما فعله حينما عاد إلى السرية.

*لم أفكر حينما فعلت ذلك

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: سلاح المدرعات

مكان الحادث: عام .. رام الله، غزة

س: ما الذي تعنيه بفوضى مجنونة في المناطق المحتلة؟

ج: فوضى مجنونة، كنت في السرية الميدانية (ش) ومن الجدير بالذكر أنه لا وجود لأي نوع من الضبط أو الربط أو الكوابح في هذه السرية، كل شخص فيها يفعل ما يحلو له، بما فيهم أنا

كنت أفعل ما يحلو لي، وأن تفعل ما تريد على سبيل المثال في رام الله لديك الإمكانية بأن تسير بدبابتك على الطريق، وفي هذه الحالة يوجد لديك طريق، ويوجد سيارات على جانب الطريق، ويمكنك أن تختار المكان الذي تسير عليه بدبابتك، كأن تصعد فوق سيارة واقفة، وأنا لا أتحدث معك عن دبابة أو دبابتين تقوم بذلك بل أتحدث معك عن عدد كبير جداً من الدبابات، لقد عملت مع العديد من قادة الدبابات، وكلهم كانوا على هذا النحو، وفي رفح عندما كنت استيقظ من النوم كنت أفرغ مخزن ألفين.

س: ما الذي تعنيه بمخزن ألفين؟

ج: مخزن ألفين يعني ألفي عيار ناري لرشاش جماعي لقد كنا هناك نتعرض للكثير جداً من حالات إطلاق النار والقنابل اليدوية والصواريخ، لذا صدر أمر بأن تقوم كل دبابة بين الحين والآخر بإطلاق رصاص مدافعها الرشاشة باتجاه أحد الأسوار كي لا تصيب العيارات المنازل أو أي شيء آخر، بيد أن الحرية التي كنا نتمتع بها كانت تجعلنا نطلق الكثير من العيارات النارية، ومخزن ألفين هو عبارة عن ألفي رصاصة في جنزير واحد، وأنت تطلقها مرة واحدة على مدينة كاملة، على المنازل والأبواب، ولست الوحيد الذي كنت أفعل ذلك، لقد كان الكثيرون جداً يفعلون ذلك، لماذا؟؟ لا أدري، ولا أستطيع التبرير.

س: ما الذي فكرت فيه حينما فعلت ذلك؟

ج: لا أعرف، كنت في الدبابة، ولم أفكر في الحياة وأنا في الجيش لم أفكر أبداً، وحينما كنت أعود إلى البيت كنت أروي ذلك لأصدقائي أن ذلك يعني أنني لم أكن أخجل مما أفعله كنت أفعل ما يقولونه لي، وإضافة إلى ما يقولون لي، كان الجميع يفعلون ذلك، هذا الوضع مقبول وكان الضباط والجميع على علم بما أفعل، ولم يسبق لأحد أن قال لي: لا تطلق النار هنا أو هناك، وأنا لم أكن أفكر أبداً قبل أن أطلق النار أو أقوم بأية ممارسة من هذا القبيل.

٭خربت المنزل بكامله

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: أجوز

مكان الحادث: نابلس

كانت هناك حالات فجرت فيها ستة أبواب، لقد كنت أخرب، ولنقل أنني ما كنت أعرف ما يوجد خلف الباب، كان باباً صغيراً جداً، وقد خربت كل ما كان في الداخل، لقد خربت كل البيت، كان ذلك في نابلس، وقد فجرت باباً.

س: متى كان ذلك؟

ج: أعتقد خلال آب 2003، أو أيار 2003 وفعلت ذلك لأول مرة قبل ذلك؟

س: هل كان ذلك خلال كانون الأول؟

ج: نعم، كان الجو بارداً، وكان ذلك في البلدة القديمة في نابلس، في شارع سلم يعقوب، ولم يكن هناك أحد في الشارع، وقد عثرنا هناك على معمل لصناعة المتفجرات، فقمنا بتفجير جميع أبواب المنازل في الشارع، لقد كان عملاً مجنونا، فقد فر سكان الشارع كله من الجيش حينما داهمه، لقد قمت بتدمير الأبواب بسرعة كبيرة جداً، كنت أقف ومعي كابل كهرباني وحينما زرع زميلي المتفجرات أمام الباب كنت أقوم بتفجيره باستخدام بطارية.

٭سيارة الأجرة

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: الكتيبة الخمسون، لواء الناحل

مكان الحادث: الخليل

اتصل بنا جندي في أحد مواقع الحراسة في الخليل وقال: أن نيراناً أطلقت باتجاهه، فقال نائب قائد السرية: أريد أن أسمع أصوات الضجة والنار في كل مكان، أطلقوا النار على الأسوار.

وبعد حوالي دقيقة طلب مني أن أطلق النار من رشاش كبير على تاكسي أجرة يقف أمام أحد المباني، وعندما رفضت الأمر أخذ الرشاش وأطلق النار عليها قائلاً: هذه السيارة لن تعود إلى الطريق، وفي اليوم التالي جاء صاحب التاكسي باكياً نظرً لأنه مصدر رزق أسرته.

الباب الثاني

كمائن

***أن تكون أباً وتدخل منزلاً**

الرتبة: ضابط

الوحدة: وحدة خاصة

مكان الحادثة: عنبتا

قام الكمين الذي نصبناه بقتل فلسطينيين جراء قيامهما بإطلاق النار على سيارة إسرائيلية.

س: هل اكتشفتم الكمين وهم يطلقون النار؟

ج: نعم، وحينها أطلقوا النار فقتلوا اثنين في حين فر اثنان آخران. وقد جاء قائد اللواء إلى المكان الواقع غربي مستوطنة حومش، في منطقة عنبتا.

س: هل كان ذلك في أعقاب الحادث؟

ج: نعم، ولم نكن نتسرع، لقد ألقينا قنبلتين يدويتين كي نتأكد من أنهما ميتان، لقد مضى وقت طويل حتى أتى القائد، وقال: أدخلوا إلى المنازل القريبة.

س: هل تود القول أنكم قمتم بعملية تأكد من القتل بإلقاء القنبلتين اليدويتين؟

ج: نعم، وأنا لا أدري لماذا أثاروا كل هذه الضجة بشأن إجراء "تأكيد قتل"، لقد خرج رئيس الأركان من هذه القصة بصورة سيئة.

س: لماذا؟

ج: لأن هذا ما تعلمناه منذ اليوم الأول في الجيش بأنه يجب أن نتأكد من وفاة الأشخاص، وأنا أتذكر ذلك الحادث، وأتذكر أن الشخص الذي نفذ إجراء تأكيد قتل هو قائد السرية، وقد قلت

لنفسي: أن هذا العمل مقزز، لقد سار ببساطة حتى جثتي المخربين، ثم أطلق عياراً نارياً على رأس كل منهما.

س: توجه إلى المخربين، ثم أطلق النار على رأسيهما؟

ج: بالضبط.

س: انتهت العملية، وجاء قائد اللواء، وهو يريد العثور على الاثنين اللذين فرا؟

ج: لا، نحن في الحقيقة لم نسأله عن الأمر، بيد أننا كنا نعرف أن من الضروري إثبات وجودنا، كما أن المنازل كانت بعيدة.

س: أي أنه يريد أن يثبت وجود الجيش في القرية القريبة من الحادث؟

ج: نعم، لقد فروا باتجاه القرية، وقد شاهدهم الجنود بيد أن هذا غير مهم، لقد انتهى الصدام، ومن ثم إلى الخطوة التالية، تأكدوا من قتلهما، ثم استدعوا الناطق باسم الجيش كي يرى الجثتين ويصورهما والسلاح إلى جانبهما.

س: هل هناك وحدة توثيق في مكتب الناطق العسكري؟

ج: لا أدري، كل ما أعرفه أنهم جاءوا لتصويرهم هم وسلاحهم، وكانت لديهم بندقية (ام-16)، لقد جاء عدد كبير من الضباط، وكلهم كانوا يرغبون في التقاط الصور لهم.

س: هل تصوروا مع الجثتين؟

ج: لا، لقد قدموا لمشاهدة ما حدث، فعندما يعرفون أن هناك نجاحاً ما، فإن كل ضابط وكل شخص يرغب في تبني هذا النجاح؟

س: حسناً، جاء قائد اللواء يوسي أديري، ماذا قال؟

ج: طلب أن ندخل بضعة منازل ثم نخرج كي نثبت وجود فقط، وأذكر أننا سألناه: لقد مرت ساعة ونصف على الحادث، هل تعتقد أنهم لا زالوا في المنازل؟ هل هم أغبياء؟ لكن الرواية معروفة، ففي قرية سديروت لا ينامون جراء قصف الصواريخ من غزة، لذا لا يجب أن ينام هؤلاء الفلسطينيون أيضاً.

س: وهل دخلتم؟

ج: لا، لقد تحدثنا مع قادتنا، فأقنعوه بعدم الدخول.

*يطلقون النار على الحمامات الشمسية

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: لواء (401) سلاح المدرعات

مكان الحادث: دير البلح في قطاع غزة

خلال الكمين الروتيني الذي نصبناه أطلق جندي المدفع بإذن من قائد الكمين النار باتجاه الحمامات الشمسية لعدد كبير جداً من المنازل في دير البلح بهدف الردع، أو لأنه أراد أن يطلق النار، وكنا نرى الإصابات الدقيقة للحمامات، وكنا نرى كميات المياه التي تتسرب من الخزانات على الأسطح من الثقوب التي تحدثها العيارات النارية.

*توازن الرعب

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: كتيبة خروب

مكان الحادث: محور الهجرة في جبل عيبال-نابلس.

كانوا يزرعون الكثير من العبوات الناسفة على محور عيبال، وكنا ننصب لهم هناك مكاناً، وقد جاءت الأوامر بقتل كل من يحاول زرع عبوة ناسفة وقد قتلت هناك ذات مرة شخصاً ما، وقد اتضح أنه أحد نشطاء حماس وقد كان يحاول زرع عبوة ناسفة.

س: هل صدرت أوامر فتح النار قبل نصب الكمين؟

ج: كل من يعبر اقتلوه، فالقناص والرامي والمدفع الرشاش لم يكونوا بصحبتنا من أجل الردع، بل من أجل القتل.

س: هذا إذا اكتشفتم أن بحوزته سلاحاً أو عبوة ناسفة؟

ج: لا شيء، إذا جاء إلى المحور، اقتلوه، فلا يوجد أي سبب يدفعه للقدوم إلى هناك، هذا هو ميزان الرعب. وأنا لا أعتقد أن هذا شيء فظيع، بل هو مشروع، وأنا لا أعتقد أن هناك فلسطينياً لا يعرف بأنهم يزرعون العبوات الناسفة على هذا المحور، ما العمل إنها الحرب، وعندما تصبح حياة الإنسان رخيصة إلى هذا الحد، وبمقدورك قتله، فأنت لن تقوم بالاكتفاء بصفعه عندما تقتل شخصاً ما، هل ستتورع عن أن تصفع فلسطينياً على الحاجز في اليوم التالي؟ وفي نفس الوقت لن تغضب إذا ما فعل زميلك ذلك أيضاً.

*هذا شاب سيئ، فعل شيئاً سيئاً

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: المظلات

الاعتقالات تجري إذا عملت مع وحدة محترفة، وقد أتيحت لي الفرصة أحياناً لذلك.

س: ما الذي تعنيه بمحترفين؟

ج: الاحتراف يعني أنهم جاءوا لتنفيذ المهمة وفقاً للتحذيرات التي وصلتنا دون الانشغال بأي شيء آخر إن الاعتقالات هي مسألة بسيطة، وهي أخف وأسهل على الضمائر والأخلاق، فأنت لديك تحذيراً من أن شخصاً ما فعل شيئاً ما، أي أنه ليس بريئاً، فنذهب إلى بيته، وإذا كانت التحذيرات تشير إلى أن لديه معدات حربية، كنا نجري تفتيشاً عن المعدات الحربية وفي هذه الحالة كنا نقوم بتطويق المنزل، وندخل وتجري عملية الاعتقال والتفتيش ثم نغادر.

س: وفي حالات غير المحترفين، ما الذي يحدث؟

ج: حالات عدم الاحتراف حينما لا يربط القائد بين التحذير الذي لديه، وبين ما يفعل، فقد جاءتنا تحذيرات ذات مرة عن شخص يقدم المساعدة للمخربين فذهبنا إلى منزله وقلبنا البيت رأساً على عقب، ثم ذهبنا إلى منزل شقيقه القريب وفعلنا نفس الشيء، رغم أنه لا دخل له بالتحذير.

س: ما الذي تعنيه بقلب البيت؟

ج: نقلب البيت، وفي نفس الوقت يجب أن تنتبه لما يحدث، فذات مرة وضعنا المطلوب في الناقلة مع الجنود، وشاهدتهم يكيلون له الضربات بدعوى أنه شاب سيئ وفعل شيئاً سيئاً.

س: هل التعامل معه في هذه الحالة يقتصر على الصفع أم أكثر من ذلك؟؟

ج: إذا عرفوا أن هناك رقابة، فقد يقتصر الأمر على ذلك، أما إذا عرفوا أنه لا توجد رقابة، فإن الضربات التي سيكيلونها له ستكون خطيرة.

س: هل شاهدت ذات مرة ضرباً جدياً وخطيراً؟

ج: لا، لأنني كنت دائماً أراقب، ولم أفعل ذلك لأوجعوه.

س: عندما كنت قائداً للعملية؟

ج: نعم.

س: لكن ما تقوله يعني أن هناك عملية تنكيل بمعتقل مقيد ومعصوب الأعين؟

ج: نعم، هذا صحيح.

*زرع أسلحة

الرتبة: ضابط

الوحدة: الوحدة الخاصة

س: قلت أنه لا علم لك بمسألة زرع أسلحة؟

ج: نعم، أنا لم أسمع عن شيء من هذا القبيل.

س: قلت أنكم فعلتم شيئاً ما؟

ج: لم تكن النية تتجه نحو إطلاق النار على من يأتي لأخذ السلاح الذي وضعناه هناك، بل إطلاق النار على المسلحين الذين يأتون لمعرفة ما يحدث.

س: لست أفهم، أين حدث ذلك؟

ج: كانت الفكرة تتمثل في التسلل إلى مكان في القطاع وترك بندقيتين من طراز ام-16 غير صالحتين بالقرب من سيارة ما، ثم ألقيام بتفجير شيء ما من أجل إثارة الاهتمام، وقد اتجهت الفكرة أولاً لتفجير سيارة، لكننا في النهاية فجرنا عامود إنارة.

س: أي التسلل وترك السلاح في مكان ما في الشارع؟

ج: نعم، يختبئ الجنود في الكمين الذي ينصبونه في أحد المنازل ويراقبون ما يحدث، ومن سيأتي لأخذ السلاح، لكن أحداً لم يأتِ، لأنه كانت هناك دبابات وطائرات عمودية في المكان.

س: ما هي الأوامر الخاصة بمن يقترب من السلاح؟

ج: لا أدري، لكنني أعرف أننا ما كنا لنطلق النار على من سيحاول أخذ السلاح، بل على المسلحين الذين سيأتون ليروا ما الذي يحدث.

*مخرب ميت يضع ساقاً فوق الأخرى

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: عوكتس

اصطدم بعض الجنود بمخربين خارج الحدود، وقتلوهما ولم يستطيعوا تركهما هناك، لذا اضطروا لسحبهما طيلة الطريق، وكانوا يرتاحون بين الفينة والأخرى، ويضعون المخربين في أوضاع مضحكة ويتصورون معهما.

س: ماذا تعني بأوضاع مضحكة؟

ج: كانوا يتصورون مع الجثث بعد أن يجعلوا الجثة تجلس على الأرض وتضع ساقاً فوق ساق وغطاء فوق الرأس ألعاب فتيان في التاسعة عشرة، أنا أعرف حالة كهذه.

س: هل تعرف حالة تعاملوا فيها مع الجثث؟

ج: لا، أنا أعرف حالات كثيرة قاموا خلالها بتفخيخ الجثث، أي وضع متفجرات فيها.

س: فخخوها؟

ج: نعم، العرب كانوا يفخخون جثث زملانهم، وإذا ما جاء الجنود لتفتيشها، فجروا العبوات الناسفة، ومنذ ذلك الحين بدأنا عمليات تمشيط للجثث.

س: أي أنكم ترسلون الكلاب التي تشم رائحة المتفجرات قبل أن تقتربوا من الجثة؟

ج: نعم، فالكلب يشم الجثة، فإذا ما عثر على شيء ما يقف بجوارهما.

س: والتقاط الصور مع الجثث؟

ج: سمعت كثيراً عن ذلك. وهذا مثير للحماس. فإذا ما حدث اصطدام وقتلت مخرباً، فهذا لا يتاح لكل جندي، لذا يتصور مع الجثة كي يريها لأصدقائه في البيت.

*قسم من فظائع الحرب

الرتبة: ملازم

الوحدة: سرية دورية المظلات

مكان الحادث: مخيم اللاجئين بلاطة-نابلس

الزمان: شباط 2002

كنا في تلك الفترة في مرحلة التدريبات الخاصة بتغيير إجراءات عمل الوحدة الخاصة، أرادوا أن نتدرب بصورة عملية على أرض الواقع، لذا كانوا يجعلوننا ننطلق كل يوم من قاعدة آدام العسكرية للقيام بعمليات في منطقة نابلس، أن نقوم بأعمال القنص حول مخيم بلاطة.

كنا نتوجه كل ليلة نحو مخيم بلاطة، الذي كان معادياً ومن أكثر الأماكن خطورة، كان وكراً لكل ما هو متطرف من العمليات ضدنا، ولم يكن يضاهيه في ذلك سوى مخيم جنين، وكان الحديث يجري في الوحدة الخاصة حول عدد الأسلحة وقواذف الـ "آر بي جيه" الموجودة فيه، وعدد المطلوبين، هناك مطلوبون شديدي المراس، ولم يكن يخطر في بالنا أن بالإمكان احتلال المخيم، كما جري الحديث عن وجود صواريخ قسام في المخيم، وهو الأمر الذي أثار حنقنا ومخاوفنا، لأن وجود صواريخ قسام في المخيم تعني تعريض المستوطنات للقصف على غرار ما يحدث في قطاع غزة.

س: ما هو عمل القناصة؟

ج: كان القناصة يخرجون من القاعدة باتجاه المخيم. لقد كان هناك جانبان للمخيم، الأول من جهة نابلس، والثاني من جهة منطقة قروية زراعية، وكان القناصة يتسللون إلى المنطقة الزراعية، وهي منطقة مظلمة وبعيدة بضع مئات من الأمتار، والقيام بعمل ما يجذب المسلحين إلى أبواب المخيم، كأن تقوم جرافة بالسير باتجاه المخيم ثم الانسحاب، أو توجه دبابة نحو الطريق الرئيسي، وحينها كان المسلحون يأتون.

لقد كان لديهم على أبواب المخيم سيارات، ومواقع محمية بأكياس الرمل يطلقون النار من ورائها على السيارات العسكرية، ورغم أن إطلاق النار من قبلهم لم يكن يؤثر شيئاً في الدبابات، إلا أن ظهورهم يجعل مهمة القناص سهلة، حيث لا يبتعدون عنه مسافة تتراوح بين 250-300 متر، وهي مسافة ممتازة بالنسبة للقناص وللرماة أيضاً.

لقد كنا نقوم بهذه العمليات ليلتين أو ثلاث ليالٍ متوالية وفي كل ليلة نقتل ما بين ثلاثة أو أربعة أشخاص، ونصيب عدة أشخاص بجراح، ويقول قائد اللواء وهو يستعرض عملياتنا لقد قتلت امرأة داخل أحد المنازل جراء عمليات القنص، وفجأة يتوقف قائد اللواء، ويقول: هذا جزء من فظائع الحروب، بيد أن المشكلة بالنسبة لي هي أنه لم يُجر تحقيقاً في الأمر ليعرف كيف قتلت المرأة، بل اكتفى بالقول: أن قتلها هو جزء من فظائع الحرب، وأن جدران المنازل في المخيم دقيقة جداً، للدرجة التي يخترقها الرصاص، ويبدو أن عياراً من أحد القناصة قد اخترقها وقتل المرأة.

إن أكثر ما يضايقني هو أننا واصلنا نفس العمل مع احتمال تكرار ما حدث، دون أن يبالي أحد باتخاذ إجراءات لعدم تكراره من جديد.

*مهمة تحطيم جدران الإنارة

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: الناحل

قمنا بنصب كمين، وكانت الفكرة تقوم على دخول مدرعتين إلى القرية بصورة تحدٍ، في حين نقوم نحن القناصة بإزالة كل من يحاول إطلاق النار على المدرعتين، بيد أن الفكرة لم تنجح،

وحينها قال نائب قائد السرية لنحطم فوانيس الإنارة الكهربائية، كانت هناك سبعة أضواء في الشارع، وبدأ الجنود يطلقون النار عليها كي يحطموها بيد أنهم فشلوا، فمن الصعب إصابة ضوء إنارة في الليل لأنك لا تستطيع النظر إليه جيداً.

*كيف تقفز الجثة متلوية

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: لواء جولاني

كان جنود الوحدة يرغبون جداً في الاصطدام مع المسلحين، كنا نخرج كل ليلة في كمائن دون أن نصطدم، لم يكونوا يفكرون في احتمال إصابة جندي منهم، لأنهم علمونا أن نندفع إلى الأمام دون أي تفكير في احتمال الإصابة.

وأخيراً جاء مسلح فقتلوه، وأخذ الجنود يتعانقون بسعادة، وأيضاً قائد السرية ونائبه وقائد الوحدة، لقد تعانقوا بسعادة، وأدركت أن الأمر لم يعد مسألة أيديولوجية وأن المسلح يستحق القتل، بل أن الأمر أصبح بمثابة انتقام وتمتع بالقتل، وقد سعد الجنود أكثر حينما شاهدوا صور الطائرة الصغيرة دون طيار للعملية، وشاهدوا الجثة وهي تقفز وتتلوى.

*أولاد .. وحجارة

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: مجلان

مكان الحادث: الطريق الالتفافي حول حوسان

الزمان: كانون الثاني – شباط 2004

شرعنا بالقيام بعمليات ميدانية ونصب كمائن على محور الطرق، في البداية في منطقة نيفه تسوف، نيفه يائير، ثم عوفرا، والمحور رقم 60 مفترق الشرطة البريطانية.

س: ما هي طبيعة المهمات، ما هو هدف الكمين؟

ج: بشكل خاص الأولاد الذين يرشقون السيارات بالزجاجات الحارقة.

س: ماذا يعني ذلك؟

ج: كان الأولاد يتوجهون كل بضعة أيام إلى محور الطريق، وكانت الأوامر في البداية تنص على أن نطلق النار عليهم قبل أن يرشقوا الحجارة أو الزجاجات الحارقة بغية منعه من رشق الحجر أو الزجاجة.

س: ماذا يعني ذلك؟

ج: منعهم من إلقاء العبوات الحارقة، والحقيقة أنه لا يوجد في الجيش ما يسمى إطلاق نار على الساقين، كانوا يقولون لنا أطلقوا النار على سيقانهم، وإذا قتلوا، لن تعاقبوا.

س: هذا قبل أن يرشق الزجاجة أو الحجر؟

ج: نعم. كان في البداية يحظر إطلاق النار عليه بعد رشقه للحجر، لكنهم عادوا وقالوا لنا: أطلقوا النار عليه بعد رشقه للحجر أو الزجاجة الحارقة.

س: عندما وصلتم إلى حوسان، ما الذي كانت عليه المهمة؟

ج: كانوا يرشقون الحجارة في مطلع عام 2004 على الطريق الالتفافي لحوسان، ولم يلقوا هناك زجاجات حارقة وكانت أوامر إطلاق النار تنص على أنه إذا رفع الصبي حجراً بيديه الاثنتين- أي حجر ثقيل- أطلقوا النار عليه لقتله.

س: وإذا كان الحجر عادياً؟

ج: إطلاق النار عليه كان وقائياً لمنعه من رشق الحجر، كأن نطلق النار على يده أو شيء من هذا القبيل. لقد أصاب عيار ناري ذات مرة عين صبي فأفقده إياها، وفي إحدى الحالات قام قناص بإطلاق النار على صبي.

الباب الثالث

اعتقالات

***وضع الرأس في المرحاض**

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: الناحل

مكان الحادث: عطيروت

الزمان: تشرين الأول 2000

اعتقل الجنود صبياً في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من العمر بتهمة رشق الحجارة، وقد أدخلوا الطفل إلى الحمام ودخل معه جندي من زملائي، والذي فاخر فيما بعد بأنه وضع رأسه في المرحاض.

س: في المرحاض؟

ج: نعم، قال ذلك بفخر، ودق رأسه داخل المرحاض، وقد أبقوه في الحمام يوماً كاملاً بعد أن أغلقوا الباب عليه بأمر من قائد السرية كي يعلمه درساً، وبين الفينة والأخرى كان الجندي في الحراسة يدخل إلى الحمام، ويضع رأسه في المرحاض، ويضربه به ثم يخرج، وحينما أخبرني بذلك شعرت بالذهول لقد بدا لي الوضع الجنون بعينه. كان الطفل يبكي وبدا أنه مصاب بصدمة شديدة، فقد وقع بين أيدي جنود إسرائيليين، وكلهم يرغبون في قتله لمجرد أنه رشق حجراً.

*نقطة سوداء

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: المظلات

دخلنا منزلاً، وقام الجنود بتمزيق الأشياء، مزقوا الكراسات التي كانت هناك وألقوها في كل مكان، وكان هناك منظر معلق على الجدار، فقاموا برسم عليه مناظر أخرى عليه بقلم أسود، لقد خربوا المنزل، وكان في الأسفل حانوت، فقاد سائق المدرعة مدرعته حتى صدم باب الحانوت، فكسره، وأخذ الجنود من الحانوت ما أرادوا: بطاريات، وسجائر.

كان المنزل منزل أحد المطلوبين، لذا ضربه الجنود من الداخل، وأنا أعتبر ما فعلناه هناك بمثابة نقطة سوداء.

*كلب حراسة مرتبك

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: عوكتس

مكان الحادث: غزة

س: هل تعرف حالات قام خلالها كلب حراسة بمهاجمة فلسطينيين؟

ج: نعم، وهذا حدث مرات عديدة، إنه كلب حراسة، وهو يشعر بالارتباك لذا يهاجم، وقد حدث أن الجنود طوقوا عمارة في غزة وطلبوا من سكانها مغادرتها، ونظراً لأن الوقت كان ليلاً، فإن بعض السكان لم يسمعوا الأمر. وحينما اعتقد الجنود أن جميع السكان غادروا العمارة، أطلقوا كلب الحراسة داخلها وحينما دخل إلى إحدى الغرف، رأى طفلاً نائماً فهاجمه، وكسر له يديه الاثنتين، وقد لحق به الجندي المدرب، وتمكن من إبعاده عنه، ونقل الطفل إلى المستشفى.

س: هل كان كلباً مهاجماً؟

ج: نعم، كلاب الحراسة منضبطة بنسبة 99%، أما كلاب الهجوم، فتعمل بصورة ذاتية ومستقلة تماماً.

س: هل تجري تحقيقات في أعقاب مثل هذه الحوادث؟

ج: نعم، لقد جرى تحقيق في الكتيبة، لكنني لا أعرف ما حدث تماماً.

*منع تجول

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: سرية دورية جولاني

المكان: جنين

هناك حالة أخرى أعرفها حدثت فيها عملية إطلاق نار دون سبب في جنين، كنا نقوم بعملية اعتقال عادية، وعندما خرجنا من المنزل طلب قائد السرية أن نوقف جميع السيارات، ووقفنا في منتصف السوق وهو يغص بالناس، وطلبنا من جميع السيارات التي قدمت إلى المكان بالعودة من حيث أتت، وترجل قائد السرية وبدأ يصرخ على الناس كي يعودوا إلى منازلهم نظراً لوجود حظر تجول، هذا رغم أنهم لم يكونوا يعلمون بأن هناك حظر تجول، وشرع قائد السرية في توقيف الأشخاص وجمع بطاقات هوياتهم.

لقد بدا الوضع لي مضحكاً، ولم أعرف ما الذي سيفعله بهذه الهويات، وفجأة بدأ يطلق النار على الجدران وعلى الأشياء في السوق لإرغام الناس على مغادرة المكان بسرعة.

وفجأة سمعنا من بعيد صوت عيارات نارية تطلقها دبابة، ثم أطلقت الدبابة قنبلة على أحد الجدران مما أدى إلى مقتل عدد كبير من الناس بدعوى أن هناك حظر تجول، هذا رغم أنه لم يكن هناك حظر تجول ولا علم للناس به.

س: كان هناك على ما أذكر موظف دولي قتل بعيار ناري.

ج: لا، لا، أنا أتحدث عن دبابة أطلقت قذيفة على جدار وإزالته إزالة كاملة وقتلت العديد من الناس بدعوى وجود حظر تجول، ويبدو أن قائد السرية سمع ما حدث، فطالب الناس بالعودة إلى منازلهم.

س: أي أن الحادثين وقعا في نفس اليوم دون أن تكون لكم علاقة بالحادث الأول؟

ج: لم تكن لنا علاقة بحادث الدبابة، لكن ما فعله قائد السرية فعله لنفس السبب.

*طبلة في اليد

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: لواء المظلات

مكان الحادث: البلدة القديمة في نابلس

الزمان: شهر رمضان 2003

كنا نقوم خلال شهر رمضان بعملية اعتقال وكانت أوامر إطلاق النار عادية، أي أنه يجب العمل بإجراء اعتقال مشبوه: أن نطالبه أولاً أن يتوقف، ثم نطلق النار في الهواء إذا لم يستجب، وبعد ذلك نطلق النار عليه، لكننا لا نستخدم هذا الإجراء في أية عملية، بل نلجأ لاستخدام هذا الإجراء بصورة حثيثة: قف وإذا لم يستجب في غضون ثانية ويرفع يديه فوق رأسه، نطلق النار عليه بقصد القتل.

س: لا تطلقون النار على ساقيه أو في الهواء؟

ج: قف، طاخ، في الكثير من الأحيان ما ندخل الشخص الذي نريد اعتقاله في بروتوكولات القتل.

س: قف .. طاخ.

ج: شيء من هذا القبيل، بدأنا عملية الاعتقال، وكان ذلك خلال شهر رمضان، وقد تمترست إحدى القوات في مكان خاطئ جراء فهم خطأ، ولم نعرف ذلك إلا فيما بعد خلال التحقيق، وقد اكتشفت قوتنا شخصاً يقف في شارع فرعي ويمسك بشيء ما في يده، فصرخ عليه الجنود:

قف، لكنه بدأ بالفرار، فأطلقوا النار باتجاهه وطاردوه، ففر إلى الزقاق الذي تمركزت فيه القوة الأخرى خطأ، الأمر الذي خلق وضعا خطيراً دون أن نعرف.

لقد اعتقدت القوة المتمركزة خطأ أن هناك من يطلق النار عليها نظراً لأننا كنا نطلق النار على الهارب الذي فر باتجاهها، وشاهدت القوة الهارب، فأطلقت النار عليه وقتلته، لقد شاهدوا شيئاً ما في يده وخشوا من أن يكون عبوة ناسفة.

لقد قتلوه، وطبقوا عليه إجراء تأكيد قتل، ومثلما هي العادة، ألقوا عليه قنبلة يدوية، ثم أطلقوا عيارات نارية على رأسه.

لقد اتضح أن ما كان بيد الهارب طبلة، وعرفنا أن من العادات في رمضان، أن يقوم شخص بالالتفاف في الشوارع وهو يدق على الطبلة لإيقاظ النيام لتناول وجبة السحور، ونحن لم نكن نعلم ذلك أبداً، ولم تحرص قيادتنا العسكرية على إعلامنا بأن أناساً يخرجون في الساعة الرابعة صباحاً لإيقاظ النيام بالطبلة.

*كنا ملزمين

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: عوكتس-وحدة الكلاب.

مكان الحادث: نابلس

حدث ذلك لي عندما كنت أحاول التسلية وليس المساس بأحد، كنت أنا وثلاثة جنود آخرين، وكانت معنا كلابنا.

س: أين؟

ج: لا أذكر، وقد اجتمعنا بالصدفة في نفس المنزل، وأمرنا أحد المطلوبين أن يجلس في الوسط، وأجلسنا الكلاب حوله، كلبان من كل جانب والتقطنا له الصور وهو يكاد يموت من الخوف، لقد كنا نريد التقاط الصورة له.

س: هل الصورة لديك؟

ج: نعم في مكان ما، لم نكن نقصد إيذاءه، بل مجرد التسلية.

س: وكيف كان وضعه؟

ج: كان شديد الخوف.

س: هل شاهدت الجنود يمارسون أعمال عنف ضد معتقلين؟

ج: تجاه أشخاص اعتقلناهم، نعم.

س: ما الذي حدث؟

ج: قوة من المظليين اعتقلوا شخصاً وجلبوه إلى القاعدة أعتقد كان ذلك في نابلس، وضربوه ضرباً موجعاً.

س: هل حدث هذا بعد أن خرجوا من المنطقة؟

ج: نعم، وقد ذهبوا جميعاً للنوم، وتركوا معه حارساً وهو مقيد لمدة ثلاث ساعات تقريباً، لقد أرغموه على الوقوف كل ذلك الزمن دون حراك.

وذات مرة قمنا باعتقال شخص، ووضعناه في ناقلة الجنود، فقال أحد الجنود: أريد أن أراه وهو يرتدي ملابس عسكرية، وقال له: ارتدي هذه الملابس كان ذلك للتسلية، بيد أنهم لم يقولوا له: أرتد الملابس مثلما أقول لك بالكلام، بل أكثر من ذلك.

*ثلاث عيارات نارية في الرأس

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: أجوز-لواء جولاني

مكان الحادث: منطقة جنين

كان أحد الجنود من سريتي يشارك القوة في عملية اعتقال شخص، وإبان تطويق المنزل، شاهدوا شخصاً ما يركض، كان يركض باتجاه القوة، فطلبوا منه التوقف، لكنه واصل الركض، فأطلقوا على رأسه ثلاث عيارات نارية، وقد اتضح فيما بعد أنه غير سوي، مجنون، وقد كلفه جنونه ثلاث عيارات نارية في الرأس.

*لم يكن إجراء جار، بل طلبنا

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: دورية الناحل

س: هل حدث وشاهدت استخدام إجراء (الجار)؟

ج: طيلة الوقت، لكننا أوقفنا استخدام إجراء الجار، لكننا ببساطة طلبنا من الشاب الذي بقي آخر واحد في البيت قبل أن يخرج: أن يتأكد من عدم وجود أحد في المنزل، وأن يفتح جميع الأبواب ويضيء جميع الأنوار. إننا لا زلنا نعمل حتى الآن على هذا النحو، نطالب آخر شخص يخرج أن يتأكد من عدم وجود أحد آخر في البيت لأننا لا نريد أن نقتل أحداً، كما يجب عليه أن يفتح جميع الأبواب، ويضيء جميع الأضواء في البيت ويفتح جميع النوافذ. والحقيقة هي أننا كنا نريد أن نتأكد من أنهم لم يزرعوا لنا عبوات ناسفة في البيت، رغم أنهم لم يسبق أن زرعوا لنا عبوات ناسفة، وأردنا أن تكون عملية تمشيط البيت أكثر احترافاً.

*عضة كلب

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: أجوز

أذكر حادثة فظيعة، وقد كان بالإمكان الحيلولة دون وقوعها، ولم تكن ضرورية أيضاً أبداً. أحياناً ينضم إلى العملية جندي من مدربي الكلاب ومعه كلبه، ومن المألوف أن يقوم الكلب بدخول المنزل قبل أن نقوم نحن بعملية التمشيط نظراً لأن لديه مقدرة على شم رائحة أبناء الأقليات، وكان يدخل فإذا وجد أحداً من أبناء الأقليات في البيت كان يعضه، وعضة هذا النوع من الكلاب ليست شيئاً عادياً، فنحن نتحدث عن كلب قادر على القتل وقد قام بعملية التمشيط، ثم خرج من باب آخر، واندفع باتجاه العائلة، وعض طفلاً في الثامنة من عمره في يده، لقد شاهدت ذلك، وحاولت إبعاد الكلب عن الطفل دون جدوى، وكي تدرك مدى قوة هذا الطلب، فقد أدت عضته إلى تهشيم عظام يد الطفل،

وبدت يده متدلية ولا يمسكها سوى الجلد، وأنا واثق من أنهم بتروا له يده، لأننا قمنا بعملية (سد لشرايينه) كي لا تندفع الدماء منها، ثم قمنا بنقله إلى المستشفى.

س: وهل تمكنتم من إبعاد الكلب عنه؟

ج: لم يتمكن من فعل ذلك سوى جندي الكلاب وكانت عائلته في حالة هستيريا حقيقية، وبدت أمه كالمجنونة تماماً.

لقد كان الطفل شقيق المطلوب الذي جئنا لاعتقاله وقد سمحنا لوالده بالذهاب معه إلى المستشفى، وقد دعونا طبيب الوحدة للقدوم على عجل لمعالجة يد الطفل قبل نقله إلى المستشفى، وأنا واثق من أنهم هناك قطعوا له يده.

س: هل جرى تحقيق في الحادث؟

ج: لا، لم يجر تحقيق معنا، فلا علاقة لنا بالكلب لأن معه جندياً متخصصاً.

*هو ببساطة ترس بشري لي

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: أجوز

مكان الحادث: نابلس.

س: كيف تبدو عملية الاعتقال؟ ما الذي يحدث؟

ج: بصورة عامة يكلف كل جندي بعمل ما خلال عملية الاعتقال، وقد كانت مهمتي تفجير الأبواب، وهناك عمليتي تطويق للمنزل، حيث يتم تقسيم القوة إلى ثلاث مجموعات، حيث تقوم اثنتان بالتطويق من نقطتين متعاكستين في حين تقوم الخلية الثالثة بالاقتحام، وقد كنت أنا دائماً في مجموعات التطويق، وكانوا يوقفونني بصورة عامة في مكان محدد، ويقولون لي: يجب أن تغطي هذه النقطة، ويشيرون إلى نقطة تبعد أربعة أمتار في حين تقوم مجموعة الاقتحام بالعمل، وأنا أبقى في مكاني حتى يعودوا.

س: كيف تجري عملية الاعتقال؟ ما هي المراحل؟

ج: تصل مجموعة الاقتحام إلى منزل أحد الجيران وتدق الباب.

س: هل تقصد أن المجموعة تستخدم إجراء الجار؟

ج: نعم. وهذا يعني الذهاب إلى أي منزل بصورة عشوائية، وكنا في البداية نرغمه على الذهاب معنا، لكن في أعقاب المشاكل التي ثارت، أصبحنا ندق الباب، وحينما يخرج الجار نوجه إليه السلاح ونقول له: هل تود الذهاب معنا؟ إن الأمر أكثر من إرغام، حيث يرى الجنود وهم يحملون كامل أسلحتهم، وأسلحة موجهة إليه هذا وضع مخيف، وهو يدرك أنه لا يوجد لديه أي خيار كي يقول: لا، فهو يخشى من أن يتورط معنا، فهو يدرك ما الذي نستطيع فعله. ونأخذه معنا، وأنا لا أتحدث الآن عن العدل، فأنت تأخذ ابن أقليات حقاً، لكنه إنسان، وأنت تأخذه كي تقف وراءه بحيث يتلقى الرصاصات التي قد يطلقونها عليه بدلاً منك، وأنت تضع فوهة بندقيتك على كتفه وتسير خلفه، إنه ببساطة ترس بشري لحمايتك.

س: يأخذونه إلى المنزل الذي سيقتحمونه؟

ج: نعم، وهو الذي يفعل كل شيء، فهو الذي يدق الباب وهو الذي يطلب من الجميع الخروج من البيت، وهو الذي يقوم بعملية التمشيط، ويتجول بين غرفة وأخرى، ويفتح جميع الأبواب، ثم يقول: أنه لا يوجد أحد.

س: كم مرة فعلت ذلك؟

ج: كثيراً جداً.

س: متى حدث ذلك، وفي أية فترة؟

ج: حدث ذلك خلال الفترة التي حظروا على جهاز الأمن العام استخدام العنف، وحظروا عليه إرغام المعتقلين على الجلوس جلسة الضفدع وغيره.

س: هل شاهدتهم يفعلون ذلك؟

ج: لا، هذه عمليات تعذيب جهاز الأمن العام، وإذا شاهدت فهم يخشون من أن أقول ما يفعلونه بالمعتقلين.

وبعد أن يقوم الجار بإخراج الجميع كنا ندقق هوياتهم جميعاً، ونفصل الرجال عن النساء والأطفال، أو نضعهم في غرفة خارجية جميعا، ثم نقوم بعملية تمشيط للمنزل للتأكد من أنه لا يوجد حقاً أحد في الداخل.

س: كيف تمشطون منزلاً؟

ج: الأمر رهن بمستوى الحظر الذي يحدد جهاز الأمن العام لعملية التمشيط، حيث يسمح لنا في بعض الحالات بإطلاق النار خلال عملية التمشيط.

س: متى أوقفوا إجراء الجار؟

ج: لا زال الجيش يستخدم هذا الإجراء حتى الآن، لقد توقفوا عنه فترة، ولجأوا إلى الصورة التي أشرت إليها، ثم عادوا لاستخدام الإجراء عام 2003.

س: وعندما عادوا لاستخدامه، قمتم بممارسته؟

ج: بل مارسناه قبل ذلك.

س: كل اعتقال لشخص كنتم تستخدمون إجراء الجار؟

ج: نعم، تقريباً كل اعتقال، عندما يكون من المسموح لك فعل ذلك، فإنك تفعله، فنحن لا نعتقل فقط، بل نقوم بعملية التمشيط أيضاً.

س: حتى سرحت من الجيش، كنتم لا زلتم تمارسون إجراء الجار؟

ج: نعم، كان مسموحاً، وأنا لا أعتقد أن هذا جيد، أنا انتقده.

*نهاية الليلة

الرتبة: رقيب أول

مكان الحادث: البلدة القديمة في نابلس

الزمان: نهاية عام 2003

توجهنا لاعتقال شخص، وفي الطريق أطلقوا علينا النار، وتبادلنا معهم النار، واحتللنا مواقع وأطلقنا النار مرة أخرى، كنا كل نصف ساعة أو ساعة نتعرض لإطلاق النار، لذا لم ننفذ

عملية الاعتقال، قمنا باقتحام منزل واحتللنا موقعاً وبدأنا بإطلاق النار منه دون أن نعرف أين مصدر النيران، وفجأة شاهد جندي شخصاً فوق السطح، فأمر قائد المجموعة بإطلاق النار عليه، ثم لاحظنا وجود شخص في أحد النوافذ فأمر بإزالته، كنا نسمع العيارات النارية في الهواء، ولا ندري من أين مصدرها.

وفي نهاية الليلة كان الحصاد امرأة مصابة بعيار ناري في حلقها من بنادقنا، وامرأة أخرى أيضاً تناهز الرابعة والعشرين أصيبت بعيار آخر، وقد توفيت إثر ذلك.

س: هل لديك فكرة من الذي قتلها؟

ج: لا فكرة لدي، لكن الذي قتلها أحدنا.

*منعوا الصلاة

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: أجوز

المكان: جنين

يجب أن نفهم أن الجيش يمس بسير الحياة العادي للمواطنين الفلسطينيين: فذات مرة قمنا بعملية اعتقال كان ذلك في ساعات الصباح في قرية الزبابدة المجاورة لجنين، وهي قرية كبيرة، اعتقلنا المطلوب في حوالي الساعة الرابعة فجراً، وفجأة شاهدنا رجلاً يسير في الطريق، فأوقفناه وحققنا في هويته، ثم سألناه إلى أين هو ذاهب في مثل هذه الساعة المبكرة؟؟ فقال أنه ذاهب إلى المسجد، لأنه المؤذن، لكن الجنود منعوه من الذهاب إلى الجامع لأداء الأذان، لقد منعنا جميع المصلين من الذهاب للصلاة بدعوى أن هناك حظر تجول لقد قال له قائد السرية ذلك.

س: ماذا قال له؟

ج: عد إلى بيتك اليوم لن تذهب إلى الجامع؟ إن المتدينين في الجيش الإسرائيلي يعتقدون أن كل شخص في السلطة الفلسطينية هو مخرب، ولا يجب أن يعيش هناك، فهذه الأرض لهم، وهو من ناحيتهم مجرم، لذا لا يجب السماح له بالصلاة، كما يعتبرون أن دينه ليس صحيحاً، وهو أدنى منهم.

الباب الرابع

تمشيط واحتلال منازل

***قائد الطاقم**

الرتبة: رقيب أول

مكان الحادث: مخيم اللاجئين الأمعري-رام الله

أصر قائد الطاقم خلال عمليات التمشيط التي جرت في المخيم طيلة اليوم على تفجير الأبواب والبوابات حتى عندما لم تكن أية ضرورة لذلك، ونظراً لوجود الآلات اللازمة لفتح الأبواب، وتنويهنا له إلى ذلك، صرخ علينا قائلاً: اسكتوا، نفذوا ما أقول.

هذا إضافة إلى أنه كان يتوجب علينا أنا والجنود الآخرين السير في أعقابه وإعادة ترتيب الفوضى التي كان يحدثها في الغرف التي يدخل إليها.

***فتح قفل**

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: اللواء 401 سلاح المدرعات

مكان الحادث: مخيم بلاطة.

الزمان: نيسان 2002- عملية السور الواقي

كنا نتجول في الشارع بالدبابة، ووصلنا إلى منطقة مخازن، فقال زميلي في الدبابة أن هناك شكوكاً بوجود مخارط سلاح في المنطقة، وأنه تلقى أمراً بفحص المنطقة ومعرفة ما يوجد في المخازن، ونحن بصورة عامة نأخذ عتله، ويوجد لدينا في الدبابة جميع الوسائل الخاصة بذلك:

عتلات، ومطرقة تبلغ زنتها خمسة كيلو جرامات وجميع الوسائل الخاصة بكسر الأقفال، بيد أنه لم يكن يعرف كيف تستخدم، لذا قال لجندي المدافع أطلق النار من الرشاش الثقيل، وبمقدور جندي المدفع فعل ذلك من خارج الدبابة.

س: هل هناك خطر من نزولكم إلى المخزن وكسر القفل؟ هل كنتم تواجهون نيراناً أو شيئاً من هذا القبيل؟؟

ج: لا، كان الوقت نهاراً، وكان هناك صاحب المخازن، فطلبنا منه أن يفتحها، فقال" أنه لا مانع لديه لكن المفتاح في المنزل، فأرسلناه لإحضاره، وبعد ذهابه قررنا عدم الانتظار وكسر القفل بإطلاق النار، أطلقنا النار من الرشاش لكننا لم ننجح في تحطيم القفل الصغير أو إصابته، فلجأنا إلى مدفع الرشاش الثقيل، وفشلنا رغم أننا كنا على بعد مائة خطوة منه، فتراجعنا بالدبابة إلى الوراء، وأطلقنا عليه قذيفة فجرت المخزن كله.

س: هل فتشتم المخزن لمعرفة ما يوجد فيه؟

ج: لا، نحن لم نفتش، لكن زملائي قالوا لي أنه كان فيه سيارات ولست أدري أهي سيارات مسروقة أم لا.

*طفل يبول على نفسه

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: كتيبة شمشون

مكان الحادث: جنوب جبل الخليل

أود أن أحكي لك حكاية هزتني هزاً عنيفاً، وكنت شريكاً فيها، في أحد المفترقات وبعد أن خضنا قتالاً يومين أو ثلاثة، طلب مني قائد الكتيبة أن آخذ القناصة وأن أصعد إلى أحد المنازل واحتل موقعاً، وأبدأ بإطلاق النار، توجهنا نحو المنزل وقائد الكتيبة يسير في أعقابنا، ودققنا على المنزل ففتحت امرأة، كان البيت فخماً، ولست أدري كيف يمكن أن نوضح لها أننا نود الصعود إلى أعلى المنزل كي نطلق النار من منزلها، هذا في الوقت الذي نسمع فيه دوي العيارات النارية والقتال، وما

كدت أقول لها حتى بدأت في الصراخ والبكاء بصورة هستيرية، وقد جاء قائد آخر وأخذ يوضح لها، فقال له قائد الكتيبة اسمع: لا يوجد لدي وقت للدبلوماسية التي تلجأ إليها ودخل إلى المنزل والجميع وراؤه، ثم صرخ قائلاً: لا تحطموا المنزل، ولست أدري كيف سنفعل، لأنك يجب أن تدخل أجهزة إلى البيت، وشعرت كأنني فيل يدور في محل للصحون، صعدت إلى الأعلى وفتحت الباب فوجدت طفلاً في الخامسة، وقد نظر إلي برعب ثم تبول في بنطاله، تخيل نفسك الآن نائماً في السرير وتفتح عينيك بغتة فترى جندياً يقف فوق سريرك وسلاحه في يده.

في هذه اللحظة لم أفكر في الطفل أو المنظر أو أي شيء يتعلق به، كنت أود الوصول إلى مكان مرتفع مشرف وأجد لي موقعاً فيه كي أواصل إطلاق النار، لكن بعد أن سرحت من الجيش، وجدتني لا زلت أفكر في هذا الطفل، إنه يمثل جوهر الأمر كله، يمثل ما كنت أفعل هناك، وماذا فعلت.

*أولاد فوق المدرعات

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: لواء المظلات

المكان: جنين

الزمان: آذار-نيسان 2003

دخلنا هناك ونصبنا كمائن وقيل لنا أن هذه الكمائن هي ضد المسلحين وضد الأشخاص الذين يصعدون إلى ظهور المدرعات، كنا قد دخلنا جنين لأن الوحدة (51) ذهبت إلى غزة، وكانت المدرعات تتجول طيلة الساعات الأربع وعشرين تحت المنازل وكنا بانتظار أن يصعد الأولاد والرجال إلى ظهر المدرعات في محاولة لأخذ موقع رشاش، وحينها نطلق النار عليهم كانت المواقع التي احتللناها في منازل الحي القديم وكانت المدرعات في الشارع تحتنا.

س: هل تحدثوا حول ذلك بصورة علنية؟

ج: نعم، تحدثوا عن أنهم بانتظار من يحاول الصعود إلى إحدى المدرعات، وفي هذه الحالة تصبح أوامر فتح النار: أطلق النار بقصد القتل.

س: هل كانت المدرعات واقفة أو تسير؟

ج: كانت تسير، وبعد يوم أو يومين صعد صبي في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة على إحدى المدرعات، وقد ثار الكثير من اللغط حول عمره، حيث قيل في البداية أنه في الثامنة، ثم قيل في الثانية عشرة، وما كاد يصعد إلى المدرعة حتى قام قناص بقتله، وقد وقع حادث آخر في السرية الأخرى حيث قتل قناصها صبياً آخر.

س: هل بدا القناص مسروراً جراء ذلك؟

ج: لقد شخص مسلحاً، وصوب إليه بندقيته وقتله، ثم قفز من فوق وهو يصرخ بسرور: لقد قتلته لقد قتلته، وفي اليوم التالي حينما قالوا لنا أنه كان صبياً في الثانية عشرة كان الأمر صعباً بالنسبة له.

وقد قال بعض الجنود أن هذه العمليات الرامية لقتل الأولاد لا لزوم لها، في حين قال البعض الآخر: بل إنها جيدة جداً.

س: ما هو هدف هذه العملية؟

ج: الدخول سيراً على الأقدام إلى جنين، واقتحام منازل قوة صغيرة، فقد كنا حضيرة مؤلفة من اثني عشر جندياً وتحتنا تمر المدرعات كطعم للمسلحين والمخربين، وعندما نلاحظ وجود مسلحين أو أي أحد يحاول الصعود على المدرعة، يجب أن نقتله، وسرعان ما أدركنا أن المسلحين لن يخرجوا، لأنه لا يعقل أن يخرج مسلح في الوقت الذي يصول ويجول في المكان كل هذا العدد الكبير من المدرعات. لذا انصب العمل ضد الأولاد، أو أي أشخاص يحاولون الصعود على المدرعات، لقد فهمنا ذلك من حديث الضباط وقد قال بعضنا أن هذا لا لزوم له.

س: هل كان معكم في المنزل ضابط؟

ج: كان معنا في المنزل ضابط صف ونائب قائد السرية.

***أسبوع كمائن**

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: مجلان

المكان: نابلس

الزمان: كانون الأول 2003.

س: ماذا فعلتم في أسبوع من الكمائن؟

ج: مكثنا يومين أو ثلاثة في أحد المنازل، كل الطاقم، كانت عملية كبيرة في نابلس استغرقت عدة أسابيع. وأعتقد أننا وصلنا في نهاية العملية، أنت تدخل إلى منزل تدرك أن لا ذنب لأصحابه سوى أن منزلهم يقع في منطقة مطلة على الشارع، وندرك أن الجنود دخلوا إلى هذه المنازل عشرات المرات، ففي كل مرة يريدون القيام بعملية ما، يحتلون نفس المنزل نظراً لأن بالإمكان المراقبة منه بصورة جيدة، والفكرة تقوم على نصب الكمائن في المنازل وقتل المسلحين منها.

لقد كنا شديدي التوتر من العملية، فنحن لم نفعل ذلك قبلاً، وقد أوضح لنا القادة ما الذي يجب أن نفعله في الكمائن، لم يكن علينا فعل الكثير بمجرد الوصول إلى المنزل الكمين، فقد وضعوا العائلة كلها في غرفة واحدة وأغلقوا عليها طيلة أربع وعشرين ساعة، لقد كان واضحاً لنا أنه لم تمض ساعة واحدة حتى كان الحي بأكمله يعرف أين نحن، لذا لم يكن من المتوقع وقوع أية أحداث سوى رشق الحجارة، ولم تكن أوامر فتح النار تسمح لنا بإطلاق النار على راشقي الحجارة إلا إذا كان الحجر كبيراً ويمكنه أن يعرضك للخطر.

إذا أمسك الحجر بيديه الاثنتين فإطلاق النار للقتل. وفي إحدى الحالات أمسك صبي حجراً فأطلق القناص الرصاص على ساقه، وقبل أن يدرك أنه أصيب أطلق النار على ساقه الأخرى.

***جهاز لاب توب**

الرتبة: ملازم

الوحدة: الكتيبة 932 لواء الناحل

مكان الحادث: رام الله

الزمان: نيسان 2002 عملية الجدار الواقي

عثرنا خلال تفتيشنا لمبنى مؤلف من سبعة أو ثمانية طوابق على شقة مغلقة، وقد أدى الاستخدام المبالغ فيه للمتفجرات-بسبب انعدام التجربة- إلى إلحاق أضرار جسيمة بالشقق المحيطة إبان تفجير باب الشقة، كما أدى إلى تفجير جميع أنابيب المياه في المبنى والنوافذ.

أما غرفة مدخل الشقة المغلقة فقد دمر تماماً، أجرينا تفتيشاً وغادرنا المكان وعندما غادرت الشقة شاهدت جهاز (لابتوب) موضوعاً على جهاز التليفزيون في الصالون، وبعد عدة ساعات من قيام القوة التي تحت قيادتي بتمشيط المكان وصل إلى هناك رئيس عمليات الكتيبة 932 المقدم حنان ليبني.

وعندما سألوني عن الأضرار الكبيرة التي أصابت المبنى، سألوني أيضاً عن التلفزيون المكسور وعن الحمام المحطم، وعندما سألت قالوا لي: أنه لم يكن هناك جهاز (لاب توب) فوق التليفزيون.

لقد أدركت أن القوة التي وصلت بعدي إلى الشقة سرقت (اللاب توب) وكسرت التليفزيون وحطمت غرفة الحمام وصالون الشقة.

*بعد ستة أيام في نابلس

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: أجوز

المكان: نابلس

س: هل سبق أن أطلقت النار من داخل منزل باتجاه أماكن مشبوهة؟

ج: نعم، حدث لي، فقد أطلقت النار على كوخ من وراء جدار كنت أختبئ خلفه في نابلس في مخيم للاجئين، ووصلنا إلى منزل كبير، دققنا على الباب بيد أن أحداً لم يفتح لنا، فقررنا تفجير الباب، ووضعت أنا مواد متفجرة لا تناسب تفجير الأبواب، بل مواد متفجرة تناسب تفجير الألغام، وتتطاير منه الكثير من الشظايا، ويبدو أن شخصاً ما كان داخل البيت ولم يفتح لنا، وقد أصابته إحدى الشظايا في فخذه من الداخل وخصيتيه.

وبعد أن فجرنا الباب ولم نمشط المكان، لذا لم نعرف بما حدث، فقد كنا منهكين بعد ستة أيام في نابلس، جلسنا في إحدى الغرف، وفجأة خرج علينا وهو ينزف، وبالكاد أدركنا من أين جاء وما الذي حدث.

*أكثر قرباً أكثر تأكيداً

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: دورية الناحل

س: هل حدث أن قمت ذات مرة بتأكيد عملية القتل؟

ج: نعم.

س: ما الذي كان هناك؟

ج: جثث مخربين، أحدهم في رام الله، حيث اصطدم معه جنود الكتيبة الخمسين، وأعتقد أن ذلك كان إبان عملية السور الواقي، كان البنيان يغص برجال الشرطة والأمن الوقائي الفلسطيني،

وقد أصيب جنديان من الكتيبة الخمسين خلال الصدام، فتراجعوا ولم يعرفوا ما هو الوضع، كان هناك خمسة مخربين أو رجال شرطة فلسطينيين في غرفة يرتدون الملابس المدنية ويحملون كلاشينكوف ومسدسات.

وقبل أن ندخل إلى الغرفة شاهدنا أناساً منبطحين على الأرض ولم نعرف ما الذي حدث لهم. وفي هذه الحالة من يعرف قد أمر بجوارهم فيفجرون حزاماً ناسفاً، أو يلقون قنبلة يدوية، لذا يجب عليك أن تطلق رصاصة على رأسه، وكلما كنت أقرب إليه كلما كان ذلك أكثر تأكيداً.

*حطم جدار منزله

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: الهندسة

مكان الحادث: قطاع غزة

غالبية عملي تمحور حول عمليات الاعتقال، وكانت هناك عمليات متواصلة ومثيرة للمشاكل، وقد دخلت نابلس ثلاث مرات في آب 2008 حيث قمنا بعمليات تمشيط في شارع سلم يعقوب داخل البلدة القديمة، وكانت غالبية عمليات التمشيط التي نقوم بها من بيت لبيت تمر عبر الجدران.

س: كيف كنتم تفعلون ذلك؟

ج: باستخدام المطارق، ويمكنني القول أن هذه كانت إحدى أكثر المرات التي عملت فيها بصورة سيئة ضد الجماهير المدنية، وفي إحدى المرات أرغمنا فلسطيني على تحطيم أحد جدران منزله كي نعبر منه إلى منزل مجاور، كان جداراً صلباً للغاية.

س: هل كسر الجدار من أجلكم؟ لماذا لم يقم الجنود بفعل ذلك؟

ج: لقد عملوا على تحطيم الجدار بالتناوب لمدة ساعتين بيد أن سمك الجدار كان ستين سنتيمتراً، ثم أدخلوا صاحب المنزل في المناوبة.

٭تأكيد قتل وتصوير

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: دورية الناحل

عندما تسلل مخربان من الأردن وقتلا جندي احتياط دفعوا بنا إلى مكان العملية، والحدود مع الأردن في قسم منها النهر، وهناك قمنا بعملية التفتيش باستخدام الكلاب والعيارات النارية، حيث كنا نرسل الكلاب فإذا ما اشتمت شيئاً تعود، وحينها نبدأ بإطلاق النار، وحينها اكتشفنا الجثث فأطلقنا النار عليها للتأكد من القتل، لقد تدربنا على هذا في المعسكرات، لكننا كنا نتأكد من قتل شاخص كرتون، أما أن يكون هناك مخرب حقيقي، فهذا شيء آخر. وأنا أعرف أن عدداً من زملائي تصوروا مع جثث القتلى، أنا لم أر ذلك، لكنني عرفت به.

لم يكن يسمح سوى لنا بالوصول إلى الحدود، لذا أمرونا بإخلاء الجثث، فأخليناها، كان عملاً قذراً وعندما وصل زملائي إلى الحافلة، قالوا لي أنهم التقطوا صوراً لهم مع الجثث.

٭لا يستحق ذلك

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: اجوز

المكان: نابلس

كانت لي قصة لن أنساها أبداً: كنا ذات مرة في أحد المنازل في نابلس، منزل جميل حقاً، مذهل، وقد قال لنا صاحبه: أنه لا يعمل منذ سنة ونصف، وأن أولاده لا يذهبون إلى المدرسة، وأطلعنا على صور يبدو فيها في أحسن حال، وقال أنه كان ثرياً، بيد أن منزله مرتفع وجميل ويطل على جميع الأماكن المحيطة به، لذا كان الجنود كلما دخلوا نابلس يقومون باحتلال منزله وإقامة موقع فوقه.

وقد سمع أن إسرائيل على وشك القيام بحرب الجدار الواقي فأخذ أولاده وذهب إلى الولايات المتحدة، وترك عمله، وأغلق بيته، وعندما عاد وجد أن طائرة إسرائيلية أطلقت عدة قنابل من النوافذ المغلقة على بيته، لقد اخترقت القنابل النوافذ وأضرمت النار في كل شيء حتى لم يبق فيه سوى الجدران، بل أن الجدران نفسها امتلأت بالحفر التي أحدثتها الشظايا.

لقد تطلعت دائماً إلى السلام، أما الآن فكيف أتطلع إلى السلام وأنتم دمرتم كل ما أملك؟ أنا لم أشارك في الحرب فقط بل لم أكن هنا أصلاً، والبيت مغلق، لماذا دمره الطيار، لا أعرف، هل أستحق ذلك؟

*تحت البساط

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: أجوز، لواء جولاني

أذكر أننا كنا من أجل فحص خزانة، كنا نقلبها على الأرض كي نتأكد أنه لا يوجد فيها أحد أو أسلحة، وكي نرى أنه لا يوجد خلفها شيء. لقد كانت الأوامر تنص على أنه يجب أن نتأكد من عدم وجود فتحات في الجدران، ولا أدري كيف سيرفع الخزانة بعد أن نقلبها على الأرض، وبعد أن يتحطم منها ما يتحطم.

لقد كان علينا رفع السجاد عن الأرض كي نتأكد من عدم وجود مخابئ تحت الأرض، وكي نتمكن من رفع السجاد، يجب أن نزيل السرير من المكان، وحينما نزيل سريراً يعني أنه سينكسر، لا توجد أمامنا طريقة أخرى غير ذلك، كانت جميع الأشياء في المنزل تنكسر، وكنا نكسر الخزائن بصورة منهجية، باختصار كان المنزل بعد التفتيش الذي نجريه يبدو كخرابة.

*لنختبر الجهاز

الرتبة: رقيب أول

الوحدة: أجوز

المكان: جنين

يمكنني أن أقول أنني دمرت باباً في أحد المنازل دون أي سبب حقيقي، كان هناك باب داخل منزل لم نعرف إلى أين يؤدي. فقلنا: دعونا نفجره، ليس لنعرف إلى أين يؤدي، بل لنجرب متفجرات كانت معنا، ونعرف مدى قوتها، لقد وضعنا المتفجرات وحطمنا الباب دون أي سبب، لمجرد تجربة المتفجرات التي بحوزتنا ومدى قوتنا.

*صلاحيات قائد اللواء

الوحدة: الكتيبة 932

المكان: رام الله نهاية عام 2004

إبان عملية السيطرة على المقاطعة في رام الله وعزل غرفة عرفات وتخريب المقاطعة وما حولها، قام شبان فلسطينيون بالتظاهر ورشق القوات بالحجارة. وقد وقف المتظاهرون على بعد ثلاثمائة متر، أي أن حجارتهم لم تكن تشكل خطراً على القوة، وبينما حرس الحدود ويستعد لتفريق المظاهرة بوسائل تفريق المظاهرات، توقفت بالجوار سيارة قائد اللواء العسكرية، وترجل منها بنفسه وأطلق ناراً حية باتجاه المتظاهرين مخالفاً بذلك أوامر حظر إطلاق النار على المظاهرات التي أصدرها هو بنفسه لقادة الكتائب والسرايا.

س: هل أطلق النار من سلاحه الشخصي؟

ج: نعم، وباتجاه المتظاهرين مباشرة.

س: هل أجريت تحقيقات في الحادث؟ هل سمعت أنه تم إجراء أية تحقيقات؟

ج: لا، لم أسمع، لم تجر أية تحقيقات. وقد طرحت هذه المسألة أمام قائد كتيبتي فقال لي: يبدو أن قائد اللواء يستطيع دائماً أن يحتفظ لنفسه بصلاحيات لا يستطيع السماح بها لجنوده.

الأمم المتحدة A

الجمعية العامة

Distr
GENERAL
A/HRC/12/48(ADVANCE 1)
23 September 2009
ARABIC
Original: ENGLISH

مجلس حقوق الإنسان
الدورة الثانية عشرة
البند ٧ من جدول الأعمال

حالة حقوق الإنسان في فلسطين وفي الأراضي العربية المحتلة الأخرى

تقرير بعثة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق بشأن النزاع في غزة

الموجز التنفيذي*

*هذه الوثيقة هي ترجمة مُسبقة وتحتوي فقط على الموجز التنفيذي . وسيصدر التقرير الكامل بوصفه الوثيقة A/HRC/12/48 بجميع اللغات حسب طاقة الترجمة لدى دوائر الترجمة التحريرية بالأمم المتحدة .

ألف ـ مقدمة

١ ـ في ٣ نيسان/ أبريل ٢٠٠٩ ، أنشأ رئيس مجلس حقوق الإنسان بعثة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق بشأن التراع في غزة مُسنداً إليها ولاية قوامها" التحقيق في جميع انتهاكات قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الإنساني الدولي التي تكون قد ارتُكبت في أي وقت في سياق العمليات العسكرية التي جرى القيام بها في غزة في أثناء الفترة من ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ إلى ١٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ ، سواء ارتكبت قبل هذه العمليات أو أثناءها أو بعدها."

٢ ـوقام رئيس المجلس بتعيين القاضي ريتشارد غولدستون، القاضي السابق بالمحكمة الدستورية لجنوب أفريقيا والمدعي السابق للمحكمتين الجنائيتين الدوليتين ليوغوسلافيا السابقة ورواندا، لكي يرأس هذه البعثة . وكان الأعضاء الثلاثة الآخرون المعيَّنون هم : الأستاذة الجامعية كريستين تشينكين، أستاذة القانون الدولي بكلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، التي كانت أحد أعضاء' البعثة الرفيعة المستوى لتقصي الحقائق ' الموفدة إلى بيت حانون) ٢٠٠٨(؛ والسيدة هينا جيلاني المحامية لدى المحكمة العليا لباكستان والممثلة الخاصة سابقا للأمين العام المعنية بحالة المدافعين عن حقوق الإنسان، والتي كانت عضوًا في لجنة التحقيق الدولية المعنية بدارفور) ٢٠٠٤(؛ والعقيد ديزموند ترافيرس، وهو ضابط سابق في قوات الدفاع الآيرلندية وعضو مجلس إدارة معهد التحقيقات الجنائية الدولية.

٣ ـوحسب الممارسة المعتادة، قامت مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان بتعيين أمانة لدعم أعمال البعثة.

٤ ـوفسَّرت البعثة ولايتها على أنها تتطلب منها وضع السكان المدنيين في المنطقة في محور اهتماماتها بخصوص انتهاكات القانون الدولي.

٥ ـواجتمعت البعثة لأول مرة في جنيف في الفترة من ٤ إلى ٨ أيار/ مايو ٢٠٠٩ . وبالإضافة إلى ذلك، اجتمعت البعثة في جنيف في ٢٠ أيار/ مايو، وفي ٤ و ٥ تموز/ يوليه، وفي الفترة من ١ إلى ٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٩ . وقامت البعثة بثلاث زيارات ميدانية : اثنتان منهما إلى قطاع غزة في الفترة ما بين ٣٠ أيار/ مايو و ٦ حزيران/ يونيه، و في الفترة ما بين ٢٥

حزيران/يونيه و ١ تموز/ يوليه ٢٠٠٩ ؛ وزيارة واحدة إلى عمان في ٢ و ٣ تموز/ يوليه ٢٠٠٩ . ونُشر في قطاع غزة عدة موظفين تابعين لأمانة البعثة في الفترة من ٢٢ أيار/مايو إلى ٤ تموز/يوليه ٢٠٠٩ بغية إجراء تحقيقات ميدانية.

٦ -وُأرسلت مذكرات شفوية إلى جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وإلى أجهزة وهيئات الأمم المتحدة في ٧ أيار/مايو ٢٠٠٩ . وفي ٨ حزيران/ يونيه ٢٠٠٩ ، أصدرت البعثة نداءً لتقديم عرائض دعت فيه جميع المهتمين من أشخاص ومنظمات إلى تقديم المعلومات والوثائق ذات الصلة بالموضوع بغية المساعدة على تنفيذ ولايتها.

.٧ -وعُقدت جلسات استماع علنية في غزة في ٢٨ و ٢٩ حزيران/يونيه وفي جنيف في ٦ و ٧ تموز/يوليه ٢٠٠٩

٨ -وسعت البعثة مراراً إلى الحصول على تعاون حكومة إسرائيل .وبعد فشل محاولات عديدة، التمست البعثة مساعدة حكومة مصر وحصلت عليها لتمكينها من دخول قطاع غزة عن طريق معبر رفح.

٩ -وحظيت البعثة بالدعم والتعاون من السلطة الفلسطينية ومن بعثة المراقبة الدائمة لفلسطين لدى الأمم المتحدة .وبالنظر إلى عدم تعاون الحكومة الإسرائيلية، لم تتمكن البعثة من الالتقاء بأعضاء السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية .بيد أن البعثة اجتمعت بمسؤولين من السلطة الفلسطينية، من بينهم وزير بمجلس الوزراء، في عمان.

وعقدت البعثة اجتماعات، أثناء زيارتيها إلى قطاع غزة، مع مسؤولين كبار من سلطات غزة قدموا تعاونهم ودعمهم الكاملين للبعثة.

١٠ - وعقب جلسات الاستماع العلنية التي عُقدت في جنيف، أُبلغت البعثة بأن قوات الأمن الإسرائيلية قد اعتقلت السيد محمد سرور أثناء عودته إلى الضفة الغربية وساورها القلق من أن يكون احتجازه نتيجة لمثوله أمام البعثة .والبعثة على اتصال به وهي ما زالت ترصد التطورات.

باء - المنهجية

١١ - قررت البعثة أن من المطلوب منها، تنفيذاً لولايتها، أن تنظر في أي إجراءات اتخذتها جميع الأطراف ويمكن أن تشكل انتهاكات لقانون حقوق الإنسان الدولي أو للقانون الإنساني الدولي .وتطلبت هذه الولاية منها أيضاً أن تستعرض الإجراءات ذات الصلة في كامل الأرض الفلسطينية المحتلة وإسرائيل.

١٢ - وفيما يتعلق بالمدى الزمني للتغطية، قررت البعثة التركيز بصورة رئيسية على الأحداث أو الإجراءات أو الظروف التي حدثت منذ ١٩ حزيران/ يونيه ٢٠٠٨ ، عندما تم الاتفاق على وقف لإطلاق النار بين حكومة إسرائيل وحماس . وأخذت البعثة في الاعتبار أيضاً الأمور التي حدثت بعد انتهاء العمليات العسكرية والتي تشكل انتهاكات لقانون حقوق الإنسان وللقانون الإنساني الدولي وتكون ذات صلة بالعمليات العسكرية أو جاءت نتيجة لها، وذلك حتى ٣١ تموز/يوليه ٢٠٠٩

١٣ - وحلّلت البعثة السياق التاريخي للأحداث التي أدت إلى العمليات العسكرية في غزة بين ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٨ و ١٨ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩ والصلات بين هذه العمليات والسياسات الإسرائيلية العامة تجاه الأرض الفلسطينية المحتلة.

١٤ - ورأت البعثة أن الإشارة في ولايتها إلى الانتهاكات المُرتكَبة" في سياق "العمليات العسكرية التي جرت في كانون الأول/ ديسمبر - كانون الثاني/ يناير تتطلب منها إدراج القيود المفروضة على حقوق الإنسان والحريات الأساسية والمتعلقة بالاستراتيجيات والإجراءات الإسرائيلية المتبعة في سياق عملياتها العسكرية.

١٥ - أما الإطار المعياري للبعثة فقد تمثل في القانون الدولي العام وميثاق الأمم المتحدة والقانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الجنائي الدولي.

١٦ - ولا يدعي هذا التقرير أنه جامع شامل من حيث توثيق العدد المرتفع للغاية من الحوادث ذات الصلة التي وقعت في الفترة المشمولة بولاية البعثة .ومع ذلك ترى البعثة أن التقرير يوضِّح الأنماط الرئيسية للانتهاكات .ففي غزة، حقّقت البعثة في ٣٦ حادثاً من الأحداث.

١٧ - واستندت البعثة في أعمالها إلى تحليل مستقل ونزيه لمدى امتثال الأطراف لالتزاماتها بموجب قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الإنساني الدولي في سياق النزاع الأخير في غزة، وإلى معايير التحقيق الدولية التي وضعتها الأمم المتحدة.

١٨ - واعتمدت البعثة نهجًا شاملا بشأن جمع المعلومات والتماس الآراء . وقد شملت أساليب جمع المعلومات ما يلي : (أ)استعراض التقارير المتأتية من المصادر المختلفة؛ و (ب) إجراء مقابلات مع الضحايا والشهود والأشخاص الآخرين الذين لديهم معلومات ذات صلة؛ و (ج) إجراء زيارات موقعية إلى أماكن محددة في غزة وقعت فيها حوادث؛ و(د)تحليل صور الفيديو والصور الفوتوغرافية، بما في ذلك الصور المُلتقطة بواسطة التوابع الاصطناعية؛ و(هـ) استعراض التقارير الطبية المتعلقة بالإصابات التي وقعت للضحايا؛ و(و) تحليل الأسلحة وبقايا الذخائر التي جُمعت في مواقع الأحداث، تحليلاً من وجهة نظر الطب الشرعي؛ و (ز)عقد اجتماعات مع مجموعة متنوعة من المتحدثين؛ و(ح) توجيه دعوات إلى تقديم معلومات تتعلق بمتطلبات التحقيق الذي تقوم به البعثة؛ و(ط) تعميم نداء عام على نطاق واسع لتقديم إفادات خطية؛ و(ي) عقد جلسات استماع علنية في غزة وفي جنيف.

١٩ - وأجرت البعثة ١٨٨ مقابلة فردية . وقامت باستعراض أكثر من ٣٠٠ تقرير وإفادة ومستندات أخرى إما ُأجريت بشأنها أبحاث بمبادرة منها أو وردت ردًا على ندائها الداعي إلى تقديم إفادات ومذكرات شفوية أو ُقدِّمت أثناء الاجتماعات أو على نحو آخر، وهو ما يبلغ أكثر من **10000** صفحة وأكثر من ٣٠ شريط فيديو و **1200** صورة فوتوغرافية.

٢٠ - وبرفض حكومة إسرائيل التعاون مع البعثة، فإنها منعت الأخيرة من الاجتماع بمسؤولين حكوميين إسرائيليين بل منعتها أيضاً من السفر إلى إسرائيل لمقابلة الضحايا الإسرائيليين وإلى الضفة الغربية للاجتماع بممثلي السلطة الفلسطينية وضحايا فلسطينيين.

٢١ - وقامت البعثة بزيارات ميدانية في قطاع غزة ، شملت إجراء تحقيقات في مواقع الأحداث . وقد سمح ذلك للبعثة بأن ُتعاين مباشرة الحالة على أرض الواقع وبأن تتحدث إلى كثير من الشهود والأشخاص الآخرين ذوي الصلة بالموضوع.

٢٢ - وكان الغرض من جلسات الاستماع العلنية، التي بُثَّت بثًا حيًا مباشرًا، هو تمكين الضحايا والشهود والخبراء من جميع الأطراف في النزاع من أن يتحدثوا مباشرة مع أكبر عدد ممكن من الناس في المنطقة وكذلك في المجتمع الدولي. وأولت البعثة أولوية لمشاركة الضحايا والأشخاص المنتمين إلى المجتمعات المحلية المتأثرة في هذه الجلسات . وقد تناولت الشهادات العامة ، وعددها ٣٨ شهادة ، الوقائع كما تناولت مسائل قانونية وعسكرية . وكانت البعثة تعتزم في بادئ الأمر عقد جلسات استماع في غزة وإسرائيل والضفة الغربية، بيد أن رفض إمكانية وصولها إلى إسرائيل والضفة الغربية قد أسفر عن اتخاذ قرار بعقد جلسات استماع لمشاركين من إسرائيل والضفة الغربية في جنيف.

٢٣ - وقد سعت البعثة، وهي تضع استنتاجاتها، إلى الاعتماد في المقام الأول وحيثما كان ذلك ممكناً على المعلومات التي جمعتها مباشرة . أما المعلومات المقدَّمة من آخرين، بما في ذلك التقارير والإفادات الخطية المشفوعة بقسم وتقارير وسائط الإعلام، فقد استُخدمت بصورة رئيسية كبرهان إضافي.

٢٤ - وقد استندت الاستنتاجات النهائية للبعثة فيما يتعلق بمدى إمكانية التعويل على ما ورد إليها من معلومات إلى تقييمها هي لمصداقية الشهود الذين التقت بهم وإمكانية التعويل عليهم، مع التحقق من المصادر والمنهجية المُستخدَمة في التقارير والوثائق المقدَّمة من آخرين، والمضاهاة بين المواد والمعلومات ذات الصلة، وتقييم ما إذا كانت توجد، في جميع الظروف، معلومات كافية ذات مصداقية ويعوَّل عليها تستند إليها البعثة في التوصل إلى استنتاج بشأن الوقائع.

٢٥ - وعلى هذا الأساس، حدَّدت البعثة، بقدر ما سمحت به أفضل قدراتها، ما هي الوقائع التي ثبتت، وفي كثير من الحالات تبين لها أنه قد ارتُكبت أفعال تنطوي على مسؤولية جنائية فردية . وفي جميع هذه الحالات، قررت البعثة وجود معلومات كافية لإثبات العناصر الموضوعية للجرائم المعنية .وقد تمكنت البعثة أيضاً، في جميع الحالات تقريباً، من تحديد ما إذا كان يبدو أن الأفعال المعنية قد ارتُكبت عمداً أو على نحو متهوِّر أو في ظل معرفة أن العواقب التي نتجت كانت ستحدث في السياق المعتاد للأحداث . وهكذا، أشارت البعثة في كثير من الحالات إلى عناصر الخطأ ذات

الصلة) ركن القصد الجنائي .(وتُقدِّر البعثة تمام التقدير أهمية افتراض البراءة : فالاستنتاجات المقدَّمة في التقرير لا تقوِّض العمل بهذا المبدأ . ولا تحاول الاستنتاجات تحديد هوية الأفراد المسؤولين عن ارتكاب الجرائم كما أنها لا تدعي أنها ترقى إلى مستوى البرهان الواجب التطبيق في المحاكم الجنائية.

٢٦ - ومن أجل إتاحة الفرصة للأطراف لتقديم المعلومات الإضافية ذات الصلة وللإعراب عن موقفها والرد على الادعاءات، قدمت البعثة أيضًا قوائم شاملة بالأسئلة إلى حكومة إسرائيل وإلى السلطة الفلسطينية وإلى سلطات غزة قبل إتمام تحليلها ووضع استنتاجاتها .وتلقت البعثة ردودًا من السلطة الفلسطينية ومن سلطات غزة ولكن ليس من إسرائيل.

جيم - الوقائع التي حققت فيها البعثة والاستنتاجات الوقائعية والقانونية

الأرض الفلسطينية المحتلة :قطاع غزة

١ -الحصار

٢٧ - ركَّزت البعثة (الفصل الخامس)على عملية العزل الاقتصادي والسياسي الذي تفرضه إسرائيل على قطاع غزة، والمشار إليه بصورة عامة باسم الحصار . ويشمل الحصار تدابير مثل فرض قيود على السلع التي يمكن استيرادها إلى غزة وقفل المعابر الحدودية أمام الأشخاص والسلع والخدمات، وهو ما يستمر أحياناً لأيام، بما في ذلك إجراء تخفيضات في الإمداد بالوقود والكهرباء . كما يتأثر اقتصاد غزة تأثرًا شديدًا بتقليص مساحة الصيد المسموح بها للصيادين الفلسطينيين وإنشاء منطقة عازلة على طول الحدود بين غزة وإسرائيل، مما يُخفِّض مساحة الأرض المتاحة للزراعة والصناعة . وبالإضافة إلى أن الحصار يخلق حالة طوارئ، فإنه قد أضعف كثيرًا من قدرات السكان وقدرات قطاعات الصحة والمياه والقطاعات العامة الأخرى على الاستجابة لحالة الطوارئ الناشئة عن العمليات العسكرية.

٢٨ - ومن رأي البعثة أن إسرائيل ما زالت مُلزَمة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة وإلى أقصى حد تسمح به الوسائل المتاحة لها، بضمان توريد المواد الغذائية واللوازم الطبية ولوازم المستشفيات والسلع الأخرى بغية تلبية الاحتياجات الإنسانية لسكان قطاع غزة دون قيد من القيود.

٢ ـاستعراض عام للعمليات العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة والإصابات الواقعة

٢٩ - نشرت إسرائيل قواتها البحرية والجوية وجيشها في العملية التي أطلقت عليها الاسم الرمزي" عملية الرصاص المصبوب ."واشتملت العمليات العسكرية في قطاع غزة على مرحلتين رئيسيتين، مرحلة القصف الجوي والمرحلة الجوية الأرضية، واستمرت طوال الفترة من ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ إلى ١٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ . وبدأ الهجوم الإسرائيلي بهجوم جوي استمر أسبوعًا، في الفترة من ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر إلى ٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ وواصلت القوات الجوية القيام بدور هام في مساعدة وتغطية القوات الأرضية في الفترة من ٣ كانون الثاني/يناير إلى ١٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ . وكان الجيش مسؤولاً عن الغزو البري، الذي بدأ في ٣ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩ ، عندما دخلت القوات البرية غزة من الشمال والشرق . وتشير المعلومات المتاحة إلى أن ألوية غولاني وجيفاتي والمظليين وألوية سلاح المدرعات الخمسة قد اشتركت في العملية . واستُخدمت البحرية جزئيًا لقصف ساحل غزة أثناء العمليات . ويحدد الفصل السادس مواقع الأحداث التي حققت فيها البعثة، والتي يرد وصف لها في الفصول السابع إلى الخامس عشر، في سياق العمليات العسكرية.

٣٠ - وتتباين الإحصاءات المتعلقة بالفلسطينيين الذين فقدوا أرواحهم أثناء العمليات العسكرية . فبالاستناد إلى بحوث ميدانية مستفيضة، حددت منظمات غير حكومية الرقم الإجمالي للقتلى بما بين 1387 و1417 شخصا. وتقدم سلطات غزة رقما قدره 1444 قتيلاً .أما حكومة إسرائيل فتقدم رقما قدره 1166 قتيلاً .وتتسم البيانات المقدمة من المصادر غير الحكومية بشأن النسبة المنوية للمدنيين في صفوف هؤلاء القتلى بأنها متسقة معا بصورة عامة وتثير أوجه قلق بالغة الخطورة بشأن الطريقة التي اتبعتها إسرائيل في العمليات العسكرية في غزة.

٣١ - ووفقا لحكومة إسرائيل، وقع أربعة قتلى إسرائيليين في جنوبي إسرائيل أثناء العمليات العسكرية، منهم ثلاثة مدنيين وجندي . وقد قتلوا بفعل هجمات الصواريخ وقذائف الهاون

التي أطلقتها الجماعات المسلحة الفلسطينية .وبالإضافة إلى ذلك، قتل تسعة جنود إسرائيليين أثناء القتال الواقع داخل قطاع غزة، مات أربعة منهم نتيجة لنيران صديقة.

٣ ـ هجمات القوات الإسرائيلية على المباني الحكومية وأفراد السلطات في قطاع غزة، بما في ذلك الشرطة

٣٢ - شنت القوات المسلحة الإسرائيلية هجمات عديدة ضد المباني وأفراد سلطات قطاع غزة . ففيما يتعلق بالهجمات التي شنت على المباني، فحصت البعثة الهجمات الإسرائيلية على مبنى المجلس التشريعي الفلسطيني والسجن الرئيسي بقطاع غزة(الفصل السابع) . وقد دمر كلا المبنيين ولا يمكن استخدامهما من بعد . وقد بررت البيانات الصادرة عن ممثلي الحكومة والقوات المسلحة الإسرائيلية هذه الهجمات بحجة مفادها أن المؤسسات السياسية والإدارية في غزة هي جزء من "البنية الأساسية الإرهابية لحماس ." وترفض البعثة هذا الموقف . فهي لا تجد أي دليل على أن مبنى المجلس التشريعي والسجن الرئيسي بقطاع غزة قد قدما إسهامًا فعالا في العمل العسكري.

وترى البعثة، بالاستناد إلى المعلومات المتاحة لها، أن الهجمات التي شُنت على هذين المبنيين تشكل هجمات متعمدة على أهداف مدنية بما يشكل انتهاكًا لقاعدة القانون الإنساني الدولي العرفي ومفادها وجوب قصر الهجمات قصرًا حصريًا على الأهداف العسكرية .وتشير هذه الوقائع كذلك إلى ارتكاب خرق خطير يتمثل في التدمير الواسع النطاق للممتلكات، الذي لا تبرره ضرورة عسكرية والذي تم القيام به على نحو غير مشروع ومفرط.

٣٣ - وقد فحصت البعثة الهجمات التي شنت على ستة مرافق للشرطة، أربعة منها أثناء الدقائق الأولى للعمليات العسكرية في ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ ، مما أسفر عن وفاة ٩٩ شرطياً وتسعة أفراد من العامة. وعلى وجه الإجمال، فإن أفراد الشرطة الذين قتلتهم القوات الإسرائيلية والبالغ عددهم تقريباً ٢٤٠ شرطياً يشكلون أكثر من ثلث عدد الإصابات الفلسطينية . ويبدو أن ملابسات الهجمات تشير إلى أن أفراد الشرطة قد استُهدِفوا وقتِلوا عمداً، وهو ما يؤكده التقرير الصادر عن حكومة إسرائيل في تموز/ يوليه ٢٠٠٩ بشأن العمليات العسكرية، على أساس

أن الشرطة، باعتبارها مؤسسة أو على أساس أن جزءاً كبيراً من أفراد الشرطة يشكلون فردياً، من وجهة نظر حكومة إسرائيل، جزءاً من القوات العسكرية الفلسطينية في غزة.

٣٤ - ولبحث ما إذا كانت الهجمات التي شنت على الشرطة تتمشى مع مبادئ التمييز بين الأهداف المدنية والأهداف العسكرية والأشخاص المدنيين و الأشخاص العسكريين، قامت البعثة بتحليل التطور المؤسسي لشرطة غزة منذ استيلاء حماس الكامل على غزة في تموز/يوليه ٢٠٠٧ ودمج شرطة غزة في" القوة التنفيذية "التي كانت قد أنشأتها بعد فوزها بالانتخابات . وتخلص البعثة إلى أنه بينما عُين عدد كبير من أفراد شرطة غزة من بين أنصار حماس أو أعضاء الجماعات المسلحة الفلسطينية، فإن شرطة غزة هي هيئة مدنية مكلفة بإنفاذ القوانين . وتخلص البعثة أيضاً إلى أنه لا يمكن القول بأن أفراد الشرطة الذين قُتِلوا في ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ كانوا يضطلعون بدور مباشر في أعمال القتال ومن ثم فإنهم لم يفقدوا حصانتهم المدنية من الهجوم المباشر باعتبارهم مدنيين على هذا الأساس .وتسلّم البعثة بأنه قد يوجد بعض الأفراد من شرطة غزة كانوا هم في الوقت ذاته أعضاء في جماعات مسلحة فلسطينية ومن ثم كانوا مقاتلين .بيد أنها تخلص إلى أن الهجمات التي شُنت على مرافق الشرطة في اليوم الأول من العمليات المسلحة لم توازن على نحو مقبول بين الميزة العسكرية المباشرة المتوقعة) أي قتل أفراد الشرطة هؤلاء الذين ربما كانوا أعضاء في جماعات مسلحة فلسطينية (وفقدان الأرواح المدنية) أي أفراد الشرطة الآخرون الذين قُتِلوا وأفراد الجمهور الذين كان لا بد أن يكونوا متواجدين في هذه المرافق أو بالقرب منها(، ولذلك فإنها تشكل انتهاكاً للقانون الإنساني الدولي.

٤ -الالتزام الواقع على الجماعات المسلحة الفلسطينية في غزة باتخاذ احتياطات معقولة لحماية السكان المدنيين والأعيان المدنية

٣٥ - بحثت البعثة ما إذا كانت الجماعات المسلحة الفلسطينية قد انتهكت التزامها بممارسة الحرص واتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لحماية السكان المدنيين في غزة من الأخطار المتأصلة في العمليات العسكرية، ومدى حدوث ذلك(الفصل الثامن) . وقد واجهت البعثة تردداً معيناً من جانب الأشخاص الذين أجرت معهم مقابلات في غزة لمناقشة أنشطة الجماعات المسلحة .

وقد تبين للبعثة، على أساس المعلومات المجمّعة، أن الجماعات المسلحة الفلسطينية كانت موجودة في مناطق حضرية أثناء العمليات العسكرية وأطلقت صواريخ من مناطق حضرية. وربما حدث أن المقاتلين الفلسطينيين لم يميزوا أنفسهم تمييزاً كافياً في جميع الأوقات عن السكان المدنيين .بيد أن البعثة لم تعثر على أدلة توحي بأن الجماعات المسلحة الفلسطينية قد وجهت المدنيين إلى مناطق كانت تُشن فيها هجمات أو أنها قد أجبرت المدنيين على البقاء بالقرب من أماكن الهجمات.

٣٦ - وعلى الرغم من أن الأحداث التي حققت فيها البعثة لم تثبت استخدام المساجد لأغراض عسكرية أو كدروع لحماية أنشطة عسكرية، فإنها لا تستطيع استبعاد احتمال أن يكون ذلك قد حدث في حالات أخرى .ولم تعثر البعثة على أي أدلة تدعم الادعاءات القائلة بأن سلطات غزة أو الجماعات المسلحة الفلسطينية قد استخدمت مرافق المستشفيات كدروع لحماية أنشطة عسكرية أو أن سيارات الإسعاف قد استُخدِمت لنقل مقاتلين أو لأغراض عسكرية أخرى . وبالاستناد إلى التحقيقات التي أجرتها البعثة بنفسها وإلى البيانات الصادرة عن مسؤولي الأمم المتحدة، تستبعد البعثة أن تكون الجماعات المسلحة الفلسطينية قد باشرت أنشطة قتالية من منشآت الأمم المتحدة التي استخدمت كملاجئ أثناء العمليات العسكرية . بيد أنه لا يمكن للبعثة أن تستبعد احتمال أن تكون الجماعات المسلحة الفلسطينية قد عملت بالقرب من هذه المنشآت التابعة للأمم المتحدة وهذه المستشفيات . وفي حين أن مباشرة أعمال القتال في المناطق المبنية لا يشكل في حد ذاته انتهاكاً للقانون الدولي، فإن الجماعات المسلحة الفلسطينية، في الحالات التي تكون فيها قد أطلقت هجمات بالقرب من مبانٍ مدنية أو مبانٍ محمية، تكون قد عرضت سكان غزة المدنيين للخطر على نحو غير ضروري.

٥ -الالتزام الواقع على إسرائيل باتخاذ الاحتياطات الممكنة لحماية السكان المدنيين والأعيان المدنية في غزة

٣٧ - بحثت البعثة كيف قامت القوات المسلحة الإسرائيلية بأداء التزامها باتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لحماية السكان المدنيين في غزة، بما في ذلك بوجه خاص الالتزام بتوجيه تحذير فعال مسبقاً بالهجمات(الفصل التاسع) وتسلم البعثة بالجهود التي يعتد بها التي بذلتها إسرائيل لإصدار تحذيرات عن طريق المكالمات الهاتفية والمنشورات والإعلانات الإذاعية وتسلم بأن هذه التحذيرات، وخاصة في الحالات التي كانت فيها محددةً بوجه كافٍ، قد شجعت السكان على ترك المنطقة والابتعاد عن موقع الخطر .بيد أن البعثة تلاحظ أيضاً وجود عوامل قوّضت على نحو يعتد به فعالية التحذيرات الصادرة . وهذه العوامل تشمل عدم التحديد في كثير من الرسائل الهاتفية المسجلة مسبقاً والمنشورات ومن ثم عدم مصداقيتها .كما أن مصداقية التعليمات الصادرة بالانتقال إلى مراكز المدن توخياً للسلامة قد قلّل منها أيضاً حقيقة أن مراكز المدن ذاتها كانت موضع هجمات مكثفة أثناء المرحلة الجوية من العمليات العسكرية . وبحثت البعثة أيضاً الممارسة المتمثلة في إسقاط متفجرات أخف على أسطح المباني(ما يطلق عليه" طرْق الأسطح .")وهي تخلص إلى أن هذا الأسلوب غير فعال كتحذير ويشكل نوعاً من أنواع الهجوم على المدنيين الذين يقطنون المبنى . وأخيراً، تشدد البعثة على أن إصدار التحذير لا يعفي القادة وتابعيهم من مسؤولية اتخاذ جميع التدابير الممكنة الأخرى للتمييز بين المدنيين والمقاتلين.

٣٨ - وقد بحثت البعثة أيضاً الاحتياطات التي اتخذتها القوات المسلحة الإسرائيلية في سياق ثلاث هجمات محددة قامت بها .ففي ١٥ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩ ، تعرض مجمع المكاتب الميداني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى(الأونروا)في مدينة غزة للقصف بالذخائر العالية التفجير وذخائر الفوسفور الأبيض .وتلاحظ البعثة أن الهجوم كان خطيراً إلى أبعد حد، بالنظر إلى أن هذا المجمع كان يتيح المأوى لما بين٦٠٠ و ٧٠٠ شخص من المدنيين وكان يتضمن مستودعاً ضخماً للوقود. واستمرت القوات المسلحة الإسرائيلية في هجومها على امتداد ساعات عديدة على الرغم من أنه جرى تنبيهها بشكل كامل إلى الأخطار التي

أحدثتها. وتخلص البعثة إلى أن القوات المسلحة الإسرائيلية قد انتهكت ما يتطلبه القانون الدولي العرفي من اتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة في اختيار وسائل الهجوم وأسلوبه بقصد تجنب - وعلى أية حال التقليل إلى أدنى حد من- الخسائر العرضية في أرواح المدنيين، وإصابة المدنيين وإلحاق الضرر بالأعيان المدنية.

٣٩ - وتخلص البعثة أيضاً إلى أن القوات المسلحة الإسرائيلية قد قامت في اليوم نفسه على نحو مباشر ومتعمد بمهاجمة مستشفى القدس في مدينة غزة ومستودع سيارات الإسعاف المجاور بقذائف الفوسفور الأبيض . وتسبب الهجوم في نشوب حرائق استغرقت عملية إطفائها يوماً كاملاً وأوقع الذعر في نفوس المرضى والجرحى الذين تعين إجلاؤهم .وقد وجدت البعثة أنه لم يصدر في أي وقت تحذير بوقوع هجوم وشيك . وترفض البعثة الادعاء القائل بأن نيراناً قد وُجهت إلى القوات المسلحة الإسرائيلية من داخل المستشفى، وهي تستند في ذلك إلى تحرياتها هي.

٤٠ - وبحثت البعثة أيضاً الهجمات المكثفة بالمدفعية، بما في ذلك مرة أخرى باستخدام ذخائر الفوسفور الأبيض، ضد مستشفى الوفاء في شرقي مدينة غزة، وهو منشأة للمرضى الذين يتلقون رعاية طويلة الأجل ويعانون إصابات خطيرة بشكل خاص . وخلصت البعثة، بالاستناد إلى المعلومات التي جمعتها، إلى حدوث انتهاك للحظر المفروض على شن هجمات على المستشفيات المدنية في كلتا الحالتين . وتسلط البعثة الضوء أيضاً على أن التحذيرات الصادرة عن طريق المنشورات و الرسائل الهاتفية المسجَلة مسبقاً في حالة مستشفى الوفاء تبرهن على أن أنواعاً معينة من التحذيرات الروتينية والعامة هي عديمة الفعالية بتاتاً.

٦ -الهجمات العشوائية التي شنتها القوات الإسرائيلية والتي أسفرت عن فقدان أرواح وإيقاع إصابات بالمدنيين

٤١ - بحثت البعثة ما حدث من قصف بقذائف الهاون لمفترق طرق الفاخورة في منطقة جباليا بالقرب من مدرسة تابعة للأونروا،، كانت تأوي في ذلك الوقت أكثر من 1300 شخص (الفصل العاشر) .فقد أطلقت القوات المسلحة الإسرائيلية أربع قذائف هاون على الأقل . وسقطت إحداها في فناء منزل إحدى الأسر فقُتل ١١ شخصاً متجمعين هناك . وسقطت ثلاث قذائف أخرى في

شارع الفاخورة، فقتلت ما لا يقل عن ٢٤ شخصاً آخرين وأصابت عدداً كبيراً يصل إلى ٤٠ شخصاً .
وقد فحصت البعثة بالتفصيل البيانات الصادرة عن ممثلي الحكومة الإسرائيلية التي تدعي أن الهجوم قد شن رداً على هجوم بقذائف الهاون من مجموعة فلسطينية مسلحة. وبينما لا تستبعد البعثة احتمال أن يكون ذلك قد حدث، فإنها ترى أن مصداقية الموقف الإسرائيلي تتردى بفعل سلسلة من أوجه عدم الاتساق والتناقضات وعدم الدقة الوقائعية في البيانات التي تبرر الهجوم.

٤٢ - وتعترف البعثة، وهي تضع استنتاجاتها القانونية بشأن الهجوم الذي شُنَّ على مفترقُ طرق الفاخورة، بأن القرارات المتعلقة بالتناسب والتي توازن بين الميزة العسكرية التي يُنتظر تحقيقها والخطر المتمّثل في قتل مدنيين هي قرارات تطرح على جميع الجيوش مُعضلات حقيقية فعلا في حالات معينة . ولا ترى البعثة أن ذلك كان هو الحال هنا . فإطلاق أربعة قذائف هاون على الأقل لمحاولة قتل عدد صغير من الأفراد المحدَّدين في سياق كانت تقوم فيه أعداد كبيرة من المدنيين بتصريف شؤون حياتهم اليومية ويلجأ فيه 1368 شخصًا في مأوى قريب هو أمر لا يمكن أن يستوفي الشروط التي يكون قد حددها قائد معقول لما هو خسارة معقولة في أرواح المدنيين مقابل الميزة العسكرية المنشودة . وهكذا ترى البعثة أن هذا الهجوم كان عشوائيًا، مما يشكل انتهاكًا للقانون الدولي، وأنه قد انتهك حق الحياة للمدنيين الفلسطينيين الذين ُقتِلوا في هذه الأحداث.

٧ -الهجمات المتعمَّدة على السكان المدنيين

٤٣ - حققت البعثة في ١١ حدثًا شنّت فيها القوات المسلحة الإسرائيلية هجمات مباشرة على المدنيين مما أسفر عن حدوث إصابات قاتلة(الفصل الحادي عشر) وتشير الوقائع المتعلقة بجميع الأحداث ما عدا واحدًا عدم وجود هدف عسكري له ما يبرره .وقد وقع الهجومان الأولان على منازل في منطقة السّاموني جنوب مدينة غزة، شمل قصف منزل أجبرت القوات المسلحة الإسرائيلية مدنيين فلسطينيين على التجمع فيه . وتتعلق المجموعة التالية المؤلفة من سبعة حوادث على إطلاق النار على المدنيين أثناء محاولتهم مغادرة منازلهم في اتجاه مكان أكثر أمنًا، وهم يلوحون برايات بيضاء بل وهم يتبعون، في بعض الحالات، أمرًا صادرًا من القوات الإسرائيلية بالقيام بذلك . وتشير الحقائق التي جمعتها البعثة إلى أن جميع الهجمات قد وقعت في ظل ظروف كانت تسيطر فيها

القوات المسلحة الإسرائيلية على المنطقة المعنية وكانت قد دخلت من قبل في اتصال مع الأشخاص الذين هاجمتهم لاحقا أو كانت تراقبهم على الأقل، بحيث إنها كان يجب أن تكون على علم بوضعهم كمدنيين . وقد فاقم من النتائج المترتبة على الهجمات الإسرائيلية ضد المدنيين، في أغلبية هذه الحوادث، رفض القوات الإسرائيلية بعد ذلك السماح بإخلاء الجرحى أو إتاحة وصول سيارات الإسعاف إليهم.

٤٤ - وتشير هذه الحوادث إلى أن التعليمات الصادرة إلى القوات المسلحة الإسرائيلية المتوغلة في غزة كانت تنص على شروط منخفضة المستوى لاستعمال النيران الفتاكة ضد السكان المدنيين . وقد وجدت البعثة في الشهادات المقدمة من الجنود الإسرائيليين والمجمّعة في منشورين تلقتهما براهين قوية تُثبت هذا الاتجاه.

٤٥ - وبحثت البعثة كذلك حادثًا استُهدِف فيه أحد المساجد بقذيفة أثناء صلاة المغرب، مما أسفر عن موت ١٥ شخصًا كما بحثت هجومًا استُخدمت فيه ذخائر سهمية ضد حشد أسري ومعهم جيران في خيمة عزاء، مما أدى إلى قتل خمسة أشخاص . وترى البعثة أن كلا الهجومين يشكلان اعتداءات متعمَّدة على سكان مدنيين وأهداف مدنية.

٤٦ - وتخلص البعثة، استنادًا إلى الوقائع المتحقَّق منها في جميع هذه الحالات المذكورة أعلاه، إلى أن سلوك القوات المسلحة الإسرائيلية يشكل خرقا خطيرًا لاتفاقية جنيف الرابعة من حيث القتل العمد والتسبب عمدًا في إحداث معاناة كبيرة للأشخاص المحميين وعلى ذلك فإنه يُنشئ المسؤولية الجنائية الفردية . وهي تخلص أيضًا إلى أن الاستهداف المباشر والقتل التعسفي للمدنيين الفلسطينيين يشكل انتهاكًا للحق في الحياة.

٤٧ - ويتعلق الحادث الأخير بقصف منزل أسفر عن مقتل ٢٢ فردًا من أفراد إحدى الأسر . وكان موقف إسرائيل في هذه الحالة هو أنه حدث" خطأ عملياتي " وأن الهدف المقصود كان مترلا مجاورًا تُخزَّن فيه أسلحة . وتعرب اللجنة، بالاستناد إلى التحقيق الذي أجرته، عن شكوكها الجدية بشأن رواية السلطات الإسرائيلية للحدث . وتخلص البعثة إلى أنه إذا كان قد حدث حقا خطأ في هذا

الصدد فلا يمكن القول بوجود حالة قتل عمد . بيد أنـه تبقى مع ذلك مسؤولية الدول الواقعة على إسرائيل لارتكابها فعلا غير مشروع دوليًا.

٨ -استعمال أسلحة معينة

٤٨ - استناداً إلى التحقيق الذي أجرته البعثة في الحوادث التي تنطوي على استعمال أسلحة معينة مثل الفوسفور الأبيض والقذائف السهمية، فإنها، بينما توافق على أن الفوسفور الأبيض ليس محظوراً بموجب القانون الدولي في هذه المرحلة، تخلص إلى أن القوات المسلحة الإسرائيلية قد اتسمت بالاستهتار على نحو منهجي في تقرير استخدامه في مناطق مبنية . وعلاوة على ذلك فإن الأطباء الذي عالجوا مرضى مصابين بجروح ناتجة عن استخدام الفوسفور الأبيض قد تحدثوا عن شدة الحروق الناجمة عن هذه المادة بل وأحيانا عن طبيعتها غير القابلة للعلاج . وتعتقد البعثة أن ينبغي النظر بجديَة في حظر استخدام الفوسفور الأبيض في المناطق المبنية . أما فيما يتعلق بالمقذوفات السهمية، فتلاحظ البعثة أنها سلاح من أسلحة المناطق ليست له القدرة على التمييز بين الأهداف بعد التفجير . ولذلك فإن هذه المقذوفات غير ملائمة للاستعمال في السياقات الحضرية في الحالات التي يوجد فيها ما يدعو إلى الاعتقاد باحتمال وجود مدنيين.

٤٩ - وفي حين أن البعثة ليست في وضع يمكِّنها من أن تعلن على نحو مؤكد أن القوات المسلحة الإسرائيلية قد استعملت ذخائر متفجرة معدنية خاملة كثيفة (DIME) فإنها لم تتلق تقارير من الأطباء الفلسطينيين والأجانب ،ممن عملوا في غزة أثناء العمليات العسكرية تفيد بوجود نسبة مئوية مرتفعة من المرضى ذوي الإصابات التي تتمشى مع تأثير هذه الذخائر . وأسلحة هذه الذخائر هي والأسلحة المزودة بمعادن ثقيلة غير محظورة بموجب القانون الدولي كما هو قائم حالياً، ولكنها تثير أوجه قلق صحية محددة .وأخيراً، تلقت البعثة ادعاءات مفادها أن القوات المسلحة الإسرائيلية قد استخدمت في غزة يورانيوم منضّب ويورانيوم غير منضّب .ولم تقم البعثة بمزيد من التحقيق في هذه الادعاءات.

٩ -الهجمات التي شُنّت ضد أساسات الحياة المدنية في غزة: تدمير البنية الأساسية الصناعية، وإنتاج الغذاء، ومنشآت المياه، ووحدات معالجة الصرف الصحي، والمساكن

٥٠ - قامت البعثة بالتحقيق في عدة حوادث تنطوي على تدمير بنية أساسية صناعية ووحدات لإنتاج الأغذية ومنشآت مياه ووحدات لمعالجة الصرف الصحي ومساكن(الفصل الثالث عشر)ففي بداية العمليات العسكرية، كان مطحن البدر هو مطحن الدقيق الوحيد الذي كان ما يزال يعمل في قطاع غزة . وقد ضُرب هذا المطحن بسلسلة من الضربات الجوية في ٩ كانون الثاني /يناير ٢٠٠٩ بعد إصدار عدة تحذيرات زائفة في الأيام السابقة . وتخلص البعثة إلى أن تدمير هذا المطحن لم يكن له مبرر عسكري .ذلك أن طبيعة الضربات، وبخاصة الاستهداف الدقيق للآلات الحاسمة الأهمية، يوحي بأن القصد المتوخى هو تعطيل القدرة الإنتاجية للمصنع . وتخلص البعثة، من الوقائع التي تحققت منها، إلى أنه قد حدث انتهاك لأحكام اتفاقية جنيف الرابعة فيما يتعلق بارتكاب الخروق الخطيرة . فهذا التدمير غير المشروع والمفرط الذي لا تبرره ضرورة عسكرية هو بمثابة جريمة حرب .وتخلص البعثة أيضًا إلى أن تدمير هذا المطحن قد نُفّذ بغية حرمان السكان المدنيين من قوتهم، وهو ما يشكل انتهاكًا للقانون الدولي العرفي ويمكن أن يشكل جريمة حرب . وفضلا عن ذلك، يشكل الهجوم على مطحن الدقيق هذا انتهاكًا للحق في الحصول على ما يكفي من الغذاء وأسباب العيش.

٥١ - وأفادت التقارير أن مزارع دواجن السيد سامح السوافيري في حي الزيتون جنوبي مدينة غزة كانت تورد أكثر من ١٠ في المائة من احتياجات سوق البيض في غزة . وقد قامت البلدوزرات المدرعة التابعة للقوات المسلحة الإسرائيلية بتسوية حظائر الدجاج بالأرض على نحو منهجي فقتلت بذلك جميع الدجاج بداخلها وقدرها 31000 دجاجة، ودمّرت المعمل والمواد اللازمة لمزاولة العمل . وتخلص البعثة إلى أن ذلك كان فعلا متعمدًا من أفعال التدمير المفرط الذي لا تبرره أي ضرورة عسكرية وتخلص بشأنه إلى نفس الاستنتاجات القانونية التي خلصت إليها في حالة تدمير مطحن الدقيق.

٥٢ - وقامت القوات المسلحة الإسرائيلية أيضًا بتوجيه ضربة إلى جدار إحدى برك الصرف الصحي غير المعالج التابعة لمصنع معالجة المياه المستعملة بغزة، مما تسبب في تدفق أكثر من 200000 متر مكعب من الصرف الصحي غير المعالج في الأراضي الزراعية المجاورة . وتوحي ملابسات توجيه هذه الضربة بأنها ارتُكِبت عمدًا وبسبق الإصرار . وكان مجمع آبار نمر في جباليا يتألف من بئري مياه وآلات للضخ ومولد كهرباء ومستودع وقود ووحدة مستودع كلورة ومبان ومعدات ذات صلة بالنشاط . وقد دُمِّرت هذه الأشياء جميعًا بفعل الضربات الجوية المتعددة في اليوم الأول من الهجوم الجوي الإسرائيلي .وترى البعثة أن من غير المحتمل أن يكون هدفًا بحجم آبار نمر قد ضُرِب بهجمات عديدة على سبيل الخطأ .ولم تعثر البعثة على أي أسباب توحي بوجود أي ميزة عسكرية يمكن كسبها عن طريق ضرب الآبار وقد لاحظت عدم وجود إشارة إلى أن الجماعات المسلحة الفلسطينية قد استخدمت الآبار لأي غرض من الأغراض . وإذ تعتبر البعثة الحق في الحصول على مياه الشرب جزءًا من الحق في الحصول على غذاء كاف فإنها تخلص هنا إلى نفس الاستنتاجات القانونية المتوصَّل إليها في حالة مطحن دقيق البدر.

٥٣ - وشاهدت البعثة، أثناء زيارتيها لقطاع غزة، مدى تدمير المباني السكنية الذي تسببت فيه الهجمات الجوية والقصف بقذائف الهاون والمدفعية والهجمات الصاروخية وعمل البلدوزرات والشحنات التفجيرية المستخدمة للهدم .وفي بعض الحالات، خضعت أحياء سكنية للقصف بالقنابل من الجو وللقصف المكثف بالقذائف في سياق تقدم القوات البرية الإسرائيلية .وفي حالات أخرى، توحي الحقائق التي جمعتها البعثة إيحاء قوياً بأن تدمير المساكن قد تم القيام به في غياب أي صلة له بمواجهات المعارك مع جماعات مسلحة فلسطينية أو دون أن تكون له أي صلة بأي إسهام فعال آخر في الأعمال العسكرية .وبتجميع النتائج المستخلصة من جهود تحري الحقائق الذي قامت به البعثة على أرض الواقع وصور التوابع الاصطناعية الملتقطة عن طريق' برنامج تطبيق السواتل التشغيلي 'التابع لمعهد الأمم المتحدة للتدريب والبحث والشهادات المنشورة للجنود الإسرائيليين، تخلص البعثة إلى أنه بالإضافة إلى التدمير الواسع النطاق للمساكن لما يسمى بدواعي الضرورة العملياتية أثناء تقدم القوات المسلحة الإسرائيلية، باشرت هذه القوات موجة أخرى من

التدمير المنهجي للمباني المدنية أثناء الثلاثة أيام الأخيرة من وجودها في غزة، وهي تعلم انسحابها الوشيك . ويشكل سلوك القوات المسلحة الإسرائيلية في هذا الصدد انتهاكاً كما أنه بمثابة خطر خطير قوامه" التدمير الواسع النطاق ... للممتلكات، الذي لا تبرره الضرورة العسكرية والمضطلع به على نحو غير مشروع ومفرط ."وانتهكت القوات المسلحة الإسرائيلية كذلك حق الأسر المعنية في العيش في سكن لائق.

٥٤ - إن الهجمات التي شُنَّت على المنشآت الصناعية وعلى البنية الأساسية في مجال إنتاج الغذاء والإمداد بالمياه، وهي الهجمات التي حققت فيها البعثة، تشكل جزءاً من نمط أوسع نطاقاً للتدمير، شمل تدمير مصنع تعبئة الإسمنت الوحيد في غزة(مصنع عطا أبو جدّه)ومصانع أبو عيده للإسمنت المسلح، ومزارع دجاج أخرى، ومصانع الأغذية والمشروبات التابعة لمجموعة الواديّة .وتشير الوقائع التي تحققت منها البعثة إلى أنه كانت توجد سياسة متعمَّدة ومنهجية من جانب القوات العسكرية الإسرائيلية لاستهداف المواقع الصناعية ومنشآت المياه.

١٠ - استخدم المدنيين الفلسطينيين كدروع بشرية

٥٥ - حققت البعثة في أربعة حوادث أجبرت فيها القوات المسلحة الإسرائيلية رجالاً مدنيين فلسطينيين تحت تهديد السلاح بالاشتراك في عمليات بحث لمنازل أثناء العمليات العسكرية (الفصل الرابع عشر) وكان هؤلاء الرجال عند إجبارهم على دخول المنازل قبل الجنود الإسرائيليين معصوبي الأعين ومصفدي الأيدي . وفي أحد الحوادث المعنية، قام الجنود الإسرائيليون بإجبار رجل على نحو متكرر بدخول منزل كان يختبئ فيه مقاتلون فلسطينيون .وتؤكد الشهادات المنشورة لجنود إسرائيليين اشتركوا في العمليات العسكرية مواصلة هذه الممارسة، على الرغم من الأوامر الواضحة الصادرة عن المحكمة العليا الإسرائيلية إلى القوات المسلحة بوضع حد لها وعلى الرغم من الضمانات العامة المتكررة الصادرة عن القوات المسلحة والتي مفادها أن هذه الممارسة قد أوقِفت. وتخلص البعثة إلى أن هذه الممارسة هي بمثابة استخدام للمدنيين الفلسطينيين كدروع بشرية ولذلك فإنها محرَمة بموجب القانون الإنساني الدولي .وتعرِّض هذه الممارسة حق المدنيين في الحياة للخطر بطريقة تعسفية وغير مشروعة كما أنها تشكل معاملة قاسية ولا إنسانية .

واستخدام الأشخاص كدروع بشرية يشكل أيضاً جريمة حرب . وقد استُجوب الرجال الفلسطينيون الذين استُخدِموا كدروع بشرية في ظل التهديد بالقتل أو الإصابة بغية انتزاع معلومات حول حماس والمقاتلين الفلسطينيين والأنفاق .ويشكل ذلك انتهاكاً آخر للقانون الإنساني الدولي.

١١ - الحرمان من الحرية : الغزيّون المحتجَزون أثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية الممتدة من ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ إلى ١٨ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩

٥٦ - أثناء العمليات العسكرية، قامت القوات المسلحة الإسرائيلية باعتقال أعداد كبيرة من المدنيين واحتجزتهم في منازل وأماكن مفتوحة في غزة وقامت أيضاً، في حالة كثير من الرجال الفلسطينيين، باقتيادهم إلى منشآت اعتقال في إسرائيل . وفي الحالات التي حققت فيها البعثة، تشير المعلومات المجمّعة إلى أنه لم يكن أي من هؤلاء المدنيين مسلحاً أو يشكل أي تهديد ظاهر للجنود الإسرائيليين . ويرتكز الفصل الخامس عشر من التقرير على المقابلات التي أجرتها البعثة مع رجال فلسطينيين احتُجِزوا كما يرتكز على استعراض البعثة لمواد أخرى ذات صلة بالموضوع، بما في ذلك مقابلات أجريت مع الأقارب وأقوال صادرة عن ضحايا آخرين قدِّمت إليها.

٥٧ - وتخلص البعثة، من الحقائق المجمّعة، إلى أن انتهاكات عديدة للقانون الإنساني الدولي ولقانون حقوق الإنسان قد ارتُكِبت في سياق عمليات الاحتجاز هذه .فقد احتُجِز أشخاص مدنيون، من بينهم نساء وأطفال، في أوضاع مزرية، حُرموا فيها من الطعام والمياه واستخدام المرافق الصحية وتعرضوا فيها للعوامل الجوية في كانون الثاني/يناير دون وجود أي مأوى . وكان الرجال معصوبي الأعين ومصفدي الأيدي وأجبروا مراراً على نزع ملابسهم، وأحياناً على التعري، في مراحل مختلفة من احتجازهم.

٥٨ - وفي منطقة العطاطرة في شمال غربي غزة، حفرت القوات الإسرائيلية حُفراً رملية احتُجز فيها رجال ونساء وأطفال فلسطينيون . وكانت مواقع الدبابات والمدفعية الإسرائيلية موجودة داخل هذه الحفر الرملية وحولها وكانت تُطلق نيرانها وهي بجانب المحتجزين.

٥٩ - واقتيد الرجال الفلسطينيون إلى مرافق اعتقال في إسرائيل حيث خضعوا لأوضاع اعتقال مزرية، واستجواب قاس وعمليات ضرب وأشكال أخرى من إساءة المعاملة البدنية والذهنية .وقد اتُّهم بعضهم بأنهم مقاتلون غير شرعيين . وكان أولئك الذين أجرت معهم البعثة مقابلات قد أطلق سراحهم بعد وقف النظر في الدعاوى المرفوعة ضدهم.

٦٠ - وبالإضافة إلى الحرمان التعسفي من الحرية وانتهاك الحقوق المتعلقة باتباع الأصول القانونية الواجبة التطبيق، فإن حالات بعض المدنيين الفلسطينيين المعتقلين تسلط الضوء على خيط مشترك للتفاعل بين الجنود الإسرائيليين والمدنيين الفلسطينيين ظهر أيضاً بشكل جلي في كثير من الحالات التي نوقشت في أماكن أخرى من هذا التقرير :إساءة المعاملة بصورة مستمرة ومنهجية، والاعتداءات على الكرامة الشخصية، والمعاملة المذلة والمهينة التي تتناقض مع المبادئ الأساسية للقانون الإنساني الدولي ولقانون حقوق الإنسان . وتخلص البعثة إلى أن هذه المعاملة تُعدّ توقيعاً لعقوبة جماعية على هؤلاء المدنيين وهي بمثابة تدابير لترهيبهم وإيقاع الرعب بهم .وتشكل هذه الأفعال خروقاً خطيرة لاتفاقيات جنيف وتشكل جريمة حرب.

١٢ - أهداف واستراتيجية العمليات العسكرية التي قامت بها إسرائيل في غزة

٦١ - استعرضت البعثة المعلومات المتاحة بشأن تخطيط العمليات العسكرية الإسرائيلية، وبشأن التكنولوجيا العسكرية المتقدمة المتاحة للقوات المسلحة الإسرائيلية وبشأن تدريب هذه القوات فيما يتصل بالقانون الإنساني الدولي(الفصل السادس عشر) ووفقاً للمعلومات الحكومية الرسمية، يوجد لدى القوات المسلحة الإسرائيلية نظام مفصل بشأن تقديم المشورة القانونية والتدريب يسعى إلى ضمان المعرفة بالالتزامات القانونية ذات الصلة وإلى تقديم الدعم إلى القادة فيما يتصل بالامتثال لهذه الالتزامات في الميدان .وتمتلك القوات المسلحة الإسرائيلية معدات متقدمة جداً كما أنها أحد من يتصدر سوق إنتاج بعض أكثر منتجات التكنولوجيا العسكرية المتاحة تقدماً، بما في ذلك الطائرات الموجهة بلا طيار . وتوجد لديها قدرة كبيرة جداً على توجيه الضربات الدقيقة باستخدام مجموعة متنوعة من الأساليب، بما في ذلك إطلاق المقذوفات المعنية من الجو والبر . وإذا أخذت في الحسبان القدرة على التخطيط ووسائل تنفيذ الخطط بأكثر أشكال التكنولوجيا المتاحة

تطوراً والبيانات الصادرة عن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ومفادها أنه لم تحدث أخطاء تقريباً، ترى البعثة أن الأحداث وأنماط الأحدث التي بُحثت في هذا التقرير قد جاءت نتيجة تخطيط متعمّد وقرارات متخذة على مستوى السياسات.

٦٢ - وتتسق التكتيكات التي استخدمتها القوات المسلحة الإسرائيلية في هجوم غزة مع ممارسات سابقة، كان أحدثها أثناء حرب لبنان في عام ٢٠٠٦ . فقد ظهر حينئذ مفهوم يُعرف باسم نظرية" الداهية "والذي ينطوي على استخدام قوة غير متناسبة ويتسبب في إحداث ضرر ودمار كبيرين للممتلكات والهياكل الأساسية المدنية، والمعاناة للسكان المدنيين . وتخلص البعثة، بالاستناد إلى استعراض للحقائق على أرض الواقع إلى أنها شهدت بنفسها أن ما كان يوصف بأنه أفضل استراتيجية يبدو أنه قد طُبِّق تطبيقاً دقيقاً.

٦٣ - وفي سياق صياغة الأهداف العسكرية الإسرائيلية فيما يتعلق بعمليات غزة، فإن مفهوم" البنية الأساسية الداعمة" لحماس يبعث على القلق بوجه خاص بالنظر إلى أنه يبدو أن يُحوِّل المدنيين والأعيان المدنية إلى أهداف مشروعة . وتشير البيانات الصادرة عن القادة السياسيين والعسكريين الإسرائيليين قبل العمليات العسكرية في غزة وأثناءها إلى أن التصور العسكري الإسرائيلي لما هو ضروري في الحرب مع حماس ينظر إلى التدمير غير المتناسب وإلى إحداث أقصى قدر من الخلل في حياة كثير من الناس على أنه وسيلة مشروعة لتحقيق أهداف ليست عسكرية فقط بل سياسية أيضًا.

٦٤ - كذلك فإن البيانات الصادرة عن القادة الإسرائيليين ومفادها أن تدمير الأهداف المدنية يكون مبرراً كرد فعل لهجمات الصواريخ("دمِّروا ١٠٠ منزل مقابل كل صاروخ يُطلق") تشير إلى إمكانية اللجوء إلى الأعمال الانتقامية .ومن رأي البعثة أن الأعمال الانتقامية ضد المدنيين في سياق الأعمال العدائية المسلحة تتعارض مع القانون الإنساني الدولي.

١٣ - التأثير الواقع على شعب غزة وحقوق الإنسان الخاصة به بسبب العمليات العسكرية والحصار المفروض

٦٥ - بحثت البعثة التأثير المشترك الذي ألحقته العمليات العسكرية والحصار المفروض بسكان غزة وبتمتعهم بحقوق الإنسان .فعندما بدأ الهجوم الإسرائيلي كان الاقتصاد وفرص العمل وأسباب العيش الأسرية قد تأثرت بالفعل تأثرًا شديدًا من الحصار المفروض . وكان لنقص الإمداد بالوقود لأغراض توليد الكهرباء تأثير سلبي على النشاط الصناعي وعلى عمل المستشفيات وتوريد المياه إلى المنازل وعلى معالجة الصرف الصحي . كما أن فرض قيود الاستيراد والحظر المفروض على جميع الصادرات من غزة قد أثرا على القطاع الصناعي وعلى الإنتاج الزراعي . وكانت مستويات البطالة والنسبة المئوية للسكان الذين يعيشون في حالة فقر أو فقر بالغ آخذتين في الارتفاع.

٦٦ - وفي ظل هذا الوضع الحرج، دمّرت العمليات العسكرية جزءًا كبيرًا من الهياكل الأساسية الاقتصادية . فبالنظر إلى أنه جرى استهداف مصانع كثيرة وتدميرها أو إلحاق الضرر بها، حدثت زيادة أخرى على نحو مأساوي في الفقر والبطالة وانعدام الأمن الغذائي . وبالمثل، عانى القطاع الزراعي من تدمير الأراضي الزراعية وآبار المياه ومراكب الصيد أثناء العمليات العسكرية . كما أن استمرار الحصار يعرقل إعادة بناء الهياكل الأساسية الاقتصادية التي دُمِّرت.

٦٧ - ومن المتوقع أن يؤدي تجريف الأراضي الزراعية وتدمير الصَّوْبات الزراعية إلى زيادة تفاقم انعدام الأمن الغذائي على الرغم من زيادة كميات المواد الغذائية المسموح بدخولها إلى غزة منذ بداية العمليات العسكرية . ويزداد الاعتماد على المساعدات الغذائية . كما أن مستويات التقزُّم وتأخر النمو والنحافة لدى الأطفال وانتشار فقر الدم لدى الأطفال والحوامل كانت تدعو إلى القلق حتى قبل بداية العمليات العسكرية . وأدت المشاق الناجمة عن التدمير الواسع النطاق للمساكن(تحدث برنامج الأمم المتحدة الإنماني عن تدمير 3354 منزلا تدميرًا كاملا وعن إصابة11112 منزلا بأضرار جزئية)وما نجم عن ذلك من تشرُّد إنما يؤثر بصورة خاصة على الأطفال والنساء . كما أن تدمير البنية الأساسية المتعلقة بتوريد المياه والصرف الصحي(مثل تدمير

آبار نمر والهجوم على مصنع معالجة المياه، على النحو المشروع في الفصل الثالث عشر) قد أدى إلى تفاقم الوضع القائم من قبل . وكانت نسبة ٨٠ في المائة من المياه الموردة في غزة لا تفي بمعايير منظمة الصحة العالمية لمياه الشرب، حتى قبل العمليات العسكرية . كما أن صرف المياه المستعملة غير المعالجة أو المعالجة جزئيًا في البحر يشكل خطرًا صحيًا آخر ازداد تفاقمًا بفعل العمليات العسكرية.

٦٨ - وأدت العمليات العسكرية والخسائر الناتجة عنها إلى تعرض القطاع الصحي في غزة المحاصَرة لعبء إضافي مرهق. واستهدفت الهجمات الإسرائيلية المستشفيات وسيارات الإسعاف . ولم يمكن إعطاء المرضى ذوي الحالات الصحية المزمنة الأولوية في المستشفيات التي واجهت تدفقا كبيرًا من المرضى ذوي الإصابات المهدِّدة لحياتهم .وكثيرًا ما كان يجري بسرعة صرف المرضى بغية إخلاء الأسرّة . وما زال أحد دواعي القلق يتمثل في التأثير الصحي الطويل الأجل المترتب على عمليات الصرف المبكرة هذه، والمترتب كذلك على الأسلحة التي تحتوي على مواد مثل التنغستين .وفي حين أنه ما زال من غير المعروف العدد الدقيق للأشخاص الذين سيعانون عجزًا دائمًا، تفهم البعثة أن كثيرًا من الأشخاص الذين حدثت لهم جروح ناتجة عن الإصابات أثناء النزاع ما زالوا يواجهون خطر العجز الدائم بسبب المضاعفات وعدم كفاية كل من المتابعة وإعادة التأهيل البدني.

٦٩ - ولا بد أن يزداد أيضاً عدد الأشخاص الذين يعانون مشاكل تتعلق بالصحة العقلية . وقد حققت البعثة في عدد من الأحداث التي شهد فيها أشخاص بالغون وأطفال عملية قتل ذويهم . وقدم أطباء البرنامج المجتمعي للصحة النفسية في غزة معلومات إلى البعثة عن الاضطرابات البدنية النفسية، وعن حالة انتشار واسعة للشعور بالاضطراب لدى السكان وعن الإحساس بالخدر نتيجة لشدة الفقدان . وأبلغوا البعثة بأن هذه الحالات يُحتمل أن تؤدي بدورها إلى زيادة الاستعداد لتبنّي العنف والتطرف . كما أبلغوا البعثة بأن ٢٠ في المائة من الأطفال في قطاع غزة يعانون اضطرابات نفسية لاحقة للإصابات.

٧٠ - ومما يُضاعف من الصعوبات النفسية للتعلُّم لدى الأطفال التأثير الذي ألحقه الحصار والعمليات العسكرية بالبنية الأساسية التعليمية . فقد دُمر نحو ٢٨٠ مدرسة ودار حضانة في ظل وضع تعني فيه القيود المفروضة على استيراد مواد البناء أن كثيراً من المباني المدرسية كانت من قبل بالفعل في حاجة شديدة إلى الإصلاح.

٧١ - وقد وُجِّه انتباه البعثة أيضاً إلى الطريقة الخاصة التي تأثرت بها النساء من العمليات العسكرية . فحالات النساء اللاتي أجرت معهن البعثة مقابلات في غزة توضح بشكل مأساوي المعاناة الناجمة عن الإحساس بالعجز عن توفير ما يحتاج إليه الأطفال من رعاية وأمن . وكثيراً ما تُجبر مسؤولية المرأة عن الأسرة المعيشية وعن الأطفال النساء على إخفاء معاناتهن مما يؤدي إلى أن تبقى القضايا التي يواجهنها دون تناول .وقد ازداد عدد النساء اللائي يشكلن العائل الوحيد، ولكن فرص العمالة المتاحة لهن ما زالت أدنى من فرص الرجال بكثير . وأدت العمليات العسكرية وزيادة الفقر إلى تزايد احتمالات حدوث منازعات في الأسرة وبين الأرامل وأسر أزواجهن.

٧٢ - وتسلِّم البعثة بأن توريد السلع الإنسانية، وبخاصة المواد الغذائية، التي تسمح إسرائيل بمرورها إلى غزة قد ازداد مؤقتًا أثناء العمليات العسكرية . بيد أن مستوى السلع المسموح بدخولها إلى غزة قبل العمليات العسكرية كان غير كافٍ لتلبية احتياجات السكان حتى قبل بدء أعمال القتال، كما أنه تناقص مرة أخرى منذ نهاية العمليات العسكرية . وتعتقد البعثة، بالاستناد إلى الوقائع التي تحققت منها، أن إسرائيل قد انتهكت التزامها بالسماح بأن تمر بحرية جميع شحنات المواد الطبية ومواد المستشفيات والأغذية والملابس(المادة ٢٣ من اتفاقية جنيف الرابعة .) وتخلص البعثة أيضًا إلى أن إسرائيل قد انتهكت التزاماتها المحدَّدة التي تقع عليها بوصفها سلطة الاحتلال والمنصوص عليها بوضوح في اتفاقية جنيف الرابعة، مثل واجب المحافظة على المنشآت والخدمات الطبية ومنشآت وخدمات المستشفيات والموافقة على مخططات الإغاثة إذا كانت الأراضي المحتلة لا تتمتع بإمدادات جيدة.

٧٣ - وتخلص البعثة أيضاً إلى أن قيام القوات المسلحة الإسرائيلية بتدمير المنازل السكنية الخاصة وآبار المياه وصهاريج المياه والأراضي الزراعية والصَّوْبات كان ينطوي على غرض محدد

يتمثل في حرمان سكان قطاع غزة من قوتهم . وعلاوة على ذلك، تبيَّن للبعثة حدوث انتهاكات لأحكام حقوق الإنسان المحددة المتعلقة بحماية الأطفال، وخصوصاً الأطفال ضحايا النزاع المسلح، والنساء والمعوَّقين.

٧٤ - والأوضاع الحياتية في غزة، الناجمة عن الأعمال المتعمَّدة من جانب القوات المسلحة الإسرائيلية والسياسات المُعلنة لحكومة إسرائيل - كما عرضها ممثلوها المأذون لهم والشرعيون - فيما يتعلق بقطاع غزة قبل العملية العسكرية وأثناءها وبعدها، تشير على نحو تراكمي إلى نية توقيع العقوبة الجماعية على سكان قطاع غزة مما يشكل انتهاكاً للقانون الإنساني الدولي.

٧٥ - وأخيراً، نظرت البعثة فيما إذا كانت سلسلة الأفعال التي تحرم الفلسطينيين في قطاع غزة من أسباب عيشهم ومن فرص العمل والسكن والمياه، والتي تحرمهم من حرية التنقل ومن حقهم في مغادرة بلدهم هم ودخوله، والتي تحد من إمكانية لجوئهم إلى المحاكم القانونية وسُبل الانتصاف الفعالة يمكن أن تكون بمثابة اضطهاد، أي جريمة ضد الإنسانية . ومن رأي البعثة، بالاستناد إلى الحقائق المتاحة لها، أن بعض أفعال حكومة إسرائيل قد تُبرر قيام محكمة مختصة بتقرير أن جرائم ضد الإنسانية قد ارتُكبت.

١٤ - استمرار احتجاز الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط

٧٦ - تلاحظ البعثة استمرار احتجاز جلعاد شاليط، وهو فرد من أفراد القوات المسلحة الإسرائيلية، أسَرته مجموعة مسلحة فلسطينية في عام ٢٠٠٦ . وأمرت الحكومة الإسرائيلية، كرد فعل على أسره، بشن عدد من الهجمات على البنية الأساسية في قطاع غزة وعلى مكاتب السلطة الفلسطينية فضلاً عن إلقاء القبض على ثمانية وزراء بالحكومة الفلسطينية و ٢٦ عضواً بالمجلس التشريعي الفلسطيني . واستمعت البعثة إلى شهادات تفيد أن الجنود الإسرائيليين قاموا، أثناء العمليات العسكرية التي وقعت في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ - كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ ، باستجواب فلسطينيين أسرى حول أماكن وجود جلعاد شاليط . وقد مثل أمام البعثة في جلسة الاستماع العلنية التي عُقدت في جنيف في ٦ تموز/يوليه ٢٠٠٩ نُعام شاليط، والد جلعاد شاليط.

٧٧ - ومن رأي البعثة أن جلعاد شاليط، بوصفه جندياً ينتمي إلى القوات المسلحة الإسرائيلية أسر أثناء عملية توغل من جانب العدو في إسرائيل، يُلبي متطلبات الوضع الخاص بأسرى الحرب بموجب اتفاقية جنيف الثالثة .وهو بصفته هذه، ينبغي حمايته ومعاملته معاملة إنسانية والسماح له بالاتصال الخارجي على النحو المناسب وفقاً لتلك الاتفاقية .وينبغي السماح للجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارته دون تأخير . كما ينبغي أن تُقدَّم إلى أسرته دون تأخير معلومات عن حالته.

٧٨ - وتشعر البعثة بالقلق إزاء التصريحات الصادرة عن مسؤولين إسرائيليين شتى أوضحوا عزمهم على الإبقاء على الحصار إلى حين إطلاق سراح جلعاد شاليط .ومن رأي البعثة أن ذلك يشكل عقوبة جماعية للسكان المدنيين في قطاع غزة.

١٥ - العنف الداخلي واستهداف التابعين لفتح من جانب قوات الأمن الخاضعة لسيطرة سلطات غزة

٧٩ - حصلت البعثة على معلومات عن عنف ارتكبته قوات الأمن التابعة لسلطات غزة ضد معارضين سياسيين. وقد اشتمل هذا العنف على قتل عدد من سكان غزة في الفترة ما بين بداية العمليات العسكرية الإسرائيلية و ٢٧ شباط/فبراير .وكان يوجد بين هؤلاء بعض المحتجزين الذين كانوا محبوسين في منشأة احتجاز السراية في ٢٨ كانون الأول/ديسمبر والذين لاذوا بالفرار عقب الهجوم الجوي الإسرائيلي .ولم يكن جميع من قُتلوا عقب الهروب من الاحتجاز من التابعين لفتح، المحتجزين لأسباب سياسية، أو من المتهمين بالتعاون مع العدو . إذ كان بعض الهاربين مُدانين بجرائم شتى، مثل الاتجار بالمخدرات أو القتل، ومحكوماً عليهم بالإعدام . وأبلغت البعثة بأن حركة كثير من أعضاء فتح قد قُيِّدت أثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة وأن كثيراً منهم وُضعوا قيد الإقامة الجبرية .ووفقاً لسلطات غزة، فإن عمليات إلقاء القبض لم تتم إلا بعد العمليات العسكرية الإسرائيلية وفيما يتصل فقط بالأفعال الجنائية وباستعادة النظام العام.

٨٠ - وجمعت البعثة معلومات مباشرة عن خمس حالات لأشخاص تابعين لفتح قام أفراد قوات الأمن أو أفراد جماعات مسلحة في غزة باعتقالهم أو قتلهم أو إخضاعهم لإساءة المعاملة

البدنية . وفي معظم الحالات، أفادت التقارير أن من اختُطفوا من منازلهم أو اعتُقلوا بطريقة أخرى لم يُتهموا بارتكاب جرائم تتصل بحوادث مُحددة بل استُهدفوا فقط بسبب انتمائهم السياسي . وعند توجيه الاتهامات، كانت هذه الاتهامات ترتبط دائماً بأنشطة سياسية مشتبه فيها . وتوجد أوجه تماثل قوية بين شهادات الشهود والتقارير المقدمة من منظمات دولية ومحلية تعمل في مجال حقوق الإنسان، وهي تشير إلى أن هذه الاعتداءات قد نُفِّذت عشوائياً ولكنها شكلت جزءاً من نمط من العنف المنظم الموجه مباشرة ضد التابعين لفتح وأنصار فتح . وتخلص البعثة إلى أن هذه الإجراءات تشكل انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان ولا تتفق مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو مع القانون الأساسي الفلسطيني.

الأرض الفلسطينية المحتلة :الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية

٨١ - نظرت البعثة في التطورات الحادثة في غزة والضفة الغربية باعتبارها مترابطة على نحو وثيق، وحلّلت هذه التطورات في كلتا المنطقتين للتوصل إلى فهم مستنير للقضايا الداخلة ضمن ولايتها وللإبلاغ عنها.

٨٢ - ونتيجة لعدم تعاون إسرائيل مع البعثة، لم تتمكن البعثة من زيارة الضفة الغربية للتحقيق في الانتهاكات المُدعاة للقانون الدولي هناك . بيد أن البعثة قد تلقت كثيراً من التقارير الشفوية والخطية ومواد أخرى ذات صلة من منظمات ومؤسسات فلسطينية وإسرائيلية ودولية تعمل في مجال حقوق الإنسان . وبالإضافة إلى ذلك، التقت البعثة بممثلين لمنظمات حقوق إنسان وأعضاء في السلطة التشريعية الفلسطينية وقادة مجتمعيين .واستمعت إلى خبراء وشهود وضحايا في الجلسات العامة، وأجرت مقابلات مع أفراد متأثرين وشهود، واستعرضت أشرطة فيديو وصوراً فوتوغرافية.

١ -معاملة الفلسطينيين في الضفة الغربية من جانب قوات الأمن الإسرائيلية، بما في ذلك استخدام القوة المفرطة أو الفتاكة أثناء المظاهرات

٨٣ - أبلغ شهود وخبراء شتى البعثة بحدوث ارتفاع حاد في استخدام القوة من جانب قوات الأمن الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية منذ بداية العمليات العسكرية الإسرائيلية

في غزة(الفصل العشرون .) وقتلت القوات الإسرانيلية عدداً من المحتجين أثناء مظاهرات فلسطينية، من بينها مظاهرات نُظِّمت دعماً لسكان غزة الواقعين تحت الهجوم، وأصيب العشرات بجروح .وظل مستوى العنف المستخدَم في الضفة الغربية أثناء العملية العسكرية في غزة مستمراً أيضاً بعد العملية.

٨٤ - ومما يُقلق البعثة بوجه خاص الادعاءات القائلة باستعمال قوات الأمن الإسرائيلية لقوة فتاكة لا داعي لها، والنص في" لوائح فتح النار " الخاصة بالقوات المسلحة الإسرائيلية على قواعد مختلفة للتعامل مع الاضطرابات التي يكون فيها الفلسطينيون وحدهم حاضرين فيها وتلك التي يكون فيها الإسرائيليون حاضرين فيها . ويُثير ذلك قلقاً خطيراً فيما يتعلق بالسياسات التمييزية تجاه الفلسطينيين . وقد أبلغ شهود عيان أيضاً البعثة باستخدام نيران قناصة في سياق السيطرة على الحشود . وتحدث الشهود عن جو مختلف اختلافاً بيِّناً شاهدوه في المواجهات مع الجنود وحرس الحدود أثناء مظاهرات أزيلت منها جميع الضوابط والموازنات . وأبلغ شهود عديدون البعثة بأن الإحساس في الضفة الغربية، أثناء العملية العسكرية في غزة، هو وجود جو قوامه" افعل ما شئت " يكون فيه أي شيء فيه مُباحاً.

٨٥ - ولا تقوم السلطات الإسرائيلية إلا بالقليل أو لا تقوم بأي شيء للتحقيق في العنف المُرتكب ضد الفلسطينيين، بما في ذلك أعمال القتل، من جانب المستوطنين وأفراد قوات الأمن أو لمقاضاتهم ومعاقبتهم، مما يُسفر عن وضع قوامه الإفلات من العقاب .وتخلص البعثة إلى أن إسرائيل لم تفِ بالتزاماتها بحماية الفلسطينيين من العنف الذي يرتكبه الأفراد الخواص، وهي الالتزامات المقررة بموجب قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الإنساني الدولي على السواء.

٢ -احتجاز الفلسطينيين في سجون إسرائيلية

٨٦ - يُقدَّر أن إسرائيل قد قامت، منذ بداية الاحتلال، باحتجاز قرابة **700000** فلسطيني من الرجال والنساء والأطفال. ووفقاً للتقديرات، كان يوجد، في ١ حزيران/ يونيه ٢٠٠٩ ، قرابة **8100**"سجين سياسي " فلسطيني محتجزين في إسرائيل، من بينهم ٦٠ امرأة و ٣٩٠ طفلاً . ومعظم هؤلاء المحتجزين هم أفراد يقوم باتهامهم أو بإدانتهم نظام من المحاكم العسكرية الإسرائيلية

يعمل فيما يتعلق بالفلسطينيين بالضفة الغربية تُقيِّد في ظله تقييداً شديداً حقوق الفلسطينيين فيما يتعلق بإجراء محاكمات عادلة . ويُحتجز كثير منهم احتجازاً إدارياً كما يُحتجز البعض بموجب "قانون المقاتلين غير الشرعيين "الإسرائيلي.

٨٧ - وركَّزت البعثة على عدة مسائل فيما يتصل بالمحتجزين الفلسطينيين ترتبط في رأيها بالعمليات العسكرية التي قامت بها إسرائيل في كانون الأول/ديسمبر - كانون الثاني/يناير في غزة أو ترتبط بسياق هذه العمليات.

٨٨ - وقد أسفرت التدابير القانونية المُتخذة منذ إعادة انتشار إسرائيل من غزة في عام ٢٠٠٥ عن معاملة المحتجزين الغزيين معاملة مختلفة .فقد صدر في عام ٢٠٠٦ قانون يغيِّر ضمانات المحاكمة العادلة ولا ينطبق إلا على المشتبه فيهم الفلسطينيين وأغلبيتهم الساحقة من غزة، وفقاً لمصادر الحكومة الإسرائيلية .وقد غُلِّق في عام ٢٠٠٧ تطبيق برنامج الزيارات الأسرية التابع للجنة الدولية للصليب الأحمر في قطاع غزة، مما يمنع جميع وسائل الاتصال بين السجناء المنتمين إلى غزة والعالم الخارجي.

٨٩ - وأثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة، كان عدد الأطفال الذين تحتجزهم إسرائيل أعلى منه في الفترة ذاتها من عام ٢٠٠٨ . وأفادت التقارير أن كثيراً من الأطفال قد ألقي القبض عليهم في الشارع و/ أو أثناء مظاهرات في الضفة الغربية .وظل عدد المحتجزين الأطفال مرتفعاً في الأشهر التالية لانتهاء العمليات، وهو ما كان مصحوباً بتقارير تتحدث عن تجاوزات قامت بها قوات الأمن الإسرائيلية.

٩٠ - وقد تمثلت إحدى سمات ممارسات الاحتجاز الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين منذ عام ٢٠٠٥ في إلقاء القبض على المنتمين لحماس . فقبل انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني في عام ٢٠٠٥ ، ألقت إسرائيل القبض على أشخاص عديدين كانوا مشاركين في الانتخابات البلدية أو انتخابات المجلس التشريعي . وعقب قيام جماعات مسلحة فلسطينية بأسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط في حزيران/ يونيه ٢٠٠٦ ، اعتقلت القوات المسلحة الإسرائيلية ٦٥ شخصاً من أعضاء المجلس التشريعي ورؤساء البلديات والوزراء، ومعظمهم أعضاء في حماس. واحتُجزوا جميعاً

عامين على الأقل، في ظل أوضاع غير ملائمة بصورة عامة . وأجريت عمليات اعتقال أخرى لزعماء من حماس أثناء العمليات العسكرية في غزة . وكان احتجاز أعضاء المجلس التشريعي يعني أن المجلس لم يتمكن من العمل ومن ممارسة مهامه التشريعية والرقابية على السلطة التنفيذية الفلسطينية.

٩١ - وتخلص البعثة إلى أن هذه الممارسات قد أسفرت عن ارتكاب انتهاكات لقانون حقوق الإنسان الدولي وللقانون الإنساني الدولي، بما في ذلك الأحكام المتعلقة بحظر الاحتجاز التعسفي، والحق في الحماية المتساوية بموجب القانون وفي عدم التعرُّض للتمييز على أساس المعتقدات السياسية والحماية الخاصة التي يتمتع بها الأطفال . وتخلص البعثة أيضًا إلى أن احتجاز أعضاء المجلس التشريعي قد يكون بمثابة عقوبة جماعية بما يتعارض مع القانون الإنساني الدولي.

٣ -القيود المفروضة على حرية التنقل في الضفة الغربية

٩٢ - ظلت إسرائيل تقوم في الضفة الغربية منذ فترة طويلة بفرض نظام من القيود على التنقل . فالتنقل يقيّده مزيج من العقبات المادية، مثل حواجز الطرق ونقاط التفتيش والجدار الفاصل والتدابير الإدارية، مثل بطاقات الهوية والتصاريح وتحديد الإقامة، والقوانين المتعلقة بإعادة جمع شمل الأسر والسياسات المتعلقة بالحق في الدخول من الخارج وحق العودة للاجئين . ويُرفض السماح للفلسطينيين بالوصول إلى المناطق المتروع ملكيتها لبناء الجدار الفاصل والهياكل الأساسية المتعلقة به، أو لاستخدامها كمستوطنات أو مناطق عازلة أو قواعد عسكرية أو مناطق للتدريب العسكري والطُرق التي تُبنى للربط بين هذه الأماكن . وكثير من هذه الطرق هي" للإسرائيليين فقط " ومُحرَّم استعمالها على الفلسطينيين . ويخضع عشرات الآلاف من الفلسطينيين اليوم لحظر على السفر تفرضه إسرائيل يمنعهم من السفر إلى الخارج . فعدد من الشهود والخبراء الذين دعتهم البعثة للالتقاء بها في عمان والمشاركة في جلسات الاستماع في جنيف لم يستطيعوا مقابلة البعثة بسبب هذا الحظر على السفر.

٩٣ - وتلقت البعثة تقارير تفيد بأن القيود المفروضة على التنقل في الضفة الغربية قد شُدِّدت أثناء الهجوم الإسرائيلي في غزة . فقد فرضت إسرائيل" إغلاقًا "على الضفة الغربية لعدة

أيام . وبالإضافة إلى ذلك، أنشئ طوال فترة العملية مزيد من نقاط التفتيش في الضفة الغربية، بما في ذلك في القدس الشرقية .وكان يُطلق على معظم هذه النقاط ما يسمى ب" نقاط التفتيش الطيارة ."وفي كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩ ، أعلن أن عدة مناطق من الضفة الغربية بين الجدار الفاصل والخط الأخضر هي" مناطق عسكرية مغلقة."

٩٤ - وأثناء العمليات في غزة وبعدها، شددت إسرائيل من قبضتها على الضفة الغربية عن طريق زيادة مصادرة الممتلكات وهدم البيوت وإصدار أوامر الهدم ومنح مزيد من التراخيص لبناء منازل في المستوطنات وتكثيف استغلال الموارد الطبيعية في الضفة الغربية . وقامت إسرائيل، عقب العمليات في غزة، بتعديل الأنظمة التي تُحدد مدى قدرة الأشخاص الذين لديهم" بطاقة هوية من غزة " على التحرك إلى الضفة الغربية أو العكس، مما يزيد من الهوة الفاصلة بين الشعب في الضفة الغربية وغزة.

٩٥ - وتخطط وزارة الإسكان والتخطيط الإسرائيلية لبناء عدد إضافي من المنازل في المستوطنات في الضفة الغربية قدره 15000 منزل من هذه المنازل ولذلك، إذا تم تحقيق جميع الخُطط، سيتضاعف عدد المستوطنين في الأرض الفلسطينية المحتلة .

٩٦ - وتعتقد البعثة أن القيود المفروضة على التنقل والحركة التي يخضع لها الفلسطينيون في الضفة الغربية، بصورة عامة، وتشديد القيود أثناء العمليات العسكرية في غزة وكذلك، إلى حد ما، بعد هذه العمليات هي بصورة خاصة أمور غير متناسبة مع أي هدف عسكري منشود . وبالإضافة إلى ذلك، يساور البعثة القلق لإضفاء الطابع الرسمي على الفصل بين غزة والضفة الغربية ومن ثمّ بين جزأين من الأرض الفلسطينية المحتلة.

٤ -العنف الداخلي واستهداف أنصار حماس من جانب السلطة الفلسطينية، والقيود المفروضة على حرية التعبير والتجمّع

٩٧ - وتلقت البعثة ادعاءات بحدوث انتهاكات تتصل بولايتها ارتكبتها السلطة الفلسطينية في الفترة المشمولة بالتحقيق .وهذه تشمل انتهاكات تتصل بمعاملة التابعين لحماس" المشتَبَه فيهم "من جانب الأجهزة الأمنية، بما في ذلك إلقاء القبض عليهم واحتجازهم بصورة غير مشروعة .

وأفادت عدة منظمات تعمل في مجال حقوق الإنسان أن الممارسات التي تستخدمها قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية هي بمثابة ممارسة للتعذيب والمعاملة والعقوبة القاسية واللاإنسانية والمهينة .وقد حدث عدد من حالات الوفاة في الاحتجاز يُشتبه أن التعذيب وضروب إساءة المعاملة الأخرى قد أسهمت فيها أو ربما تسببت فيها .وقد جرى التحقيق في الشكاوى المتعلقة بهذه الممارسات.

٩٨ - ووردت أيضًا ادعاءات تتعلق باستخدام القوة المفرطة وقمع المظاهرات من جانب أجهز ة الأمن الفلسطينية -وخاصة المظاهرات التي نُظّمت دعمًا لسكان غزة أثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية . إذ يُدَّعى أن أجهزة الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية قد قامت في هذه المناسبات بإلقاء القبض على كثير من الأفراد ومنعت وسائط الإعلام من تغطية هذه الأحداث .وتلقت البعثة أيضًا ادعاءات مفادها قيام أجهزة الأمن الفلسطينية بارتكاب مضايقات ضد الصحفيين الذين أعربوا عن آراء نقدية.

٩٩ - وقد أدى تعطيل المجلس التشريعي الفلسطيني عقب قيام إسرائيل بإلقاء القبض على العديد من أعضائه واحتجازهم إلى التقليص الفعلي للرقابة البرلمانية على الفرع التنفيذي للسلطة الفلسطينية . فقد أصدرت السلطة التنفيذية مراسيم وأنظمة تمكّنها من مواصلة عملياتها اليومية.

١٠٠ - وتشمل الادعاءات الأخرى الإقفال التعسفي للهيئات الخيرية والجمعيات والجماعات الإسلامية الأخرى أو إلغاء وعدم تجديد التراخيص الصادرة لها، والقيام قسراً باستبدال أعضاء مجالس إدارة المدارس الإسلامية ومؤسسات أخرى، وفصل المدرسين المنتمين إلى حماس.

١٠١ - وما زالت السلطة الفلسطينية تسرِّح عدداً كبيراً من الموظفين العاملين في هيئات مدنية وعسكرية أو توقف صرف مرتباتهم بذريعة" عدم ولائهم للسلطة المشروعة "أو" عدم الحصول على موافقة أمنية " عند تعيينهم، وهو ما أصبح شرطاً مسبقاً للانخراط في الخدمة العامة. وفي الواقع، فإن هذا التدبير يستبعد أنصار حماس أو الأشخاص التابعين لها من العمل في القطاع الحكومي العام.

١٠٢ - ومن رأي البعثة أن التدابير المذكورة لا تتفق مع التزامات السلطة الفلسطينية الناشئة عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وعن الميثاق الأساسي الفلسطيني.

إسرائيل

١ -تأثير الهجمات على جنوبي إسرائيل بالصواريخ وقذائف الهاون من جانب الجماعات المسلحة الفلسطينية على المدنيين

١٠٣ - أطلقت الجماعات المسلحة الفلسطينية نحو 8000 صاروخ وقذيفة هاون على جنوبي إسرائيل منذ عام ٢٠٠١ (الفصل الرابع والعشرون).وفي حين أن مجتمعات محلية مثل سديروت و'كيبوتس نير آم' كانت تقع ضمن مدى هذه الصواريخ وقذائف الهاون منذ البداية، فإن مدى الصواريخ قد ازداد إلى نحو ٤٠ كيلومترًا من حدود غزة مما ضمّ إلى مداها مدنًا تقع بعيدًا في الشمال مثل أشدود وذلك أثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة.

١٠٤ - وفيما بين ١٨ حزيران/ يونيه ٢٠٠٨ و ١٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ ، فإن الصواريخ التي أطلقتها الجماعات المسلحة الفلسطينية في غزة قتلت ثلاثة مدنيين داخل إسرائيل ومدنيين اثنين في غزة عندما سقط صاروخ قبل الحدود في ٢٦ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ . وأفادت التقارير أن أكثر من 1000 شخص من المدنيين داخل إسرائيل قد أصيبوا بدنياً بجروح نتيجة للهجمات بالصواريخ وقذائف الهاون، حدثت إصابات ٩١٨ شخصاً منهم أثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة.

١٠٥ - وأحاطت البعثة علماً على نحو خاص بالمستوى المرتفع للصدمة النفسية التي عاناها السكان المدنيون داخل إسرائيل .فقد تبيَّن من البيانات التي جمعتها منظمة إسرائيلية في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٧ أن 28,4 في المائة من البالغين و72-94 في المائة من الأطفال في سديروت قد عانوا اضطرابات نفسية لاحقة للإصابة .وأفادت التقارير أن 1596 شخصاً قد عولجوا من حالات تتصل بالتوتر أثناء العمليات العسكرية في غزة بينما كان عدد من عولجوا بعد ذلك أكثر من ٥٠٠ شخص.

١٠٦ - وقد أدت الصواريخ وقذائف الهاون إلى إلحاق أضرار بالمنازل والمدارس والسيارات في جنوبي إسرائيل. وفي ٥ آذار/ مارس ٢٠٠٩ ، أصاب أحد الصواريخ كنيساً في نيتيفوت . وقد أثَّرت عمليات إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون على حق الأطفال والبالغين المقيمين في جنوبي إسرائيل في التعليم . وجاء ذلك نتيجة لعمليات إغلاق المدارس وانقطاع الدراسة بفعل التحذيرات الموجَّهة والانتقال إلى الملاجئ وكذلك نتيجة لتضاؤل القدرة على التعلُّم وهو ما يُشاهد لدى الأفراد الذين يعانون أعراض الصدمات النفسية.

١٠٧ - وكان لعمليات إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون تأثير ضار على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات المحلية المتأثرة . ففي بلدات مثل أشدود ويافان وبئر السبع التي عانت هجمات بالصواريخ لأول مرة أثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة، حدث انقطاع قصير في أنشطتها الاقتصادية والثقافية جاء بفعل الانتقال المؤقت لبعض المقيمين فيها .وفيما يتعلق بالبلدات الأقرب من حدود غزة، التي ظلت في مرمى نيران الصواريخ وقذائف الهاون منذ عام ٢٠٠١ ، أدى التصعيد الأخير إلى زيادة نزوح المقيمين فيها.

١٠٨ - وخلصت البعثة إلى أن الصواريخ، وبدرجة أقل قذائف الهاون التي تطلقها الجماعات المسلحة الفلسطينية لا يمكن توجيهها لإصابة أهداف عسكرية محددة وقد ُأطلقت على مناطق يعيش فيها سكان مدنيون . وخلصت البعثة كذلك إلى أن هذه الهجمات تشكل هجمات عشوائية ضد السكان المدنيين في جنوبي إسرائيل وأنه في الحالات التي لا يوجد فيها هدف عسكري مقصود وتُطلق الصواريخ وقذائف الهاون على سكان مدنيين فإن الهجمات تشكل هجومًا متعمدًا على سكان مدنيين . ويمكن أن تشكل هذه الأفعال جرائم حرب وقد تكون بمثابة جرائم ضد الإنسانية .وبالنظر إلى ما يبدو من عدم قدرة الجماعات المسلحة الفلسطينية على توجيه الصواريخ وقذائف الهاون إلى أهداف محددة وبالنظر إلى أن الهجمات لم تتسبب إلا في حدوث أضرار ضئيلة جدًا بالأصول العسكرية الإسرائيلية، تخلص البعثة إلى أنه توجد أدلة يُعتدّ بها تشير إلى أن أحد الأغراض الرئيسية لهجمات الصواريخ وقذائف الهاون هو نشر الرعب لدى السكان المدنيين الإسرائيليين، مما يشكل انتهاكًا للقانون الدولي.

١٠٩ - وإذ تلاحظ البعثة أن بعض الجماعات المسلحة الفلسطينية ومن بينها حماس قد أعربت علانية عن عزمها على استهداف المدنيين على سبيل الانتقام من إصابات المدنيين في غزة نتيجة للعمليات العسكرية الإسرائيلية، فإن من رأيها أن الأعمال الانتقامية ضد المدنيين أثناء الأعمال العدائية المسلحة تتعارض مع القانون الإنساني الدولي.

١١٠ - وتلاحظ البعثة أن الإصابات الضئيلة نسبيًا التي عانى منها المدنيون داخل إسرائيل ترجع بقدر كبير إلى الاحتياطات التي اتخذتها إسرائيل . وهذا يشمل نظامًا للإنذار المبكِّر وتوفير ملاجئ عامة وعمليات تحصين المدارس والمباني العامة الأخرى بتكلفة مالية كبيرة على حكومة إسرائيل - تبلغ تقديراتها ٤٦٠ مليون دولار من دولارات الولايات المتحدة فيما بين عامي ٢٠٠٥ و ٢٠١١ . بيد أن البعثة تشعر بقلق بالغ إزاء عدم وجود نظام للإنذار المبكِّر وعدم وجود ملاجئ عامة وتحصينات من أجل تجمعات الإسرائيليين من أصل فلسطيني الذين يعيشون في قرى غير مُعترَف بها وفي بعض القرى المعترَف بها التي تقع ضمن مدى الصواريخ وقذائف الهاون التي تُطلقها الجماعات المسلحة الفلسطينية في غزة.

٢ -قمع المخالفين في إسرائيل، والحق في الوصول إلى المعلومات، ومعاملة المدافعين عن حقوق الإنسان

١١١ - تلقت البعثة تقارير تفيد أن الحكومة الإسرائيلية تقمع أو تحاول قمع الجماعات والأفراد، الذين يُنظر إليهم على أنهم مصادر نقد للعمليات العسكرية التي تقوم بها إسرائيل .فوسط وجود مستوى مرتفع من التأييد للعمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة من جانب السكان اليهود الإسرائيليين، كانت توجد أيضاً احتجاجات واسعة الانتشار داخل إسرائيل ضد العمليات العسكرية . فقد احتج عليها مئات الآلاف من الأشخاص - هم بصورة رئيسية، ولكن ليست حصرية، من مواطني إسرائيل الفلسطينيين . وبينما سُمح، بصورة رئيسية، بأن تجري هذه الاحتجاجات وحدثت مناسبات أفادت التقارير فيها أن المحتجين قد واجهوا صعوبة في الحصول على تصاريح – وخاصة بصورة رئيسية إسرائيليين من أصل فلسطيني . وقد ألقي القبض في هذه الاحتجاجات على ٧١٥ شخصًا في إسرائيل والقدس الشرقية المحتلة . ويبدو أنه لم تحدث أي عمليات إلقاء قبض على مشاركين في

احتجاجات مضادة، وكانت نسبة ٣٤ في المائة من أولئك الذين ُألقي القبض عليهم تقل أعمارهم عن ١٨ عاما .وتلاحظ البعثة أنه ُألقي القبض على جزء صغير نسبيًا من أولئك المحتجين . وتحث البعثة حكومة إسرائيل على ضمان أن تحترم سلطات الشرطة حقوق جميع مواطنيها، دون تمييز، بما في ذلك حرية التعبير والحق في التجمع السلمي، على النحو الذي يكفله العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

١١٢ - وتلاحظ البعثة مع القلق ما ذُكر في التقارير عن حالات لارتكاب العنف البدني من جانب أفراد من الشرطة ضد محتجين، بما في ذلك ضرب المحتجين واتباع سلوك غير ملائم آخر معهم مثل إخضاع مواطني إسرائيل ذوي الأصل الفلسطيني ممن ألقي القبض عليهم لمعاملة سيئة عنصرية وإبداء تعليقات جنسية بخصوص الإناث أعضاء أسرهم . وتتطلب المادة ١٠ من العهد أن يعامل المحرومون من حريتهم معاملة تتسم بالإنسانية والاحترام للكرامة المتأصلة في أفراد البشر.

١١٣ - ومن بين المحتجين الذين عرضوا على المحاكم الإسرائيلية، كان الإسرائيليون من أصل فلسطيني يُتحفَّظ عليهم في الاحتجاز في انتظار المحاكمة، على نحو غير متناسب . وعنصر التمييز والمعاملة المختلفة بين مواطني إسرائيل الفلسطينيين واليهود كما يشار إلى ذلك في التقارير الواردة، هو أمر يبعث على قلق كبير.

١١٤ - وذُكِرت المقابلات التي تجريها أجهزة الأمن العام الإسرائيلية مع النشطاء السياسيين على أنها تشكل الأفعال التي تسهم على أبرز نحو في إيجاد مناخ من القمع داخل إسرائيل .وتشعر البعثة بالقلق إزاء إرغام النشطاء على حضور مقابلات مع الشاباك(التي تعرف أيضاً باسم "شين بيت)"، دون وجود أي التزام قانوني عليهم بأن يفعلوا ذلك، وبصورة عامة على حضور الاستجواب المدَّعى للنشطاء السياسيين حول أنشطتهم السياسية.

١١٥ - وتلقت البعثة تقارير بشأن التحقيق الذي تجريه حكومة إسرائيل مع منظمة" نيو بروفايلNew Proifile" الوجه الجديد (بخصوص الادعاءات القائلة بأنها تحرض على التهرب من التجنيد، وهو جريمة جنائية، والتقارير القائلة بأن الحكومة تسعى إلى إنهاء التمويل المقدم من حكومات أجنبية من أجل منظمة" كسر جدار الصمت" ، عقب نشر شهادات لجنود إسرائيليين

بخصوص سلوك القوات المسلحة الإسرائيلية في غزة في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ وكانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩ وتشعر البعثة بالقلق لكون تصرف حكومة إسرائيل مع هذه المنظمات يمكن أن يكون له أثر ترهيبي على منظمات حقوق الإنسان الإسرائيلية الأخرى . فإعلان الأمم المتحدة المتعلق بالمدافعين عن حقوق الإنسان يكفل الحق" في التماس وتلقي واستخدام موارد يكون الغرض منها صراحة هو تعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية بالوسائل السلمية ." وإذا كان بذل المساعي لدى الحكومات الأجنبية لإنهاء التمويل قد جاء كرد فعل لممارسة المنظمة المعنية لحرية التعبير فإن ذلك يكون متعارضًا مع روح الإعلان.

١١٦ - وقد فرضت حكومة إسرائيل حظرًا على وصول وسائط الإعلام إلى غزة بعد ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٨ وفضلاً عن ذلك، لم يسمح بوصول منظمات حقوق الإنسان إلى القطاع وما زال هذا الحظر قائماً فيما يتعلق ببعض المنظمات الدولية والإسرائيلية .ولا ترى البعثة أي مبرر لذلك .فوجود الصحفيين والمراقبين الدوليين لحقوق الإنسان يُساعد في التحقيق وفي إبلاغ الجمهور الواسع بسلوك الأطراف في النزاع ويمكن أن يمنع سوء التصرف. وتلاحظ البعثة أن إسرائيل قد حاولت، في الإجراءات التي اتخذتها ضد النشطاء السياسيين والمنظمات غير الحكومية ووسائط الإعلام، أن تحد من التمحيص العام لسلوكها أثناء عملياتها العسكرية في غزة وكذلك للآثار التي ألحقتها هذه العمليات بسكان غزة، ربما سعياً منها إلى منع التحقيق فيها والإبلاغ العلني عنها.

دال - المحاسبة

١ -إجراءات إسرائيل وردود فعلها بشأن الادعاءات القائلة بارتكاب قواتها المسلحة انتهاكات ضد الفلسطينيين

١١٧ - من الضروري إجراء تحقيقات وكذلك - عندما يكون ذلك ملائمًا - محاكمات للمشتبه في ارتكابهم انتهاكات خطيرة إذا كانت يُراد ضمان احترام حقوق الإنسان والقانون الإنساني وإذا كان يُراد منع نشوء جو قوامه الإفلات من العقاب .وعلى الدول بموجب القانون الدولي واجب التحقيق في الادعاءات القائلة بارتكاب انتهاكات.

١١٨ - وقد استعرضت البعثة المعلومات العامة والتقارير المقدمة من حكومة إسرائيل بشأن الإجراءات المتخذة للوفاء بالتزامها بالتحقيق في الانتهاكات المدعاة(الفصل السادس والعشرون .) وقد وجهت البعثة إلى إسرائيل عددًا من الأسئلة بشأن هذه المسألة ولكنها لم تتلق أي رد.

١١٩ - وردًا على الادعاءات المتعلقة بارتكاب انتهاكات خطيرة لقانون حقوق الإنسان وللقانون الإنساني الدولي، أمر المدعي العام العسكري بإجراء تحقيقات جنائية ًأغلقت بعد ذلك بأسبوعين بناء على استنتاج أن هذه الادعاءات" قد بُنيت على شهادات سماعية ." وأصدرت القوات المسلحة الإسرائيلية أيضًا نتائج خمس تحقيقات خاصة أجراها ضباط عسكريون ذوو رتب رفيعة خلصت إلى أن" قوة الدفاع الإسرائيلية قد عملت وفقا للقانون الدولي طوال فترة القتال في غزة" ، ولكن تشير التقارير إلى أن التحقيقات قد كشفت عن عدد صغير جدًا من الأخطاء .وفي ٣٠ تموز/يوليه ٢٠٠٩ ، أفادت وسائط الإعلام أن المدعي العام العسكري قد أمر الشرطة العسكرية بفتح تحقيقات جنائية في ١٤ حالة من أصل قرابة ١٠٠ شكوى تتعلق بسلوك جنائي من جانب الجنود .ولم تقدَّم أي تفاصيل.

١٢٠ - واستعرضت البعثة النظام الداخلي الإسرائيلي للتحقيق والمقاضاة وفقا للتشريعات الإسرائيلية الوطنية وفي ضوء الممارسة .ويشمل هذا النظام ما يلي: (أ) الإجراءات التأديبية؛ و(ب) عمليات استخلاص المعلومات العملياتية) المعروفة أيضًا باسم" التحقيقات العملياتية("؛ و(ج) التحقيقات الخاصة التي يتولاها ضابط كبير بناء على طلب رئيس الأركان؛ و(د) تحقيقات الشرطة العسكرية التي تجريها شعبة التحقيق الجنائي بالشرطة العسكرية .ويقع في قلب هذا النظام ما يسمى باستخلاص المعلومات العملياتية . فعمليات استخلاص المعلومات العملياتية هي عبارة عن إجراء مراجعات للحوادث والعمليات التي قام بها الجنود من الوحدة ذاتها أو من التسلسل القيادي نفسه إلى جانب ضابط من رتبة أعلى . والقصد من عمليات استخلاص المعلومات هذه هو خدمة أغراض العمليات.

١٢١ - ويتطلب قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الإنساني الدولي من الدول التحقيق وكذلك، عندما يكون ذلك ملائمًا، المقاضاة بشأن الادعاءات المتعلقة بارتكاب الأفراد العسكريين لانتهاكات خطيرة . وقد حدد القانون الدولي أيضًا أن هذه التحقيقات ينبغي أن تتسم بالامتثال لمعايير النزاهة والاستقلالية والاستعجال والفعالية . وتؤكد البعثة أن نظام التحقيق الإسرائيلي لا يمتثل لجميع هذه المبادئ . ففيما يتصل ب" استخلاص المعلومات العملياتي " الذي تستخدمه القوات المسلحة الإسرائيلية كأداة للتحقيق، ترى البعثة أن أداة مصممة لمراجعة الأداء ولتعلّم الدروس المستفادة لا يمكن أن تكون آلية تحقيق فعالة ونزيهة ينبغي الأخذ بها بعد كل عملية عسكرية قدّمت بشأنها ادعاءات بارتكاب انتهاكات خطيرة . فهي لا تمتثل لمبدأي النزاهة والاستعجال في التحقيقات المسلّم بهما دوليًا . فثمة عيب رئيسي في نظام التحقيق الإسرائيلي يتمثل في أن التحقيقات الجنائية الحقيقية لا يمكن أن تبدأ إلا بعد انتهاء" استخلاص المعلومات العملياتي."

١٢٢ - وتخلص البعثة إلى أنه توجد شكوك جدية حول استعداد إسرائيل لإجراء تحقيقات حقيقية بطريقة نزيهة و مستقلة وعاجلة وفعالة على نحو ما يتطلبه القانون الدولي . ومن رأي البعثة أيضًا أن النظام الإسرائيلي على وجه الإجمال يتصف بسمات تمييزية متأصلة فيه تجعل من سُبل نيل العدالة أمام الضحايا الفلسطينيين أمرًا بالغ الصعوبة.

٢ -الإجراءات المتخذة

من جانب السلطات الفلسطينية

(أ) الإجراءات المتصلة بالأفعال الواقعة في قطاع غزة

١٢٣ - لم تجد البعثة أي دليل على أن سلطات غزة قد أقامت أي نظام للمراقبة العامة أو المحاسبة فيما يتصل بالانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي ولقانون حقوق الإنسان الدولي . ويساور البعثة القلق إزاء التجاهل المستمر للقانون الإنساني الدولي الذي تقوم في ظله الجماعات المسلحة في قطاع غزة بأنشطتها العسكرية، عن طريق عمليات إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون، الموجهة ضد إسرائيل . وعلى الرغم من بعض تقارير وسائط الإعلام، ما زالت البعثة غير مقتنعة بأن السلطات قد اتخذت أي مبادرات حقيقية وفعالة لتناول القضايا الخطيرة المتعلقة بانتهاكات

القانون الإنساني الدولي في إطار مباشرة الأنشطة المسلحة من جانب الجماعات القتالية في قطاع غزة.

١٢٤ - وعلى الرغم من بيانات صادرة عن سلطات غزة وأي إجراء ربما تكون قد اتخذته، لا تعلم به البعثة، ترى البعثة أيضًا أن الادعاءات المتعلقة بأعمال القتل والتعذيب وإساءة المعاملة في قطاع غزة قد مرت إلى حد كبير دون أن تكون موضوع تحقيق.

(ب) الإجراءات المتصلة بالأفعال الواقعة في الضفة الغربية

١٢٥ - فيما يتعلق بالانتهاكات ذات الصلة التي حُددت في الضفة الغربية، يبدو، مع استثناءات قليلة، أنه توجد درجة من التغاضي إزاء انتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة ضد المعارضين السياسيين، مما أسفر عن عدم وجود محاسبة عن هذه الإجراءات .كما أن وزارة الداخلية قد تجاهلت قرارات المحكمة العليا بإطلاق سراح عدد من المحتجزين أو بإعادة فتح بعض الجمعيات التي أغلقتها السلطات.

١٢٦ - وفي ظل هذه الظروف، لا تستطيع البعثة اعتبار التدابير التي اتخذتها السلطة الفلسطينية ذات معنى لغرض محاسبة مرتكبي الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي، وهي تعتقد أنه يجب بقدر أكبر من الالتزام الوفاء بالمسؤولية عن حماية حقوق الأشخاص وهي المسؤولية التي تدخل في صلب السلطات التي تتولاها السلطة الفلسطينية.

٣ -الولاية العالمية

١٢٧ - في سياق القدر المتزايد من عدم استعداد إسرائيل لفتح تحقيقات جنائية تمتثل للمعايير الدولية، فإن البعثة تدعم الاعتماد على الولاية العالمية كسبيل متاح أمام الدول للتحقيق في انتهاكات أحكام اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ المتعلقة بارتكاب خروق خطيرة، ولمنع الإفلات من العقاب، وللنهوض بالمسؤولية الدولية(الفصل الثامن والعشرون.)

٤ -التعويضات

١٢٨ - يقرر القانون الدولي أيضاً أنه عند وقوع انتهاك لالتزام دولي، ينشأ التزام بتقد يم تعويضات . ومن رأي البعثة أن الهيكل الدستوري الحالي والتشريعات الموجودة في إسرائيل لا

يتيحان مجالاً كبيراً، إن كانا أصلاً يتيحان أي مجال، أمام الفلسطينيين لالتماس التعويض . ويتعين على المجتمع الدولي أن يتيح آلية إضافية أو بديلة للتعويض عن الأضرار أو الخسائر التي تكبدها المدنيون الفلسطينيون أثناء العمليات العسكرية(الفصل التاسع والعشرون.)

هاء - الاستنتاجات والتوصيات

١٢٩ - تضع البعثة في الفصل الثلاثين، الذي يتضمن أيضاً موجزاً باستنتاجاتها القانونية، استنتاجات عامة بشأن التحقيقات التي أجرتها.

١٣٠ - ثم تقدم البعثة توصيات إلى عدد من هيئات الأمم المتحدة وإلى إسرائيل والسلطات الفلسطينية المسؤولة والمجتمع الدولي بشأن ما يلي) : (أ)المحاسبة عن الانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي؛ و (ب) التعويضات؛ و(ج) الانتهاكات الخطيرة لقانون حقوق الإنسان؛ و (د)الحصار والتعمير؛ و(ه)استعمال الأسلحة والإجراءات العسكرية؛ و(و)حماية منظمات حقوق الإنسان والمدافعين عن حقوق الإنسان؛ و(ز)متابعة توصيات البعثة .وترد التوصيات بالتفصيل في الفصل الحادي والثلاثين.

تم بحمد الله وعونه